كتابي

١٠ قروش



الحرب .. والسلام!
لوحة للفنان الإيطالى "ج. ب. تييبولو" (١٦٩٦-١٧٧٠)

حلمي مراد

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثامن والستون (السنة الخامسة) : نوفمبر ١٩٥٧

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : الجندول – ١٤ شارع ٢٦ يوليو – بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

مطابع
الناشر العربي
٨ شارع الصحافة بالقاهرة

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

نسخ أنيقة ((مقصـــوصة الاطراف))

تعد خصيصا للمشتركين فى ((كتابى)) و ((المطبوعات))

◆ اذا أردت الحصول على نسختك من « كتابى » أو « مطبوعات كتــابى » أنيقة نظيفة « مقصوصة » من جميع أطرافها ، فاشترك فى السلسلتين ، أو احداهما ، تضمن وصول الأعداد المذكورة اليـك فى عقر دارك ، أينما كنت ، بالبريد « المسجل » وفى مظروف مغلق .

ارسل فورا الى الادارة (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) اذن بريد بقيمة الاشتراك الموضحة أدناه ، لأية مدة ترغب فيها !.. واذا كنت بعيدا عن مكتب البريد فى هذه الساعة أو كان المكتب مغلقا ، وخشيت أن تنسى الموضوع أو تهمله لو ارجأته ، فتناول قلما من فورك واكتب الينا « برغبتك » فقط فى الاشتراك ، وسوف نتولى نحن تذكيرك بالأمر بخطاب خاص فى فترات متفاوتة ، لمساعدك على تنفيذ رغبتك ، حتى تحققها .. فلا ترجىء الكتابة الآن ، واذكر أن الارجاء والتسويف هما الد أعداء الانسان ، فهما يحرمانه من كل فرص السعادة أو النجاح .

أسعار الاشتراك ، بما فى ذلك نفقات البريد المسجل

فى القطر المصرى والسودان : ١٠ قروش عن كل عدد (باذن بريد أو حضوريا بالادارة) . فى سوريا ولبنان والعراق والأردن والحجاز : شيك أو تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازى ١٢ قرشا مصريا عن كل عدد ، أو كوبونات دولية بـ ١٣٠ مليما مصريا عن كل عدد . فى بقية بلاد العـالم : شيك أو تحويل على احد بنوك القاهرة بمـا يوازى ١٣ قرشا مصريا عن كل عدد . والرجا عدم ارسال نقود داخل الخطابات سواء العادية أو المسجلة .



قراءات ومشاهدات



بينما كان العمل جاريا لاعداد هذا العدد ، الذى بين يديك ، دعى الزميـل الاستاذ حلمى مراد ـ صـاحب «كتابى» ورئيس تحريره ـ للسفر الى جمهورية الصين الشعبية ، فى بعثة تمثل مختلف نواحى الثقافة فى مصر. ولقد ظل يرجو ـ الى آخر لحظة من لحظات اعداد الكتاب ـ ان يوافينا بالمـادة التى يفتتح بها بابا جـديدا يقدمه اليك تحت عنوان « رأيت وسـمعت لك فى آسيـا » ، ويضمنه ما سوف يقع عليـه بصره ، ويلتقطه سمعه من معلومات مشوقة ، ومادة طريفة ، خلال جولته فى الشرق الاقصى ..

على ان الظروف لم تمكنا من ان نتلقى المواد المرتقبة فى موعد مناسب قبل صدور الكتاب ، ومن ثم رأينا ان نرجىء الباب الجديد الى العدد القادم ، وان ندع الزميل محمد بدر الدين خليل يرافقك فى جولة هـذا الشهر ، بين الكتب والمسارح والحياة !

غرام تحت أشجار الصفصاف

فى اللحظـات التى ترافق فيها قلوبنـا الزميل حلمى مراد الى الشرق الاقصى ـ والى الصين بالذات ـ تعال نقم بجولة فى الأدب الشعبى الصينى .. فقد قرأت لك فى هذا الشهر « اوبرا » صينيـة ، بنيت على قصة من « الفولكلور » العريق يرجع عهدها الى ١٥ قرنا . وهى

تبين كفاح الفتاة الصينية فى عهد كانت فيه محرومة من كل شيء .. حتى التعلم !
هذه «الاوبرا» هى: «غرام تحت اشجار الصفصاف»:

تاقت نفس الفتاة « ينج ــ تاى » الى ان تلتحق بالمدرسة وان تظفر بنصيب من العلم ، كما يفعل الفتيان ، ولو اضطرت فى سبيل ذلك الى ان ترتدى ملابس الفتيان .. ويثور ابوها الشيخ «شو» ، ويوعز الى زوجته بان تصد ابنتهما عن عنادها، ولكن الأم تقول : « ان ابنتنا طموح ، وتشتهى الدراسة .. ويحسن ان تدعها تحقق رغبتها ياسيدى »

شو : فكرى فيما تقولين ياسيدتى !.. كيف يقدر لفتاة ان تبعد عن دارى ؟

وتفد « ينج ــ تاى » فى تلك الاثناء حزينة ، تنشد فى أسى: « فى ايام الربيع الطويلة ، لا املك دفعا لشجنى .. لأن أبى لايسمح لى بأن ادرس فى هانشو » ! .. وتروح تجادل اباها قائلة : **« بالرغم من اننى فتاة ، الا اننى اوتيت طموح الرجال »** .. ويحاول الأب ان يذكرها بما كانت تلتزمه النساء فى الماضى من طاعات ثلاث ، هى طاعة الأب ، وطاعة الزوج بعد الزواج ، وطاعة الابن بعد وفاة الزوج .. فتروح تذكره ــ بدورها ــ بفتيات استطعن ان يقمن بما لم يقم به الرجال، وتقول : «اليس هذا دليلا على انه من الخير للفتاة ان تتعلم ؟ »

ينج ــ تاى : من الخطأ ان تحسن الظن بالرجال، وان تسيئه بالنساء .. فمن النساء من هن افضل من الرجال !

وتكسب الفتاة القضية فى النهاية .. قضية حق الفتاة فى التعلم . على ان أباها يقيدها بشروط ثلاثة، اذا تحقق أحدها ، وجب عليها ان تقطع دراستها فورا وتعود الى البيت: اذا مرضت أمها ، واذا اساءت السلوك فى غربتها ، واذا لم تعد عذراء !

ولم يكتف الأب بذلك ، بل اعطاها سبع أقدام من الحرير

الأحمر، لتشنق نفسها اذا هى أصابت سمعة اسرتها بأى عار !

* * *

وهكذا ترحل « ينج ـ تاى » الى (هانشــو) ، مصطحبة وصيفتها وهما فى زى الفتيان . وتصادفان خلال السفر بعض اشجار الصفصاف ، فتهبطان لتلتمسا شيئا من الراحة تحت ظلالها . وهناك تلتقى « ينج ـ تاى » بشاب فى طريقه الى نفس مقصدها ، ولعين غايتها ، هو « شان ـ بو » . وتتوثق بينهما عرى الصداقة، دون ان تكشف الفتاة عن حقيقتها، فيتعاهدان على ان يكونا أخوين .

وتبدى الفتاة ذكاء ومهارة فى دراستها . ولكنها لاتلبث ان تتلقى رسالة من أبيها يطلب اليها فيها انتعود فورا .. ويؤون للصديقين المتآخيين ان يفترقا

شان ـ بو : عنــدما جئت الى المدرســة لأول مرة ، كانت الصفصافات خضراء ، والبرقوق الاحمر مزدهرا .. والتقينا فى الطريق ، فمال كل منا الى الآخر، وتعاهدنا على الأخوة.. واذ كنت اتقدمك عاما فى الدراسة ، فاننى اصبحت الأخ الاكبر .. ولقد تزاملنا فى الفصل نهارا ، وفى السكن ليلا . ولــكن اوامر أبيك يجب ان تطاع !

ينج ـ تاى : بالرغم من اننا لسنا اخوين حقيقيين ، الا انك عاملتنى كما لو كنت ابن أبى وامى .. (تصمت برهة مفكرة) **ترى من الذى يعنى بأمك فى غيابك يا أخى ؟.. لم لاتتزوج ؟**

ويذكر « شان ـ بو » انه منصرف بكل عقله الى الدراسة ، وان الكتب ـ فى نظره ـ هن الحسان المشتهيات ، ثم يتساءل : «لابد أن أبويك قد اعدا لك زوجة؟ » . وهنا تحرج«ينج ـ تاى»، وتميل الى ان تصارحه بالحقيقة ، ولــكنها تذكر شروط ابيها الثلاثة ، فتشرع فى الاجابة بعبارات تحتمل معنيين ، فتأمن ان تكذب على صاحبها ، وتأمن ان تخون وصايا أبيهــا . ومن ثم

تزعم للشاب انها أصغر سنا من ان تتزوج

ويريان فى البحيرة سمكتين تسبحان معا ، وعلى احدى الاشجار طائرين متآلفين ، فيذكران الفراق المنتظر . وتكاد زفرات «ينج ـ تاى» ان تشى بحقيقتها. ولكنها تتجلد وتروح تقارن بين حالهما وحال الطائرين . واذ ذاك يقول شان ـ بو : « انهما ذكر وانثى ، فى حين اننا اخوان ، ولسنا زوجا وزوجة، فكيف تقارن بيننا وبينهما ؟ »

* * *

ويأويان الى معبد ينشدان فيه شيئا من الراحة ، فيريان الى جوار الهيكل تمثالين لصبى وصبية من ابطال الأساطير ، فتنشد « ينج ـ تاى » قائلة : « انهما يبدوان كزوج وزوجة، ومع ذلك فان شفاههما لاتملك ان تنبس بالحب الذى فى قلبيهما ! »

شان ـ بو : لا يا أخى ، انهمـا لن يكونا زوجا وزوجة . . ابدا !

ويبصران بتمثال الاله الموكل بالزواج

ينج ـ تاى : اذا كان هو الاله الموكل بالزواج، فلماذا لايربط هذين (**تقصد شان ـ بو ونفسها**) برباطه الاحمر ؟

شان ـ بو : انه موكل بالزواج ، ولسوف يعمل على ان يزوج العاشقين الصادقين !

وتكاد الفتاة ان تصرخ لتنبه صاحبها الى حقيقتهـا . واذ يقبلان على شجيرات مزهرة ، تقـول له فى تلميح : « اقطف الزهور عندما تكون فى متناولك يا أخى ، ولا تدعها تذبل ، والا تحسرت عليها ! »

ويصادفان جدولا لابد لهما من ان يعبراه على معبرة ضيقة، فيتقدم « شان ـ بو » وتتبعه « ينج ـ تاى » .. وتميل على كتفه ، وتتظاهر بالخوف ، وتشكو من انهـا تشعر بدوار .. ولكن الشاب لايفطن قط الى ماوراء كل هذه المحاولات !

وعند الصفصافات ، يفترق الاثنان، وقد تعاهدا على اللقاء، ما استطاعا اليه سبيلا .. وتلمح الفتاة قبرا فتقول : « انظر يا اخى الى هذا القبر .. انه يحمل شاهدين متجاورين ! »

شان – بو : لعلهما زوجان دفنا معا !

ينج – تاى : هل من الممكن ان ندفن معا اذا متنا ؟

شان – بو : ليس لنا هذا ، فهو حق للزوج والزوجة .. أما نحن فأخوان!.. ولكنا فى موقف وداع يا أخى ، فلنتذاكر السار من الأمور

ويفترقان وهما كارهان .. ويتلفتان بين خطوة واخرى ، ليتزود كل منهما من صاحبه بنظرة !

★ ★ ★

ولا تلبث « ينج – تاى » ان تخطب ، فيقبل ابوها وامها الخطبة ، بينما تكون الفتاة فى لوعة وحنين ، وقد برح بها الشوق الى « شان – بو » . وما ان تعلم بنبأ الخطبة حتى تفزع ، وتنشد : « لقد ظلمنى ابى وامى ! » .. وتحنق على ابيها – الذى لم يكن يدرى سر غرامها – وتروح ترميه ، بينها وبين نفسها ، بانه يستغل سلطان الابوة للوصول الى ما يربطه بذى المال والنفوذ

وفيما تكون « ينج – تاى » منصرفة الى اساها ، تندب حظها ، وتبكى هواها الدفين فى صدرها ، يفد « شان – بو » لزيارة اخيه وزميله فى الدراسة « ينج – تاى » . ويرسل خادمه الى دار «الصديق» يسأل عنه ، فيلتقى بالفتاة ، وهى تناجى نفسها فى أسى : **« اننى لأغيب عن النهار والليل حنينا .. اذ افكر فى عزيزى الذى كان فى ظلال الصفصاف »** ! .. وتكاد الفتاة تجن فرحا ، فلا تنتظر اذن ابيها ، بل تأمر بفتح الابواب لحبيبها

ويلج « شان بو – » ، فما ان يراها حتى يجفل ، ويظنها



ابرام الخطبة بين والدى الخطيب ووالدى « ينج ـ تاى » وهذه الصورة ، والصورة المنشورة فى صفحة ١٥ ، التقطتنا لممثلين من الصين يؤديان «الأوبرا» فى بكين

شقيقة صديقه، ولكنها تقول: **« لاتضطرب ولا تحتار يا اخى!.. اننى كنت فتاة منذ البداية، وكم فكرت فيك منذ فراقنا تحت الصفصاف »** ! .. وبينما يشتد العجب بالشاب ، تروى له « ينج ـ تاى » سر تنكرها فى زى الفتيان

ينج ـ تاى (وهى تنكس رأسها) : لقد أردت ان انبئك الحقيقة ، ولكنى خشيت ان اصرفك عن دروسك ، وان الوث اسمى !

شان ـ بو : اذا كنت قد آثرت ان لاتخبرينى اثناء الدرس، فلماذا لم تخبرينى عند الفراق ؟

وتروى له كيف حاولت بالحديث عن الأسماك والطيور ، ان تنبهه ، ويفطن اذ ذاك الى انها راغبة فى الزواج منه .. وتمضى « ينج ـ تاى » قائلة : **« انك لم تبرح افكارى ، مذ عدت الى**

اهلى .. ولـكننى كنت فى نهارى ارتقب رسـالة منك ، دون جدوى .. وعبثاً كنت ارتقب ان ينبح كلبنـا فى الليل ، ايذانا بمقدمك ! »)

ولكنه حين جاء اخيرا ، كان مجيئه متأخرا .. وتوشـك «ينج ـ تاى» ان تخبره بخطبتها، ولكن الحياء والأسى يغلبانها، فنهرع الى احـدى الغرف الداخليـة من الدار .. ويعجب الشاب من امرها، ولكن خادمه يصارحه بالحقيقة التى استطاع ان يعرفها من خادمة الفتـاة ، فيشتد الأسى بشان ـ بو . . وتعود « ينج ـ تاى » فى تلك الاثنـاء ، فيمزجان اسـاهما ، ويتبادلان عبارات الوداع

ينج ـ تاى : ان كلامنا يحـدق فى الآخر خلال الدموع . . وانى لأودع ـ بقلب كسير ـ صديقى الكسير القلب !

شان ـ بو : ان الجبال تلتف فى سحب الحداد . .

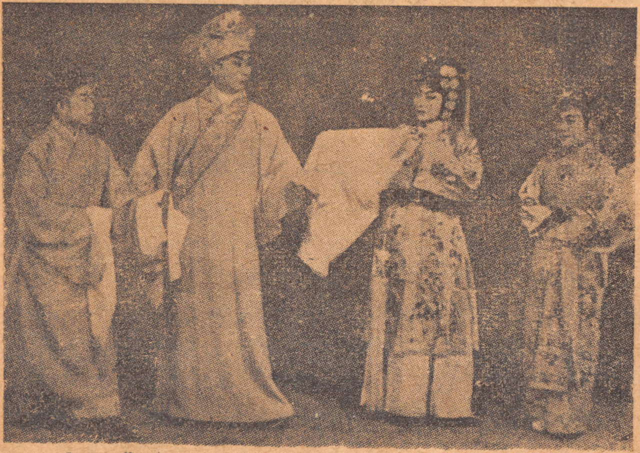
ينج ـ تاى : . . والريح البـاردة تهب ، فتتهـاوى اوراق الشجر الميتة على الأرض

شـان ـ بو و ينج ـ تاى (معا) : كرحالة بائسـين هدهم الأسى !

شان ـ بو : انما التفكير فى الزواج حلم خاو !.. اى أمل لنا يا ينج ـ تاى ؟.. اذا لم يكن بوسعى ان اتزوجك ، فلا بد لى من ان أعود الى أهلى ، ولكننى لن اطرح عن نفسى أسى هـذا الوداع .. وسأحتفظ بحبك فى فؤادى ، ولو مت !

* * *

وينصرف « شان ـ بو » يائسا لأن الشيخ « شو » ابى ان ينكث بالوعد الذى ربط به ابنته الى الخطيب الآخر .. ولا يلبث هذا الخطيب ان يطلب عروسه . وفى الوقت ذاته ، يعود خادم « شان ـ بو » ليزجى الى الفتاة نبأ موت سـيده .. وتصرخ الفتاة ، وتفقد رشدها



« شان ـ بو » يزور « ينج ـ تاى » فى قريتها

ينج ـ تاى (وقد عادت الى الرشد) : انى لأبكى وانادى اسمه.. ليانج شان ـ بو ، ايها الصديق الحبيب ، لقد اشتهيت ان اكون زوجتك، ولكن الصائد القاسى اقتنص طيور الحب.. ومع ان احلامنا كانت هباء ياشان ـ بو ، فلسوف اتبعك ، وسأظل وفية لك

ويزيدها لوعة ان تعلم من الخادم ان « شان ـ بو » مات من اجلها ، فقد برح به الهوى حتى اسقمه ، واشتد به الهزال حتى غدا يبصق دما.. ويقدم اليها منديل الشاب ملطخا بالدم، فتتأمله وهى تقول : « يا لها من ميتة قاسية يا شان ـ بو !.. احقا مت من اجلى ؟... لم اكن بالجاحدة ، ولكنه ابى الذى كان بلا قلب ! » . وتسأل الخادم عن قبر مولاه فيقول : « على حافة الطريق ، اسفل التل الجنوبى »

وتغد فى تلك الاثناء الموسيقى تأهبا للزفاف ، فتجمد الفتاة لحظة ، ثم تهب واقفة ، وتقول للخادم : « اذهب لفورك فجهز الذبائح ، وارتقبنى بجوار القبر! » . ويهم بأن يسألها ايضاحا، ولكنها تستحثه على الاسراع. ولا يلبث موكب العرس ان يصل، فيغضب الأب اذ يرى ابنته لم ترتد ثياب الزفاف بعد، ويرميها بنسيان « الطاعات الثلاث » ، فتخفف أمها من غلواء عتبه ، وتبكى ، فتقول « ينج – تاى » : « لا حاجة يا أماه الى ان تذرفى الدمع ، ولا تغضب يا أبى ! » .. وتجاهر بما كان بينها وبين « شان – بو » ، وما انتهى اليه الشاب من مصير

شو : مادام ليانج شان – بو قد مات ، فقد أخلى السبيل لكى تتزوجى « ما » (وهو اسم الخطيب)

ينج – تاى (تغمغم لنفسها) : ان أبى جبار ، اذ يغضب ابنته على امر كهذا . . ولكننى عقدت العزم على ان اتحايل عليه ، حتى يدعنى أقدم القرابين على روح شان – بو !

ثم تصارح اباها بأنها على استعداد لأن تزف الى الرجل الذى اختاره لها ، اذا هو تركها تستقل محفة العرس، وهى فى ثوب الحداد الأبيض ، لتسعى الى قبر حبيبها، فتقدم القرابين .. ويغضب الأب ويثور ، ولكنه لايلبث ان ينصاع ، حتى تقبل الفتاة الزفاف

* * *

وهكذا يسير موكب العرس – بين الطبول والأعلام – الى سفح التل الجنوبى .. وينج – تاى فى المحفة تناجى نفسها : « ما اعمق حزنى ، وما أثقل فؤادى، وما اعجزنى عن أن أوقف الدمع المتساقط على ثوبى ! .. لهفى عليك يا شان – بو ، ايها الحبيب !.. ما اشبهنى بطائر حبيس القفص ، لايملك ان ينشر جناحيه ليطير .. **من لى بمن يدرك قنوطى ! .. ياشان – بو التعس ، أفقدر على ان أحيا لأخون حبك ، بينما تعانى انت**

الوحدة فى العالم الآخر ؟.. لقد عقدت العزم على ان الحق بك فى دنيا الظلال ! »

وتهب فى اثناء السير عاصفة هوجاء ، وينهمر المطر مدرارا، ولكن «ينج – تاى» تصر على بلوغ القبر ، فترتمى عليه هاتفة: **«شان – بو .. ان دموعى تروى قبرك . اذا كان قد عز علينا ان نكون معا فى الحياة ، فلسوف يضمنا قبر واحد فى الممات!» .. وتتشبث بالقبر .. وتشتد العاصفة، ويجرى كل من كان حول الفتاة ينشد ملاذا . واذ ذاك ، ينشق القبر ، فتسير « ينج – تاى » الى جوفه فى جلال !**

ويقبل القوم اذ افتقدوها وقد طال غيابها ، فيذهلون اذ لايرون سوى طائرين ينفلتان من القبر ، ويحلقان معا !

ابك .. تضحك لك الدنيا

والآن .. تعال بنا الى جولة فى عالم النفس والعواطف ! لقد اعتاد القوم ان يأخذوا بالمثل القائل : « اضحك تضحك لك الدنيا » ، ولكن اقطاب علم النفس الحديث ، يزيدون على هذا : « .. وابك ، تضحك لك الدنيا كذلك! » . فهكذا يقول الباحث النفسى « بيتر فليتشر » ، فى المقال الذى انقله لك فيما يلى عن مجلة « افريبوديز » :

عند ما يبكى ابنك الطفل ، فحذار ان تقول له : « ان البكاء لا يليق بالرجال » ، بل دعه يبكى ما شاء له البكاء .. بل ان من واجبك انت الآخر ان تبكى ، وأن « تجهش » بالبكاء ، اذا شعرت برغبة فى ذلك .. فان الفكرة القائلة بأن البكاء عمل صبيانى ، ينم عن ضعف وانوثة وجبن ، فكرة خاطئة !

وكثير ممن يستحيون من البكاء ، يخجلون كذلك من الضحك ، فهل خطر لك ان تعرف سبب ذلك ؟ .. انه سبب بسيط :

فان الرابطة بين الضحك والدمع رابطة وثيقة ، حتى ان احدا لا يستطيع ان يجزم ببداية احدهما ونهاية الآخر . فكم من مرة سمعت من يقول : « لقد ظللت أضحك حتى بكيت ! » ، ولو ان المرء ترك على سجيته لقال : « لقد ظللت أبكى حتى ضحكت! »

ويقال ان النساء أيسر بكاء من الرجال . ولعلهن كذلك فعلا ، ولكنى لا أراهن أكثر ميلا الى البكاء — بفطرتهن — من الرجال . . ولعل « شكسبير » كان يدرك هذه الحقيقة ، فلم ير ان من المعيب للرجل ان يبكى ، بل انه جعل « مارك انتونى » يقول للرومان فى عزة ، حين شرع فى رثاء يوليوس قيصر :

« اذا كانت لديكم دموع ، فتأهبوا الآن كى تريقوها » !

ولسنا نقصد بالبكاء « دموع التماسيح » ، وانما نقصد البكاء الحقيقى الصادق .. البكاء الذى يتألف من نهنهة واجهاش . . اذ انه كثيرا مايكون علاجا نفسيا لحالات مستعصية ، فهو يطلق الانفعالات المكبوتة ، ويورث العقل والجسم راحة !

* * *

اذا داس المرء صمام البنزين — « الاكسيليراتور » — فى السيارة باحدى قدميه ، وداس « الفرملة » بالقدم الأخرى ، فما الذى يحدث للطاقة التى لا تتحول الى حركة وسرعة ؟ . . ان الذى يحدث يتمثل فى سلسلة من الاهتزازات والارتجاجات العنيفة . والجسم الآدمى كالسيارة ، فى هذه الناحية . فاذا نحن تعرضنا لطاقة تتولد فى أجسامنا اكثر مما ينبغى ، اشتد توتر اعصابنا ، ورحنا نهتز انفعالا ، أو غضبا ، أو خوفا ، أو سرورا . . وسواء كان الانفعال ناشئا عن سعادة ، أو كان ناشئا عن شقاء ، فانه يقلب انتظام تنفسنا ، ودورة الدم فى عروقنا ، وعملية الهضم . . ولا يلبث أن يصبح أمرا لا يطاق ، اذا نحن لم نفضفضه سريعا ، فيرج اجسامنا رجا . . **ومن ثم أمدتنا الطبيعة بالضحك والبكاء كوسيلتين للحيلولة دون حدوث**

ذلك . اذ انهما بمثـــابة صمامى أمن لتخفيف الضغط عـلى الأعصاب سريعا ، وبدون ضرر !

ذلك لأننا اذا لم نخفف هذا الضغط ،تعرضنا لمضاعفات .. فالسرور المـكبوت ينقلب الى سخرية واستهزاء ، فى حين ان الغضب المكبوت يتحول الى عناد ، والحزن المكبوت الى مرارة، وهكذا .. فهناك قائمة طويلة جدا من العلل الحادة التى تترتب مباشرة على الانفعالات التى لا نفضفضها عن انفسنا ... ومن هنا ندرك ان الضحك والدمع بلسمان شافيان !

ولابد انك لاحظت ــ من تجاربك اليومية ــ ان ضغط الانفعال يفقـدنا صفـاء الفـكر ، فيخل بادراكنـا ويعـرقل ذكاءنا ، ويخفض مقدرتنـا على الحـكم على الأمور . **فنحن اذا هزنا السرور ، رأينا الدنيا باسمة ، واسعة الآفاق .. اما اذا اشتد بنا الأسى او الاستياء ، فان اتفه كلمة تؤلمنا او تجرح كرامتنا !**

ونحن لا نملك ان ننسى ان الحياة تعرضنا دائما للانفعالات العاطفية ، وان الظروف التى تخلق هذه الانفعالات ، هى ذاتها التى تشجعنا على ان نكبح الوسائل الطبيعية التى تخلصنا منها ولما كان الضحك والدموع من اهم هذه الوسائل ، لذلك خذها نصيحة صادقة : « ابك .. واجهش بالبكاء ! » .. و «اضحك .. وقهقه ! » .. وفى الحالين ، تحسن صنعا لو انك اطلقت صوتك عاليا ، لأن هذا الصوت هو الذى ينقذك من المتاعب !

وداعا .. يا ردائى القديم !

قال جان جاك روسو فى الجزء الثالث من اعترافاته ــ الذى صدر به العدد الأخـير من « مطبوعات كتابى » ــ ان ديدرو كان يوحى اليه بأن يكتب بأسلوب اكثر سخرية وهجوا واقذاعا مما كان اسلوبه الطبيعى .. فكيف كان

اسلوب ((ديدرو)) نفسه؟.. اننى اتركك مهمة اكتشافه خلال سطور هذه القطعة التى نشرها فى سنة ١٧٧٢ ، تحت عنوان ((حسرات لوداع ردائى المنزلى القديم .. أو انذار الى اولئك الذين اوتوا من الذوق اكثر مما اوتوا من المال !))

ترى لماذا فارقته ؟.. كان قد ألفنى، وكنت قد ألفته، وكان ينسدل فى استرسال، وتهدل، حول انحناءات جسمى وزواياه .. وكان يبدينى بديع المنظر ، بقدر ما كان يظهرنى أنيقا !.. ولقد اعتاد ان يستجيب فى استسلام لكل مطلب يحلو لى ان انيطه به اذ ان المسكين يكاد يكون مبادرا للخدمة دائما . فاذا ما صادف ان كان احد الكتب مكسوا بالغبار ، فان طرفا من ردائى كان على استعداد دائما لأن يمحو عنه غباره وينظفه . ولو ان المداد كان كثيفا ، وأبى ان يجرى فى القلم ، فان حاشية من حواشى ثوب الحجرة القديم كان متأهبا لأن يستخدم كماسح للريشة.. **وكان بوسعك ان تدرك عدد المرات التى قام لى بهذه المهمة فيها ، اذا ما رأيت الخطوط الطويلة السوداء التى كان يحملها !.. كانت تلك الخطوط هى سمة المؤلف ، وجزء من الدليل على اننى عامل امين !.. اما الآن ، فانى أبدو كمتعطل غنى ، وليس بوسع امرىء ان يتنبأ من مظهرى بحرفتى !**

ولم اكن احتاج – اذا ما التففت فى ردائى القديم – الى ان أحمل هم جفوة الخادم ، او حرجى وترددى . لا ولا كنت مضطرا الى ان احترس من الشرر المتطاير من النار ، ولا من الماء المتسرب خلال السقف .. كنت السيد المطلق لردائى القديم ، ولكنى أصبحت عبدا لردائى الجديد.. اذ اننى اسير فيه تحت غمامة من القلق !

ان الفاوى الكهل ، الذى يسلم نفسه – وهو موثق الكتاف – الى رحمة نزوات عشيقة شابة رعناء ، لايفتأ يردد لنفسه من

الصباح الى المساء : ((اين .. أواه ، اين مدبرة بيتى القديمة الطيبة !)) . ثم يبكى ويطلق زفرة محسورة !



ديدرو

اما انا ، فلست ابكى ، لا ولم اعد اتنهد ، ولكنى لا انفك افكر فى نفسى : الا تعسا لذلك الوغد الذى اكتشف فن صناعة قطعة من القماش بحيث تبدو ثمينة ، بمجرد ان يصبغها بلون قرمزى!.. وليتخطف الشيطان قطعة من الثياب كهذه ، يبلغ من قيمتها ان اضطر الى الانحناء امامها ! .. الا ردوا على ردائى القديم ، المهلهل ، المريح !

★ ★ ★

الا احرصوا يا أصدقائى على ان تتشبثوا بأصدقائكم القدامى!.. وآه، يا اصدقائى! حذار من دنس الثراء المفاجىء!.. ليكن مثالى درسا لكم، فان الفقير يستطيع ان يكون على سجيته دون ان يحفل بالمظاهر ، اما الغنى فدائما ما يكون عرضة لتوتر الاعصاب !.. لقد هجرت برميلى ـ حيث كنت السيد صاحب السلطان ـ لا لشىء الا لادخل فى خدمة طاغية !

وليس هذا كل ما فى الأمر يا أصدقائى !.. لقد كان رداء الحجرة القديم ، على تناسق تام مع المتاع البائس الذى كان يملأ حجرتى .. فكانت تنسجم جميعا لترسم أكمل صورة للفقر الأمين . أما الآن ، فقد فسد التناسق .. الآن لم يعد ثمة تلاؤم ، ولا وحدة ، ولا جمال !

من حق المرء ان يتوقع المتاعب اذا جاءت خادم عانس لتدير

شئون بيت قس بروتستانتى ارمل ذى اطفال صغار عديدين .. بل عندما تفد أية امرأة لتعيش فى بيت ارمل ! .. وكذلك يكون التعب من نصيب الوزير الجديد، حين يخلف سلفا لحقه العار .. ولكن هـذا كله لايقاس بالتعب الذى اجتلبه دخيل قرمزى (يقصد ((الروب دى شامبر)) الجديد) على دارى !

ان بوسعى ان اتطلع دون استهجان الى امـرأة فلاحة .. فلا استنكر قطعـة النسيج الخشن التى تغطى رأسهـا ، ولا الخصلات الطليقة من الشعر التى تتهدل على خديها، ولا الاسمال البالية التى لاتكاد تستر جسمها ، ولا القميص القصير المهلهل الذى لايبلغ الا ركبتيهـا ، ولا قدميهـا اللتين تيبس الوحـل حولهما .. فكل هذه سمات وضع احترمه .. انها التعاسات التى ترافق عملا ضروريا ، ولكنه لايلقى الجزاء الجدير به .. وانى لأرثى لها !.. ولكن نفسى تغثى لمنظر مومس ، مهما تـكن انيقة ، معطرة ، فاشيح ببصرى الى الناحية الأخرى، وانا أبعد عنها بأسرع ما استطيع . اذ ان تصفيف شـعرها ـ بجدائله الصغيرة ـ على النمط الانجليـزى ، وكمى ثوبهـا المبتورين ، وجوربيها الحريريين القذرين ، وحذاءيها الباليين .. كل هذه تكشف لى الانتقـال الذى لم يكن منه بد ، من مسـتوى عال للمعيشة بالأمس ، الى تسكع اليوم

لقـد كانت غرفة مكتبى خليقة بأن تمثـل مثل هذا المظهر المنكر ، لو ان الرداء القرمزى العاتى، لم يضطر كل ما عداه الى ان يتمشى مع مظهره الأنيق !

* * *

ولم استبق من الامتعة المتواضعة التى كانت تحيط بى من قبل ، سوى تذكار واحد .. بسـاط مجدول قديم . هـذا الشىء الجدير بالرثاء ـ كما اعرف عن يقين ـ لايكاد يتمشى مع

أثاثى الفخم . ولكننى اقسمت يمينا لن انكث بها قط، ان يبقى هذا البساط حيث هو ، لأن قدمى « دنيس » الفيلسوف لن تدوسا يوما أبدع منه ، ولو كان من تحف لاسافونير (مصمم لأجمل الأبسطة والسجاد) . سأستبقى بساطى القديم ، كما يستبقى فلاح نقل من كوخه ـ ليصبح خادما فى قصر الملك ـ حذائيه الخشبيين القديمين . **وهكذا أنا ، سأظل كلما وفدت على غرفة مكتبى ـ فى الصباح ـ وانا اختال فى ردائى القرمزى ، أطل على الارض فأرى بساطى القديم المجدول . اذ انه يذكرنى بما كنت عليه، ومن ثم فسيضطر الكبر والغرور الى ان يقف جامدا عند اعتاب قلبى !**

لا يا اصدقائى ، ولا مرة اخرى .. ان الفساد لم يتطرق الى بعد . فلا يزال بابى مفتوحا لاى محتاج يلوذ بى ناشدا عونى، وسيجدنى سخيا كعادتى. سأنصت الى قصة بلواه، وامحضه النصح ان كان يبتغيه ، واساعده ان استطعت ، واظهره ـ فى اية حال ـ على عطفى عليه فى محنته . ان قلبى لم يقس عن ذى قبل ، ولا تضخم رأسى ، ولا ارتفع انفى فى الهواء عن سابق العهد به . ولا زلت أسير فى خطوة مستحبة كما كنت أفعل فى الاوقات الحوالى. ولا يزال كلامى خلوا من التصنع . وكذلك، لا يزال من السهل اثارة ضحكى او استدرار دموعى. **ان اسلوب حياة الترف لا يزال جديدا على ، فلم يجد ثمت وقتا لكى يؤثر فى . ولكن ، منذا الذى يستطيع ان ينبىء بما قد يأتى به مرور الزمن ؟ .** . ما الذى يمكن للمرء ان يتوقعه من رجل نسى امر زوجته وابنته ، وارهق نفسه بالديون ، وكف ـ بموجز العبارة ـ عن ان يكون زوجا وابا صالحا ؟

★ ★ ★

اننى لن البث ـ مع الزمن ـ ان ادفع لدائنى حقوقهم، فتقتل

حدة شعورى بالذنب . واذ ذاك أصبح قادرا على ان استمتع متعة كاملة بممتلكاتى الجديدة . ولـكن ، لا حاجة بكم الى ان تخشوا على ان اقع فريسة الخبل الذى يجعل الناس راغبين فى المضى فى جمع الأشياء الجميلة ، الى ما لا نهـاية . فلا يزال لى نفس الأصدقاء الذين كانوا من قبـل ، ولم اكتسب اصـدقاء جددا !

المرأة .. مكانها البيت

وهذا رأى طريف للـكاتبة ((مونيكا ديكنز)) ، قرأته لك فى مجلة ((باى)) .. انه رأى قـد لا يروق لكثير من الجنس اللطيف ، وخاصة بعد الخطوات الواسـعة التى خطتها المرأة فى السنوات الأخيرة . ولـكنه .. طريف ، وكاتبته امرأة .. وهذا شفيعى فى نقله اليك ، وقد قيل: ((ناقل الكفر ليس بكافر)) .. ان كان هذا كفرا !

كان لماى ويست يوما أغنية مطلعها : ((انا فتـاة من طراز قديم ، ولـكنى ذات آراء حديثة)) .. على اننى اليوم أقول : ((انا فتاة حديثة ، ولكنى ذات آراء من طراز قديم)) !.. فأنا عتيقة فى آرائى عن الأمور الخاصة بالنساء .. عمـا يرجون ، وعما يصلحن له ، وعما يسعدهن حقا !

لقد كان تحرر المرأة خطأ !.. او هو ــ بعد ان بلغ مابلغه ــ تحول الى خطأ ، فى رأيى . فقـد كانت النسـاء فى حاجة الى تخفيف شىء من القيود التى كانت تحيط بجداتنا فى اقفاصهن ، ولكنهن لم يكن فى حاجة الى انقلاب شامل كهذا الذى شجعهن على ان يصبحن متحفزات للعداء ، وان يزعمن انهن مساويات للرجال !.. والحق انهن لسن مساويات لهم . . أو هن لسن مساويات بالشكل الذى حاولن ان يزعمنه . وفيما عدا ذلك ،

فهن حقا على قدم المساواة مع الرجال !

كذلك ارى ان ((حقوق المرأة)) كانت خطأ آخر ، أو هى ــ على الأقل ــ مضيعة للجهود . فهى لم تضف الى سعادتنا القديمة سعادة ، لا ولم يقل أحد ان البلاد أصبحت أفضل حكما مما كانت من قبل ، بعد ان أبيح للنساء حق التصويت . وكم من نساء يعترفن فى بساطة بأنهن يصوتن لمن يمنحه ازواجهن أصواتهم !

ان النساء فى سويسرا لايشتركن فى الانتخابات ، ومع ذلك فان احدا لم يقل انهن يشقين بذلك .. بل ان معظمهن فى شغل عن السياسة بأعمال البيت التى يزدهين بها : بنفض الابسطة، ومسح الأرض ! . . ذلك لأن السويسريات ينهمكن ــ معظم نهارهن ــ فى الأعمال المنزلية، كما يقضين الامسيات فى دورهن، منصرفات الى الحياكة والرفو، بينما يكون رجالهن فى المشارب!

ومع انك اذا جست خلال سويسرا ، لاتكاد ترى انثى بدون «مرولة» ــ دليل العمل المنزلى ــ الا انك قل ان ترى زوجة سويسرية غير سعيدة .

* * *

ترى ما الذى ترجوه المرأة . . المرأة العادية ، ذات العقل العادى ، والبنيان البدنى المتوسط ؟.. وما الذى يجعل حياة المرأة سعيدة حقا ؟

الزواج بالطبع ، وانجاب الاطفال .. فانما لهذا خلقنا !

فاذا تزوجت المرأة ، فما الذى تراها تصبو اليه .. اعنى، ما الأمور التى تشتهيها فى قرارة نفسها، ومن وراء حجب الكبرياء والكرامة المزعومة ؟

انها انما تصبو الى الشعور بسلطان الرجل .. هذا هو الحق ، وهذا هو الواقع .. وهذا هو ما نعكسه ــ نحن بنات العصر الحديث ، المتنورات المثقفات ــ فى احاديثنا وكتاباتنا ..

واستطيع ان أقول ان أحب موارد السعادة للمرأة، هو ان تعمل فى بيتها ، من اجل رجلها ! . . لا سيما اذا كانت تزاول هذا العمل فى شىء من الاستمتاع ، لا كما تزاول الموظفة عملها فى المكتب ، وهى تتلهف الى انتهاء سويعات العمل ، لكى تجرى الى اللهو !

وما اكثر ما يتوفر فى عمل البيت من متعة !.. ولنضرب مثلا بالطهو .. انه من ابدع الاعمال التى تسمو الى مستوى الفنون الابتكارية .. فكم فيه من امكانيات للتجديد والابتكار والابتداع! .. وكم لهذا من بهجة لاتشعر بها المرأة الا حين تتحدث الى زميلتها عن طريقة خاصة انتهجتها فى اعداد صنف من الطعام !

ثم لنضرب مثلا بالأطفال .. ما من أم عنيت بنفسها بطفلها، وسهرت عليه الليل ، وتحملت مطالبه بالنهار ، وتوفرت على تمريضه اثناء سقمه .. ما من أم على هذه الشاكلة ، الا استشعرت لذة فى رعاية هذه القطعة التى اقتندت من بدنها !.. والواقع ان الامهات اللائى يعتمدن على مربيات ، كثيرا ما ينسين ان اطفالهن قطع منهن . وعندما يكبر الطفل ولا يعود بحاجة الى مربية ، تكون الأم قد كبرت فى السن ، فلا هى تشعر بالأمومة الحقة ، ولا هو يشعر بلذة حنان هذه الأمومة !

ولقد كانت الفتاة فى مدرستى لا تعد اعدادا كافيا للمستقبل اللهم الا اذا كان هذا المستقبل معناه ان تهبط الى ميدان الاعمال . فكانت تتلقى من دروس الرياضة اكثر مما تتعلمه عن التدبير المنزلى، او رعاية الطفل ، أو ثنى اطراف المنديل !.. فلنأمل ان تتكيف المدارس – بالنسبة للجيل الجديد – فتعلم الفتاة العادية ، ما سوف تحتاج اليه فى حياتها العادية .. الحياة التى اعدتها لها الطبيعة !

* * *

ان كثيرا من الرجال لا يتمالكون – حين اقول ان « البيت

هو المكان الطبيعى للمرأة » ـ ان يزمجروا قائلين: « اذن فلماذا تزمجرن يامعشر النساء ! » . . والجواب انه من العجيب ان تذمرنا هـذا جزء من سعادتنا . **فلا بد للمـرأة من ان تشعر بأنها تضحى وانها مغبونةـ فى ناحية ما ـ لكى يكتمل هناؤها. انه شىء من صميم نزواتها الطبيعية . وهـذا هو السر فى ان المترفات المدللات، لايفتأن يبحثن عن سبب للشكوى والتململ!**

لسوف تظل الأسرة نواة المجتمع ، ومن ثم فان مصير المرأة العادية هو العمل على خلاص نواتها ـ اعنى اسرتهاـ لا خلاص العالم . فلن يتسنى للمجتمع ان يحظى بأسرة سعيدة ، آمنة، مطمئنـة ، ما لم تكن ثمة امرأة تدبر شئون هـذه الأسرة . . ولن يقدر للعالم ان يعيش هانئا، وادعا، فى ظلال السلام، ما لم يكن كل مجتمع فيه مؤلفا من اسرات سعيدة ، آمنة ، مطمئنة!

لقد فطرت المرأة على انها لايمكن ان تشعر بالسعادة ، الا فى كفاحها لاسعاد الغير .. وهـذه هى الحقيقـة التى تغفل عنها اولئك اللائى يزاحمن الرجال ويشاكسنهم،ليثبتن انهن واياهم سواء !

هل أنت متأهب للظفر بالنجاح ؟

وليس من شـك فى ان كلا منـا يصبو الى ان يكون انسانا ناجحا ، يسـتطيع ان يرقى الى القمة . وهـذا اختبار بسيط ، يمكنـك من ان تدرك مدى ما لديك من كل عنصر من العناصر اللازمة ، فان النجـاح فى الحياة ليس وليد المصادفة ، وانما عليـك ان تسعى لاستكمال ما قـد ينقصك من هـذه العنـاصر ، حتى تسـتكمل استعدادك للفوز به .. وهذا الاختبار انقله لك عن كتاب « قوانين النجاح الازلية » :

التفاؤل : عندما تضطلع بعمل ، هل تشعر بالثقة فى نفسك ، أو انك تخشى دائما ارتكاب أى خطأ ؟

الهدوء : هل تستطيع ان تظل هادئا مبتسما امام الخشونة والعراقيل غير المرتقبة ؟

الاعتداد بالنفس : هل تطمئن الى نفسك أو انك تعانى من الخجل ؟

قوة الملاحظة : هل انت دقيق الملاحظة ؟.. فمثلا ، هل لاحظت الوان عيون وشعور آخر ثلاثة اشخاص قابلتهم ؟

الذاكرة : هل انت راض عن ذاكرتك ؟.. هل تستطيع ان تكرر من الذاكرة عشرة سطور من أى كتاب ، بعد ان تقرأها مرتين فقط ؟

الخيال : هل لديك خيال خصب ؟.. هل تستطيع ان تعثر فى خمس دقائق على عشر ميزات تجعل صنفا معينا من الحلوى ـ مثلا ـ يفضل ما عداه ؟

الحكم على الأمور : هل تستطيع بالغريزة ان تهتدى الى الحل الصحيح لمشكلات الحياة ، او ان القرارات والآراء التى تتخذها تتكشف عن خطأ أحيانا ؟

قوة تركيز الذهن : هل انت قادر على ان تركز ذهنك ـ لنصف ساعة ـ على موضوع يضجرك ، دون ان تسمح لذهنك بأن يشرد عنه قط ؟ . . هل تستطيع ـ على سبيل المثال ـ ان تجمع اعمدة طويلة من الارقام ، لنصف ساعة ، دون ان تخطىء ؟

قوة الارادة : هل انت سيد مسيطر على عاداتك ، او انك عبد لها .. وهل تملك ان تدأب على شىء ـ عقدت العزم عليه ـ الى ان تجنى ثمار دأبك ؟

الشخصية والاستعداد للزعامة : هل لك شخصية ترضى الجميع ؟.. وهل انت ملم بأسرار فن معاملة الناس ؟

اذا كنت واثقا من مقدرتك فى كل نقطة من هذه النقاط ،

فامنح نفسك عشر درجات . اما اذا لم تكن ، فقدر لنفسك درجة تتفق ومدى استعدادك . ثم احص مجموع الدرجات ، فاذا وجدتها أقل من ٥٠ ، فأنت فى حاجة الى ان تنمى فى نفسك المواهب التى تؤهلك للنجاح !

عودة الحبيب المفقود !

وكما بدأنا جولتنا فى هذا الشهر ، يحسن ان نختتمها .. لقد بدأناها بصورة رائعة من الأدب الشعبى الصينى ، تبين مايعانيه المحبون ، وما قد تقدم عليه الفتاة العاشقة اذا فقدت حبيبها .. أما — فى ختام الجولة — فأنقل اليكم صورة رائعة للفتاة الساذجة التى فقدت حبيبها ، اذا ما ارتد اليها هذا الحبيب المفقود .. وهى صورة من قلم الروائية الانجليزية البارعة « كاترين مانسفيلد » ، التى سبق ان قرأت لها وعنها فى « كتابى » من قبل .. وعنوان هذه القصة — التى الخصها لك فيما يلى — هو « درس الغناء »

سارت الآنسة «ميدوز» تخطر فى الردهات الباردة المفضية الى قاعة الموسيقى ، وقد اثقل الهم قلبها .. بل لكأنما كان هذا الهم سكينا خبيثة غاصت فى ذلك القلب !

وطالعتها التلميذات وقد تجلى عليهن المرح ، وأخذن يرفلن فى ثياب انيقة ، ويثرثرن فى انفعال بهيج .. واعترضت معلمة العلوم طريق الآنسة ميدوز ، فاستوقفتها قائلة فى لهجتها العذبة المتراخية فى دلال : « صباح الخير .. اليس الجو باردا ؟.. أحسب ان الشتاء قد أقبل ! »

واحتضنت الآنسة ميدوز الهم الدفين فى فؤادها ، ورمقت

استاذة العلوم فى كراهية، فلقد حسدتها على عذوبتها ، ولطفها. ولكن هذه ابتسمت فى وجهها ، وقالت وقد اومضت عيناها الزرقاوان: « لكم تبدين وكأنما جمدك البرد ! » .. **واصطنعت الآنسة ميدوز الابتسام ، ثم مضت فى طريقها !**

وكانت تلميذات الفصول ـ الرابع والخامس والسادس ـ قد اجتمعن فى قاعة الموسيقى ، تنبعث منهن ضوضاء تصم الآذان . والى جانب المعزف ـ القائم على المنصة ـ وقفت مارى بيزلى ، أحب التلميذات الى الآنسة ميدوز . ولكن هذه تجاهلتها ، وسارت الى المنصة فارتقتها ، ورفعت عصاها الصغيرة ، فدقت بها دقتين على حامل نحاسى ، وهتفت : « صمتا ! » .. وطاف بصرها بهذا البحر الزاخر بالرؤوس والثياب المتباينة الألوان ، ولكنها لم تكن تميز فتاة من الحضور !

وادركت ما كان يدور بخلد الفتيات اذ ذاك ، فهن ولا بد يشعرن بأنها فى مزاج غير موات ، ولكنها لم تحفل بما يرينه فيها. بل اختلجت اهدابها، ثم رفعت رأسها فى تحد . ما قيمة آراء مثل هؤلاء الصغيرات، لشخص كان قلبه ينزف دما، وقد غاص فيه خنجر صوبته اليه رسالة جاء فيها :

« ان شعورى يزداد قوة ـ فى كل يوم ـ بأن زواجنا خليق بأن يكشف عن غلطة قد يعز علينا اصلاحها. وليس فى هذا مايعنى اننى لا أحبك ، فالواقع اننى أحبك بأقصى ما يمكن ان أحب به أية امرأة . ولكننى اصارحك ـ صادقا ـ بأننى قد انتهيت الى اننى لست بالرجل الذى خلق للزواج . وان فكرة الاستقرار لتملأ نفسى ب .. » . وهنا كانت كلمة «الاشمئزاز» تبدو رغم المحاولات التى بذلت لكشطها ولكتابة كلمة « الأسف » بدلا منها !

وهتفت الآنسة « ميدوز » فى اعماقها : « اواه ، يا بازيل ! » . ثم سارت الى المعزف. واذ ذاك مالت مارى بيزلى نحوها، وقد تهدل شعرها ، وهمست : « صباح الخير » . ولكن المعلمة لم

تلتفت اليها ، ولم تشكرها كعادتها ، بل قالت فى صوت بادى الفتور : «ارجو ان تفتحي الصفحة الرابعة عشرة» .. ووجهت الامر ذاته الى الطالبات جميعا . وكانت القطعة التى اختارتها « مرثاة » !

وعادت الآنسة ميدوز تقول للتلميذات انهن سينشدون جميعا القطعة كلها ، وليست فقرة فقرة كالمعتاد .. وباشارة من عصاها ، اخذن ينشدن : **« ما اسرع ما تذبل ورود السعادة .. وما اسرع مايفضى الخريف الى شتاء ! »**. وكانت مرثاة مؤثرة ، ابكت كثيرا من الفتيات ، وبعثت فى نفس الآنسة « ميدوز » ذكريات الأيام الجميلة التى هدمها ذلك الخطاب

* * *

يا للسماء ! .. ما كان أحد ليتصور انها ستتزوج يوما ما ، ولا كانت هى تؤمل ذلك ، بعد ان بلغت الثلاثين .. ولكن المعجزة حصلت، وخطبها «بازيل» رغم انه كان يصغرها بخمس سنوات! .. ولقد ظل منذ ذلك الحين يبعث اليها برسائل تسيل رقة وعذوبة ، يحدثها فيها عما كان يبذله لاعداد بيتهما المرتقب . ولكن .. **ها هوذا قد قلب حياتها رأسا على عقب ، ولن تستطيع ان تواجه ناظرة المدرسة ، ولا المعلمات، ولا الطالبات، اذا ما شاع نبأ فسخ الخطبة**

لن يبقى لها سوى ان تستقيل وترحل الى مكان ناء ، تعيش فيه مع الأسى والآلام !

وفجأة ، اقبلت فتاة صغيرة تدعو الآنسة ميدوز الى مقابلة الناظرة ، فتلكأت المعلمة .. **بيد أن الصبية عادت تستحثها** وتتعجلها ، فسعت الى غرفة الناظرة فى خطى متثاقلة ، جامدة .. وكأنها غدت مخلوقا بلا روح !

وخفق قلبها جزعا ، اذ وجدت برقية فى انتظارها . فقد

خيل اليها ان «بازيل» قد انتحر . وفضت البرقية بأصابع مرتجفة، واذا بما ترى فيها : **« لا تحفلى بخطابى ، فلا بد اننى كتبته فى نوبة جنون . لقد ابتعت مشجبا للقبعات ، لمسكننا المقبل - بازيل »**

وسألتها الناظرة : « أرجو ان تكون انباء سيئة ! »

وألفت نفسها تضحك فى استحياء، حين سألتها الناظرة عما هناك ، وقالت : « انها من خطيبى ! »

واسرعت الى قاعة الموسيقى وقد فاض قلبها بهجة وحبورا. وهناك ، اطلت على تلميذاتها من فوق المنصة ، بوجه مشرق ، وطلبت اليهن ان يفتحن الصفحة الثانية والثلاثين من كتبهن .. وتأملت الاغنية لحظات ، ثم رفعت عصاها وانزلتها .. وشرعن يرددن : **« جئنا اليوم بزهور الأفراح ، وبسلال الفاكهة وقد عقدنا عليها الأشرطة الملونة .. لكى نقدم التهانىء »** !

وراحت تطلب الى تلميذاتها ان يرددن المقطع الأخير ، وهى تقول : « رددنه وانتن تتمثلن المنظر ، حتى تشيع فى الغناء روح الفرح »

وراحت تغنى معهن .. وكان صوتها - فى هذه المرة - مرتفعا فوق الأصوات الأخرى .. زاخرا بالتعبيرات ، عميقا ، متألقة بالشر !

بين « كتابى » .. والقراء

السيد الدكتور «زهدى باقو» - بحلب - يعتب على «كتابى» تخليه عن اللوحات الفنية التى كانت تلحق بكل عدد . وقد شاركه هذا العتب عدد من القراء . واذا كنا قد اختصصناه بذكر اسمه ، فانما ذلك لأنه من اكثر الاصدقاء حرصا ومواظبة على موافاتنا بملاحظاته .

والواقع ان « كتابى » لم ينزل عن اللوحات الفنية ـ التى اعتاد ان يقدمها لقرائه فى كل عدد ـ الا وهو كاره ، تحت ضغط ظروف فوق ارادته .. اذ ان هذه اللوحات نطبع على نوع معين من الورق الصقيل « كوشيه » ، اصبح استيراده علينا جميعا ان نترك الكثير من الضروريات ـ وليس من الكماليات فحسب ـ فى سبيل الصالح العام

عقد الياسمين

قصة مصرية بقلم

يوسف جوهر



مرت ساعات وهو يطوف باحثا عن بائع الياسمين . وبينما هو ماض فى سيره ، وقفت الى جواره سيارة صديقه «امين» الأنيقة ذات المقعدين ، وهتف به صاحبه : « الى اين انت ماض يا مرسى افندى ؟ »

ولم يجب ، بل فتح باب السيارة ، وانحط فيها وهو يتنفس الصعداء ، ثم اهاب به : « لقد وجدتك فى الساعة الحاسمة . سر على بركة الله حتى تعثر ببائع ياسمين .. فانى أريد عقدين »

وابتسم امين ، وقال وهو يستأنف السير : « ياسى مرسى .. **لا أحتاج الى كبير ذكاء لأعرف الى أين انت ذاهب . هلا سمحت لى مرة أن أرى ملاكك الذى ترفع اليه دائما قرابين الياسمين ؟ »**

وأجاب مرسى افندى : « أيها الداعر ! .. دعك فى ارضك ، ولا تحلم بالصعود الى سمائى ! .. لن أرضى قط أن تقع نظراتك الدنسة على وجهها النقى . ان الطهارة تستجدى وتستعير صفاتها من صاحبتى ، فأى اساءة تكون منى اليها أن أدعك ــ وانت ما انت ــ أن تراها ؟ ! »

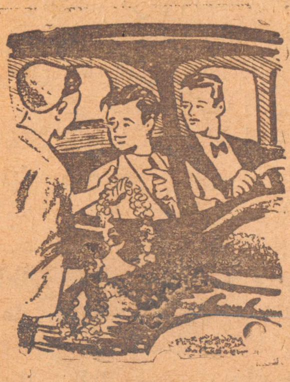
وخفض امين رأسه فى ذلة نصفها سخرية ونصفها الآخر صناعة وهو يقول : « امرك .. امرك يا سى مرسى »

* * *

وفى تلك اللحظة مر بائع الياسمين . واشترى مرسى عقدين .

وتساقطت نظرات امين الذليلة على زجاجة فى يده .

وحانت من مرسى التفاتة ، ورأى الزجاجة فقال بدوره : « هه .. زجاجة كونياك ياسى أمين .. طبعا يا سيدى ! .. لا احتاج الى كبير ذكاء لأقول لك الى أين أنت ذاهب . انك ذاهب الى تلك المرأة المستهترة مثلك .. ان الغراب لا يقع الا على الحدأة .. لو كنت وزير الشئون الاجتماعية لنصبت لكم



المشانق ياسافكى دم الفضيلة .. أهكذا ! .. جهارا نهارا ! .. »

واحمرت أذنا مرسى افندى حماسا ، ولوعة ، وغيرة للفضيلة ، وتشبثت أصابعه بذراع أمين .. ونسى انه واقف على رصيف شارع « فؤاد الاول » لا على منصة الخطابة فى جمعية « النهى عن المنكر » التى كان عضوا فيها ..

وانتهت مرثية مرسى افندى للفضيلة وتأبينه لمكارم الأخلاق بتنهدة عميقة وهو يقول : « **لو أنك رضيت يا أحمق أن أرى تلك الشاردة ، لهديتها الى سواء السبيل ، وصيرتها ملاكا !** »

وأجابه أمين : « لو رضيت لى أنت أن أرى ملاكك لبدلت من طبعه وقلبته شيطانا ! »

وقال مرسى حانقا : « **كذبت يا منافق .. أتظن بعذرائى العفيفة السوء لأنك نجحت فى أن تفتن فتاة رخيصة وتخدعها عن فضائلها ؟ .. أيصور لك خيالك الدنس أنهن سواء وأنهن يخضعن جميعا للاغراء كما يخضع الحذاء للقدم ؟ .. مسكينة نفسك العمياء السادرة فى الغواية يا امين ! . انت معذور .. انك لم تلق امرأة فاضلة !** »

وأجابه فى تهكم مبهم : « حقا ! .. يخيل لى أن فى اعماقى شعاعا قذرا لا يكشف فى المرأة الا محاسنها الجسدية . نوع منحط من « أشعة اكس » ! .. اما روحها .. ايه ! .. واأسفاه ! .. علمنى .. علمنى يا مرسى افندى كيف يقضى الانسان مع صاحبته ساعة بريئة .. فيما يفكر ؟ وماذا يقول ؟ وماذا يصنع ؟ .. علمنى ! »

وابتسم مرسى افندى ابتسامة كلها صلاح ، ولمع نور الايمان فى عينيه ، وتحفزت الفضيلة الساهرة فى قلبه لتثبت وجودها ، وقال وكله أمل فى أن يقنع صديقه بالهدى :

« اننى ذاهب اليها الآن .. سأجدها فى انتظارى على المقعد القائم على شاطىء النيل ، فى الجزيرة .. وسأجد معها كتاب فيكتور هيجو « الرسائل الى الخطيبة » الذى اهديته اليها منذ أيام .. لقد وعدتنى أن تضع خطا على الجمل التى تروقها .. ستسمعنى تلك الفقرات بصوتها العذب .. **واثناء قراءتها اطالع أنا الوداعة النائمة فى عينيها الصافيتين ، والطهارة المترقرقة على صفحة وجهها .. وأضع عقد الياسمين فى جيدها ، وأبدأ اختبر قوة ابصارى : هل استطيع أن أميز بياض عنقها من بياض الياسمين .. وأضع عقد الياسمين الآخر على مفرقها ليحيط بشعرها الفاحم كهالة بيضاء مهداة من السماء .. ثم اتناول أناملها المعبودة وأطبع عليها قبلة رقيقة كصلاة الطفل !..** ونسترسل فى الحديث . تحدثنى عن متاعبها من أجل الخير ، وعن جهودها فى جمعيات الاحسان ، وعما تبذل من أجل السائل واليتيم والمحروم .. وأحدثها بدورى عن جمعية « النهى عن المنكر » ، وعن اقتراحاتى المقدمة لمقاومة البغاء .. ثم نستسلم للصمت .. ونتأمل القمر وهو يسبح فى السماء كزورق من الفضة .. والنجوم وكأنها اسماء مضيئة فى بحر لجى .. ثم ارد الطرف الى وجهها الصبوح فأرى فى عينيها جمال السموات فى الليل .. وفى اهدابها وهى تلقى ظلالها على وجنتيها حلاوة ظل الشجر فى حر الصيف .. وأرفع اناملها مرة أخرى الى شفتى ، فأشعر كأن أناملها تقطر خمرا سحريتها لاتسكر ، لكنها تغسل النفس من اوساخها ووساوسها وشكها .. أرأيت ؟ ! »

وغمغم امين فى تهكمه المبهم مرة اخرى : « انك رجل طيب يا مرسى افندى .. واحسرتاه ، أين حضيضى من سمائك !.. »

وقال مرسى : « أطلب لك الهداية .. جرب ! حاول ..

حاول أن تشب بقامتك الغارقة فى الأوحال نحو المثل الأعلى ..»

وأجاب أمين : « **نعم سأحاول .. أعطنى عقدا من هذين العقدين أتقرب به من الفضيلة .. أهديه لفتاتى فتتحلى به وتشم فيه عبير النقاء !** »

وتردد مرسى افندى قائلا : « لقد اعتدت أن احمل لمعبودتى عقدين .. عقدا أضعه فى جيدها ، والآخر أضعه على مفرقها ..»

وقال أمين : « **يكفيها هذه المرة عقد واحد . قل لها ان العقد الآخر ذهب ليكون طوق النجاة لأختها الضالة ..** »

وقدم مرسى افندى لصديقه احد العقدين بيد ، ومد له يده الأخرى ليصافحه مستأذنا : « ان ميعادى مع ملاكى الساعة السادسة فوداعا .. »

وقال امين وهو يهز يد صاحبه : « حسنا ان ميعادى مع شيطانى فى الساعة السادسة أيضا ! »

* * *

وغادر مرسى سيارة صديقه .

ومضى قدما الى الخميلة التى تنتظره تحتها فتاته .. فان الساعة قد تعدت السادسة .

غير أن فتاته لم تكن هناك ! ..

وجلس ينتظرها ..

ووضع « عقد الياسمين » برفق وحنان على المقعد ..

لقد تعب حتى حصل على الياسمين هذه المرة . طاف بعدة حوانيت من حوانيت الأزهار .. وقطع عدة طرقات حتى كلت قدماه .. وأخيرا وجد بغيته .. وعثر على حبلين ناضرين رائعين من الياسمين جعل يتفنن مع صاحبه – وهما فى السيارة – فى تنسيقهما . **ثم أخذ يبحث عن خيط يربط به طرفى كل حبل .. وأعجزه البحث .. فاضطر اخيرا الى أن ينتزع فتلتين من زر طربوشه ليربط كل عقد بفتلة ! .. وابتسم وهو يغمغم لنفسه : « حقا ان الحاجة ام الاختراع »**

وزحفت عقارب الساعة نحو السابعة و«آمال» لم تحضر ..

وتململ .. ثم أخذ يروض نفسه على الصبر، وحاول - قطعا للوقت - أن يتذكر ما قرأه فى شعر الغزل عن « الوعود المطولة » وعن الغضب والرضا، والصد والاقبال . ووعد نفسه بموقف عذب من تلك المواقف التى تحدث دائما بين المحبين . سيلومها لانها تخلفت وجعلته ينتظر بقلق . وسيبدى لها الجفاء . وستأسف، ويكسو الندم والألم وجهها الفاتن، وتضع راحتيها على كتفه ملتمسة الصفح . وسيتجهم أول الأمر، وينحى كفيها عن كتفيه . ثم يتناول راحتيها مرة أخرى وهو يرى الحزن يخيم فى عينيها، ويسكب فى كل منهما قبلة هى قطعة من قلبه . هذا هو ما ينبغى ان يجرى عليه الحب . هذا هو منطقه .. على « آمال » الدفاع، وعليه الاقتناع .. ثم الصفح !

ومضت الساعة تزحف نحو الثامنة . وبدأ مرسى افندى يتململ حقا ويضجر حقا . وبدأ الاستياء يختمر فى نفسه اختمارا « جديا » . وبدأ ينكر نظريته فى لذة الوعود المطولة، وفى جمال الغضب والرضى، والصد والاقبال . **واحس ببذور الثورة فى صدره .. لقد دأبت « آمال » على خلف المواعيد !. لكأنها لم تعد تأبه به ! لكأن تسامحه واسراعه الى مصافاتها قد اطمعاها ! . ان له معها الليلة شأنا آخر.** حقا انها فتاة طاهرة . وانها تعبر عن الطهارة كما كانت تعبر صحيفة الحزب عن آرائه السياسية . لكن هذا لا يعطيها الحق فى ان تهمله ساعتين كاملتين . سيلقاها هذه المرة ساخطا أعنف السخط وأقساه .. سيريها كيف تكون غضبة الرجولة .. ولن يصده عن ذلك أنها ملاك، فانه ليس من حق الملاك أن يعبث كل هذا العبث بالقلب البشرى !

* * *

واذ هو يدير هذه الخواطر فى رأسه، امتدت الكفان الرقيقتان من خلفه، وحجبتا عينيه فى مداعبة حلوة . وتسلل عطرهما المحبب الى أنفه، فاستل من رأسه سخطه وقتل فى صدره ثورته . ولم يستطع أن يتريث فى نقل راحتيها من عينيه الى شفتيه، ليشبعهما لثما، وهو يقول عاتبا فى خضوع : «ساعتين كاملتين ! .. من السادسة الى الثامنة، وانا انتظر ! »

اجابته : « لم أكن يا مرسى اتوقع اننى سأبقى طويلا فى تلك الحفلة الخيرية التى دعتنى اليها احدى صاحباتى فجأة . وحدثتنى نفسى بأنك لن تغضب حينما تعلم أننى اضعت كل هذا الوقت فى بيع الأزهار للحاضرين، وأننى جمعت من ذلك مبلغا كبيرا للفقراء . **وها هى بائعة الازهار قد نالت أجرها .. لقد وضع طفل جميل يتيم فى عنقى هذا العقد من الياسمين . انظر .. هل تراه جميلا ؟ »**

وهفا قلبه الى العطر الصادر من العقد المحيط بجيدها ومد يده بعقده ليلبسها اياه وهو يقول : « اليك عقدا مهدى من اله الحب ليعانق على صدرك عقدك المهدى من آلهة الحنان والاحسان »



وجمدت يده .. وجحظت عيناه وهو منحن على عنقها ليربط عقده .. فقد كان العقد الآخر مربوطا بفتلة سوداء، من « زر » طربوش !

وعرك عينيه ليتثبت من انه ليس فى حلم !

وكانت اليقظة الموجعة تقول له : «ان كلا من العقدين مربوط بفتلة من «زر» طربوش»

وكانت الفتلتان السوداوان تؤكدان له فى سخرية قاسية أن الملاك والشيطان ليسا الا اثنين فى واحد !

وادرك بغتة سر التهكم المبهم الذى يسقى صوت صديقه امين وهو يقول له : « انت رجل طيب .. ! »

لقد صار هذا التهكم يطن الآن فى أذنيه طنين الاجراس !

وسألها عما قراته من كتاب «الرسائل الى الخطيبة» فانطلقت تحدثه عن النقاء الذى ينبع من كل سطوره ، فى عبارات مبهمة.

وفهم انها لم تقرأ منه سطرا .

وتناول الكتاب ليتثبت من ذلك .

فاذا بقعة كبيرة ذات رائحة نفاذة تبلله . وأدنى هذه البقعة من أنفه ، وزكمت خياشيمه رائحة « كونياك » !

* * *

من ذلك الحين لم يعد مرسى افندى يقحم فتاته فى أحاديثه عن جمعية « النهى عن المنكر » .. ولم يقلها بعد ذلك قط .. وبالتالى لم يعد قط الى شراء عقود الياسمين .. بل صارت رائحته أبغض الروائح الى نفسه . ونشأ بينه وبين باعته عداء مستحكم . وصار يضمر لهم بغضا شديدا .. لم يرث لهم قط وهو يرى الشرطى ، فى بعض الاحيان ، يهوى بيده الغليظة على أقفيتهم ، ويقبض على أعناقهم ..

على العكس .. كان يشعر بشىء من .. التشفى !



قارون

أغنى الرجال وأتعسهم فى تاريخ البشرية

للمؤرخ الإغريقي الخالد "هيرودوت"



ملك .. كان جده عبدا !

◆ كان أجداده من العامة ، الذين تهبط بهم أقدارهم الى مصاف العبيد ،ومع ذلك فقد رفعه الحظ الى أعلى مكانة ،ليعود فيخفضه الى الدرك الأسفل .. أعطاه كل ما تصبو اليه النفس البشرية من ثراء ، وجاه وسلطان ، حتى لقد كان أول شخص من أبناء القبائل الهمجية فرض نفوذه على الاغريق .. فأخضع مدنهم للجزية ، وتحالف مع البعض الآخر .

ذلك هو « قارون » الذى وردت سيرته فى الكتب السماوية ، والذى نلخص لك هنا سيرته عن « التواريخ » .. المرجع التاريخى الأعظم ، الذى وضعه أبو المؤرخين : « هيرودوت »

الديكتاتور .. ((المتسامح)) !

◆ كان ((جايجز)) الحارس الأثير لدى ((كاندوليز)) ، ديكتاتور (ساردیز) ، مقر سلطان الليديين .. ولقد بلغ من ثقة الطاغية بحارسه هذا ، انه كان يؤثره بادق اسراره العامة والخاصة ، وكثيرا ما كان يرتل على مسمعيه مفاتن زوجته التى كانت من أجمل بنات حواء ! .. وعندما خيل اليه يوما ان الحارس لا يصدق قوله ، زين له الغرور والرعونة أمرا ، فهتف : ((**أرى انك لا تصدقنى يا جايجز ، فيما أصف به زوجتى .. اذن فلا بد من ان تراها عارية !**))

وصعق جايجز ، وقال : ((مولاى ، اى اقتراح هذا ؟ ! أتدعونى الى أن أرى مليكتيعارية ؟ **ان المراة تخلع حشمتها اذا ما خلعت عنها ثيابها . ولقد وضع القدامى أمثلة حكيمة ، علينا ان نتعلم منها .. ومن هذه الأمثلة مثل يقول : ((لينظر كل انسان الى ما يخصه من أمور))** .. وانى لمقتنع تماما بأن مولاتى أجمل امراة ، ولكنى ألتمس ان لا تحملنىعلى ما لايليق .. ولا ريب فى ان جايجز ـ اذ راح يعارض فى الحاح ـ كان

يخشى ان يصيبه بعض الضرر ، ولكن الملك قال له : « لا تخش ضرا ، فلن تعرف زوجتى عن الأمر شيئا .. لسوف أخبئك وراء باب مخدعنا ، وقد اعتادت زوجتى ان تفد الى الفراش حين ألج المخدع ، فارقبها وهى تخلع ثيابها قطعة فقطعة .. حتى اذا انتهت ، واستدارت آتية الى السرير ، مولية ظهرها نحوك ، حانت لك فرصة الفرار دون أن تراك ! »

ولم يجد جايجز مفرا .. فلما هبط الليل ، قبع خلف مقعد لدى باب المخدع ، وشاهد مفاتن المرأة .. على انها لمحته ، فلم تنبس ببنت شفة ، بل تغافلت عنه ، وقد ادركت ما لزوجها من يد فى الأمر .. ولكن صمتها لم يكن سوى ستار ، راحت تدبر من خلفه خطة للانتقام .. خطة ترضى كرامة أنوثتها !

انتقام الملكة لأنوثتها الجريحة !

• **واذ** أقبل الصباح ، دعت الملكة الحارس اليها ، وبادرته قائلة : « اننى أخيرك بين امرين لا ثالث لهما يا جايجز : **اما ان تقتل كاندوليز وتستولى على انا وعلى مملكة الليديين ، واما ان تفقد حياتك جزاء لك على اطاعتك اياه وتطلعك الى ما لا يحق لك رؤيته ! »**

وعصفت الحيرة بالرجل ، ولكنه ما لبث ان آثر حياته على حياة مولاه ، واذ ذاك قالت المرأة : « سيكون الانتقام فى نفس المكان الذى مكنك فيه من ان ترانى عارية .. ولسوف تنقض عليه وهو نائم »

وتمت الجريمة ، وأصبح ملك الليديين وعنان اجمل نسائهم طرا فى قبضة « جايجز » .. الحارس ، الوضيع الاصل !

وثار الشعب ، لولا ان اقترح بعض خلصاء الملكة ان يسعى القوم الى معبد « دلفى » ، فيطلبوا من الكهنة نبوءة الآلهة .. وأيدت النبوءة سلطان « جايجز » ، ولكن احدا لم يفطن الى جزء منها لم تبد أهميته اذ ذاك ، وقد جاء فيه : « سيتم

الانتقام لأسرة هرقليديا ـ التى كان كاندوليز من ابنائها ـ فى الحفيد الخامس لجايجز » !

وكأنما فتح هذا الفوز شهية الحارس الى السلطان ، فراح يوسع رقعة ملكه ، فسير جيوشه الى آسيا وآسيا الصغرى .. وخلفه ابناء اقتفوا آثاره فى توسيع رقعة ملكهم ، حتى آل الأمر فى النهاية الى الابن الذى كان أعظمهم وآخرهم .. الى « كرويسس » (الذى عرف فى العربية باسم « قارون »)

من هو اسعد اهل الأرض ؟ !

• **وما** ان تولى « قارون » الحكم ـ وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ـ حتى أحدث انقلابا لم تشهد مدينة (ساردیز) مثيلا له فى تاريخها ، اذ جعل لمملكة (ليديا) مكانة لم تتيسر لسواها ، وجعل عاصمته قبلة للعلماء والحكماء .. وكان منهم « صولون » الحكيم الأشهر ، الذى ظل يجوب البلدان عشر سنوات ، قبل ان ينتهى به الطواف الى (ساردیز) .. وما كان ذهابه اليها اعتباطا ، وانما كان تفاديا منه للاقامة فى (اثينا) ، اذ كان قد وضع للمدينة دستورا ـ بعد رجاء ملح من اهلها ـ وحملهم على ان يقسموا الا يغيروا من هذا الدستور شيئا ، خلال السنوات العشر التالية ، الا باذن منه

لذلك تعمد « صولون » ان يكون بعيدا عنهم فى تلك السنوات ، فجاس خلال البلدان ، وزار مصر فى عهد الملك « اماسيس » ، ثم هبط (ساردیز) فاحتفى به قارون ايما احتفاء .. **حتى اذا كان اليوم الرابع لاقامة الحكيم فى ضيافة الملك ، أمر هذا بأن تفتح الخزائن ليطلع « صولون » على ما فيها من أكداس الذهب والجواهر ..** واذ فحصها صولون كلها فحصا دقيقا ، جاءه قارون مزهوا ، وهو يظن نفسه أسعد أهل الأرض طرا ، فقال للحكيم : « لقد بلغتنا شهرتك الواسعة ، ياضيفى الأثينى ،

فدفعنى ما سمعت من أمر حكمتك وطوافك بالبلدان اطلاعا ، الى ان أسألك: من هو أسعد الرجال ممن رأيت على ظهر الارض؟»
.. فقال صولون : « تيلوس الأثينى »

واستغرب قارون الأمر ، فما كان ليخطر بباله ان على ظهر الأرض من هو أسعد منه ! .. وعاد فسأله : « ترى .. على أى اساس حكمت بانه اسعد الناس ؟ » . فاجاب الحكيم : « لقد عاش تيلوس فى دولة حسن حكمها .. وأوتى أولادا صالحين أتقياء ، قدر له ان يرى ذريتهم جميعا .. ثم انه بعد ان عاش فى هناءة ـ بقدر ما تسمح ظروف البشر ـ اختتم حياته بأمجد ما تختتم به حياة ، اذ خف لمعونة الاثينيين ـ فى معركة دارت بينهم وبين جيرانهم الاليوسيين ـ وبعد ان اضطر الأعداء الى الفرار ، مات ميتة نبيلة ، فدفنه الاثينيون حيث سقط فى ميدان المعركة ، وكرموه ايما تكريم ! »

الابنان اللذان جرا عربة أمهما !

• **واذا** لم يكن « قارون » هو أول السعداء بين أهل الأرض ، فلا بد انه الثانى ! .. ولكنه شاء ان يطمئن ، فسأل الحكيم : « اذن ، فمن تراه الثانى بين أسعد الناس ؟ » .. وأجاب صولون لفوره : « كليوبيس وأخوه بينون ! » . واستوضحه قارون أمرهما ، فقال :

ـ كانا من ابناء (آرجوس) ، وقد اوتيا من المال كفايتهما ، كما أوتيا من القوة البدنية ما مكنهما من الفوز فى جميع الألعاب العامة .. ومما يروى عنهما ، ان أمهما رغبت فى الذهاب الى المعبد ـ يوم الاحتفال بعيد الربة « جونو » ـ ولكن الثيران التى كان مقررا ان تجر مركبتها لم تصل من الحقل ، وأوشك موعد الاحتفال ان ينصرم . **فلم يكن من الشابين الا ان قاما بجر العربة الى المعبد ، الذى كان يبعد ثمانية أميال ، الأمر**


هيرودوت

الذى ادهش الناس واثار اعجابهم ، فاقبلوا على الأم يهنئونها بولاء ولديها .. وأفعم قلب الأم بالاغتباط ، فوقفت فى المعبد تدعو الربة ان تمنح ابنيها من النعم أقصى ما يمكن ان يتاح لانسان .. وبعد ان قدمت القرابين ، واقيمت الولائم ، اخلد الشابان للنوم فى المعبد .. فلم يستيقظا بعد ذلك قط ، اذ شاءت الربة ان يكون اكرامهما امهما هو خير ختام لحياتيهما .. وقد أقام أهل ارجوس تمثالين لتخليد ذكراهما ، فى معبد دلفى !

الحظ فى الدنيا .. والسعادة بعد الموت !

• **ونال** الغيظ مناله من قارون ، فقال : « ياصديقى الأثينى هل صغرت سعادتى فى نظرك ، حتى لم تعد شيئا مذكورا ، وحتى أنك لاتقدرنى بمثل ما تقدر به هؤلاء العامة ؟ » . فأجاب الحكيم : « اتحاسبنى يا قارون عن أمور البشر ؟ . أتسالنى أنا الذى أعرف ان الآلهة تغار دائما ، ومن ثم فانها تستطيب المفارقات !.. ان الناس مسوقون أن يروا ــ على مر الزمن ــ كثيرا من الأشياء التى لا تطيب لهم رؤيتها ، ولا يخطر ببالهم ان يروها .. وايضاحا لذلك أرى ان متوسط عمر الانسان سبعون عاما ، أى انه ستة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون يوما .. وكل يوم من هذه الأيام يأتى على الانسان بشىء جديد. فأما أنت يا قارون ، فانك ــ فيما أرى ــ مالك لكنوز فريدة ، وملك لعدة أمم .. **وأما بالنسبة لما تسألنى عنه ، فانى لاأستطيع**

أن أخبرك برأيى فيه حتى أسمع أنك انهيت حياتك وأنت سعيد ! فليس من الضرورى ان يكون اغنى الأغنياء أسعد ممن لا يجد الا كفاية يومه ، اللهم الا اذا ظلت أمواله ترافقه حتى الموت ! .. وكم ممن يملكون الأموال لم يحظوا من السعادة بشىء ، وكم من اصحاب الثروات المتواضعة من هم محظوظون ! .. ذلك لأن صاحب المال قد لا يمتلك شيئا سوى ماله ، فى حين يؤتى المتواضع الثراء أولادا صالحين ، وبدنا سليما ، ونعما أخرى .. والذى تنتهى حياته وهو مستمتع بهذه ، هو السعيد ! .. **وخليق بنا ان نمسك عن الحكم على المرء قبل موته ، فلا نصفه بأنه سعيد ، بل لنقل انه محظوظ ! .. فالعبرة بالنهاية ، وكم من أناس رأوا قبسا من السعادة ، ثم انعكست بهم الحال ! »**

ولم يرق هذا القول لقارون ، فلم يلبث ان طرد صولون ، اذ اعتبره شديد الغباء !

صراع .. مع القدر !

• **وما** ان رحل صولون ، حتى بدأت الكوارث تنزل بقارون .. ولعله اسخط الآلهة بما أظهر من تكبر واعتداد !

وواتاه النذير فى حلم روعه وأرقه وأوحى اليه بشر يوشك ان يحل بأحد ولديه .. اذ كان قارون قد انجب ولدين ، احدهما لا فائدة منه لتحقيق اطماع الملك ، اذ كان اخرس .. أما الآخر ـ واسمه « أتيس » ـ فقد بز كل أقرانه وتفوق عليهم ، فكان معقد رجاء قارون وملتقى أمله .. لكن الرؤيا أنذرته بأنه سيفقده على أثر جرح يصيب الولد من سلاح معدنى !

وعندما استيقظ قارون من نومه ، تملك الحزن قلبه ، وشاع فى نفسه القلق على مصير ابنه ، ومصير ملكه من بعده .. لكنه لم يطل التفكير ، بل حزم أمره ، وقرر أن يتحدى الأقدار ،

فيحفظ على نفسه مسرته الكبرى ، او بالأحرى ولده الحبيب!

وأمر بالأسلحة المعدنية كلها ــ سهاما كانت أو حرابا ــ فجمعت من الحراس ، ووضعت فى خزانات خاصة . وحرم على ولده الخروج على رأس الفرق العسكرية التى كان قد اعتاد ان يقودها . واختار له عروسا جميلة زوجه اياها ليلهيه عما قد يلم بنفسه من شوق الى الحرب أو الصيد !

واقيمت الحفلات متألقة لزواج ابن اغنى الملوك واشهرهم فى عصره .. وبين الأنوار المتألقة ، والولائم الحافلة ، وصل غريب افريقى من عائلة مالكة الى مدينة (سارديز) ، والتمس من الملك الامان والحمى، فأمنه قارون ، وسأله : « ايها الغريب النبيل .. من أنت ؟.. ومن أى مكان فى افريقيا أتيت ؟.. ومن يكون الشخص الذى قتلته والتمست منا العفو عن جرمك؟»

ــ سيدى . . أنا ابن جورديوس بن ميداس ، واسمى ادراستوس . وقد قتلت أخى دون ما تعمد ، فعاقبنى ابى وجردنى من كل شىء .. وها أنذا بين يديك !

ــ ان أهلك من أصدقائنا ، ومن ثم فقد حللت بين أصدقاء، اذا اخترت البقاء بينهم فلن تحتاج الى شىء ، وستتخفف من عبء وزرك !

وهكذا . .اتخذ ادراستوس مقامه ، ضيفا على قصر قارون.

.. وصراع مع الابن !

• ولم ينقض وقت طويل حتى ظهر على جبل (اوليمب) وحش هائل الحجم ، اخذ يهبط الى مزارع (ميسيا) فيتلفها ، دون ان يفلح القوم فى مطاردته والنيل منه . . حتى اذا غلبوا على أمرهم ، اوفدوا فريقا منهم الى الملك . فلما مثلوا بين يديه ، قالوا له : « ايها الملك .. لقد ظهر فى بلدنا وحش مهول، اتلف حقولنا ، ولم تجد معه كل محاولاتنا . وها نحن أولاء بين يديك نرجو ، ونلح فى الرجاء ، أن ترسل معنا ابنك فى

صحبة مجموعة من الشباب الاقوياء وكلاب الصيد، لينقذونا!»
وهنا تذكر «قارون» ذلك النذير الذى واتاه فى المنام، فقال: « لا عليكم بذكر ابنى ، فلن أرسله معكم ، لأنه حديث عهد بالزواج واهتمامه محصور فى عروسه .. ولكنى سأرسل معكم مجموعة مختارة من الليديين، ومعهم قافلة كاملة للصيد ، بكل معداتها .. وسآمرهم ببذل كل ما فى وسعهم لمساعدتكم وطرد الوحش عن بلادكم »

ولكن ابن قارون ، لم يكد يسمع بالأمر ، حتى جاء الى والده وراح يلحف فى التماس الاذن له بالذهاب مع الذاهبين ، قائلا : « أبى ، لقد سمحت لى فيما مضى بممارسة أشرف عملين : الحرب ، والصيد . **ولكنك الآن تمنعنى عنهما، دون أن تعرف عنى جنبا ولا خورا ، فماذا يقول الناس عنى ؟.. وكيف يكون ظن مواطنى بى ؟.. وماذا يكون رأى زوجتى فى ؟ .. أى نوع من الرجال ستظن زوجها ؟.. فاما أن تسمح لى بالذهاب الى ذلك الصيد، أو فلتقنعنى بأنه من الخير لى ان أبقى كما تريد!»**
ولم يجد قارون بدا من أن يروى لابنه قصة ذلك الحلم ، ورجاه ان يبقى ، لأن مصير المملكة معلق عليه . فقال الشاب: « لست ألومك ياابى، ولكنى سأشرح لك شيئا لم يخطر ببالك.. ان الحلم ينبئك بأن ابنك سيموت من سلاح معدنى ، ولكننا لانستعمل أسلحة معدنية فى مطاردة الوحوش . وما يرمى الحلم الا الى ان الموت سيكون فى قتال ضد رجال، وليس أثناء مطاردة حيوان .. واذن فليس ثمة ما تخافه على من هذه المطاردة ! »
قال قارون : « لقد غلبتنى يابنى، فلتذهب الى المطاردة ». ثم ارسل الى ادراستوس الافريقى فقال له : « ادراستوس ، لقد امنتك ومحوت عنك ذنبك ، واستقبلتك فى بيتى، واحطتك برعايتى . وقد آن لك ان تقدم لى صنيعا فى مقابل ما قدمت

لك من جميل: انى أرجوك أن تكون حارس ابنى فى هذا الصيد، فانكم مشهورون بالمهارة فى مثل هذه الأمور ». فأظهر الشاب استعدادا طيبا، ووعده بأن يرد اليه ابنه سالما

وقتل الشاب .. بيد حارسه !

• وبلغ المطاردون جبل (اوليمب)، وعثروا على الوحش. فضربوا حصارا حوله، ووقفوا مشهرين رماحهم .. وكان ادراستوس يقف فى مكان من الدائرة يواجه المكان الذى وقف فيه ابن قارون .. **وما لبث الافريقى ان صوب رمحه الى الوحش، ورماه بعنف، واذا بالرمح يخطىء الهدف، فيصيب قلب أتيس. وخر ابن قارون صريعا .. بيد حارسه !**

واسرع احدهم الى (سارديز) فأخبر قارون بما كان، فوقع عليه الأمر وقع الصاعقة، والتجأ بكل قلبه الى الآلهة، ولكنه لم يجد عزاء عن ابنه الذى كان قد عقد عليه كل رجائه وآماله!

وجاء الرجال – فى موكب حزين – يحملون جثمان «أتيس» على أعناقهم .. وكان يتقدمهم ادراستوس خافض الرأس، مثقل الكاهل، فاتجه الى قارون طالبا منه أن يقتله جزاء له، اذ قتل أخاه أولا، ثم قتل ابن من أمنه وأواه .. لكن هذا المطلب نال من قلب قارون، رغم حزنه الشديد، فقال: **« لقد أرضيتنى اذ طلبت لنفسك القتل، ولكنك لم تزد عن ان تكون آلة فى يد ذلك الآله – أيا كان – الذى أراد لى هذا الشقاء، ونبأنى به من قبل أن يحدث ! »**

ودفن أتيس كما يليق بابن أغنى الملوك أن يدفن .. فلما خلت المقابر بعد انصراف المشيعين، شوهد شبح رجل مائل على قبر أتيس .. وكان شبح أدراستوس بن جورديوس بن ميداس، الذى قتل أخاه، ثم قتل ابن من أواه، فلم يجد لنفسه مخلصا سوى ان ينتحر على قبر ضحيته ! .. وخيم حزن عميق على قلب قارون، فاستسلم للحداد عامين كاملين!

السلحفاة التى تغلى فى النحاس !

• وكان الملك حريا بأن يبقى فى حداده أعواما طويلة ، لولا انه افاق من عزلته على خطر داهم ، اوشك ان يقضى على ملكه .. فقد بدأ الفرس – بقوتهم الناشئة – يغيرون على أطراف اليونان ، فخشى ان هو ظل ساكنا فى عزلته ، ان تكبر قوتهم وتتضخم ، فيهاجموه فى عقر داره .. ورأىأن يستشير الآلهة فى الامر ، فأعد وفودا بعدد المعابد فى اليونان وليبيا ، وارسل أفرادها طلبا لنبوءات الآلهة . . وأمرهم بأن يتقدموا فى اليوم المائة لرحيلهم ، فيسألوا العرافات عما يفعله قارون فى ذلك اليوم .. وتلقت الوفود اجابات لا معنى لها . اما كاهنة معبد « دلفى » ، فقد انشدت تقول :

« لقد احصيت الرمل عددا ، والبحار قياسا ..
« اننى أفهم الأخرس ، واسمع من لايتكلم ..
« ان رائحة السلحفاة التى تغلى فى النحاس ،
« ولحم الحمل معها ، تطرق منى كل أحساس ..
« نحاس تحتها .. ومن فوقها نحاس ! »

ولقد عجب رجال قارون لهذا الجواب ، ولكن مولاهم لم يكد يقرأه حتى صاح اعجابا ، واعلن انه اكثر النبوءات صدقا !.. ذلك انه كان قد فكر فى اختبار صدق العرافات ، فعمد – فى اليوم المائة لرحيل الوفود – الى قدر من النحاس وضع فيها لحم سلحفاة ولحم حمل ، وغطاها بغطاء من نحاس ، وأخذ يغليها على النار !

وأغرق قارون كاهنة معبد « دلفى » بالهدايا الثمينة ، كما أمر الشعب بتقديم القرابين ، ثم عاد يسأل الآلهة عما اذا كان من الخير ان يهاجم الفرس. فجاءه الرسل يقولون : **« اذا سير جيوشه الى الفرس فسوف يدمر امبراطورية قوية »** .. ونصحته النبوءة بأن يستعين ما استطاع بحلفائه منالاغريق .

وابتهج قارون لهذه النبوءة ، اذ رأى فيها بشيرا بانتصاره على الفرس . ثم عاد فأرسل وفدا الى معبد «دلفى» يسأل عن أجل حكمه، فجاءه الرد: « اذا أصبح البغل ملكا، فلن يلبث الليديون ان يهربوا فوق الارض والحصباء ، او على القطران .. او يستخذوا جنبا » !

وفاق سرور قارون كل حد ، فما كان من المعقول ان يصبر البغل ملكا .. واذن ، فسلطانه باق !

نصيحة مضادة للنبوءة لايعيرها قارون التفاتا !

• **ورأى** قارون ان يغير على بلاد (كابادوسيا) تمهيدا للاغارة على بلاد الفرس . وفيما كان يتأهب للغزو ، جاءه حكيم من قومه يدعى «ساندانيس» قائلا : « انك تتأهب لمحاربة شعب يلبس ابناؤه الجلد ، وقد خبروا الحياة الخشنة .. وانهم ليشربون الماء ولا يقربون النبيذ . **ولو انك تغلبت عليهم، لما نلت منهم شيئا ، لأنهم لايملكون شيئا .. اما اذا تغلبوا عليك ، فانظر الى ما سيؤول اليهم من غنائمك !.. ولن يستطيع احد بعد ذلك اخراجهم من البلاد ، لانهم لن يسلوا ماسيذوقونه من نعيمها »** !

ولكن قارون كان معتدا بالنبوءة، فسار الى (البطراء)،ومنها اجتاح الأراضى السورية .. وما لبث ان التحم مع قوات كورش – ملك الفرس – فى معركة طاحنة ، لم يفضها سوى هبوط الليل .. حتى اذا اقبل الصباح التالى ، تبين قارون قلة عدد جنده بالنسبة لعدد جند عدوه. فلما لم يهاجمه كورش ، انسحب الى (ساردیز) ، ليرسل الوفود الى مصر وبابل–وكان قد عقد معهما محالفة – كى توافياه بالجند والعتاد .. وفى خلال فترة الانتظار ، تفرق جيشه ، الذى كان مؤلفا من جنود مرتزقة ، ظنا منهم ان كورش لن يتبعهم الى عقر دارهم !

جاء النذير .. بعد فوات الأوان !

• **وبينما** كان قارون يعد خطته ، اذا بالضواحى تمتلىء بعدد كبير من الأفاعى ، فما لبثت الجياد ان خرجت اليها من المراعى والتهمتها. فلما علم قارون بالأمر،رأى فيه نذير سوء، وأرسل الى المعابد يستوضح الأمر، فاذا بالتفسير يقول: «على قارون أن يتوقع جيشا أجنبيا يغزو بلاده ، ويقهر الأقطار فى طريقه .. ذلك لأن الأفعى بنت الأرض وهى منها ، أما الجواد فهو عدو غريب ! »

وأسرع الرسول عائدا لينذر مولاه ، ولكنه لم يصل الا بعد ان كان الخطر قد وقع، وصار قارون أسيرا !.. اذ ان كورش لم يكد يعلم برحيل قارون ، حتى فهم ما اعتزمه ، فلم يضيع وقتا ، وأسرع بجنده الى (ليديا) ، وهاجمها على حين غرة من قارون، الذى أربكته المفاجأة، وهو أبعد مايكون عن الاستعداد لها .. فأسرع يجمع ما استطاع من قواته . وخرج أهل ليديا على ظهور جيادهم للقاء العدو .. ولم يكن هناك أقدر منهم على ركوب الخيل ولا أشجع منهم فى مواجهة الخصوم

ولكن كورش دبر أمره بحكمة، فأرجع فرسانه الى الصفوف الخلفية من الجيش، وقدم الابل التى كانت تحمل الزاد والمؤن، وجعل المشاة بين الابل والفرسان ، اذ كان يعلم بخبرته ان الجياد تخاف الجمال ولا تستطيع تحمل رائحتها. وأمر جنده ألا يأسروا أحدا ، بل ان يقتلوا كل من يصل الى أيديهم ، الا « قارون » نفسه ..

وصح ما توقعه كورش ، فما لبثت جياد الليديين ان شمت رائحة الجمال فاستدارت وولت أدبارها . . وشاعت الفوضى فى صفوف الليديين ، ولكن قارون أسرع الى علاج الموقف ، فأمر الجند بالترجل ، وواجه الفرس على الأرض . ودارت المعركة . . ثم تقهقر قارون الى داخل الأسوار ، وأغلقت

الأبواب ، وبقى كورش فى الخارج محاصرا المدينة .. حتى اذا كان اليوم الرابع عشر من أيام الحصار ، أطلق كورش المنادين فى جيشه يعلنون انه سيكافىء أول من يتسلق أسوار المدينة

وباءت المحاولات الأولى بالفشل ، ولكن الفرس ما لبثوا أن وفقوا الى غايتهم ، وسرعان ما سقطت المدينة !

نطق الابن .. لحجب الموت عن ابيه !

• **وكان** قارون فى قصره الى جوار ابنه الأخرس .. ولهذا الابن الأخرس قصة ، فقد جمع قارون له أساطين الطب وأهل الخبرة ليعالجوا لسانه ، دون ما فائدة . ثم ارسل الهدايا الى «دلفى» ليسأل عما اذا كان مقدراً للابن ان يشفى ، فقالت العرافة : **« أيها الليدى ، صاحب الملك ، يا قارون الغبى، لاتتمن سماع صوت ابنك يتردد فى أرجاء القصر الا بعد زمن طويل ، فانه سيتكلم لأول مرة فى يوم تعس ! »**

وهل كان هناك يوم أتعس من هذا ؟

وعندما فتحت المدينة ، سعى احد جنود كورش الى قارون ليقتله ، وهو لايعرف حقيقة شخصيته . **فلما رأى الابن الأخرس أباه يوشك أن يصرع، انتفض انتفاضة عنيفة، وصاح بالجندى : « أيها الرجل ، لاتقتل قارون ! »** . فأحجم الرجل، وأبقى على حياته ، واتخذه أسيرا ليقدمه الى مولاه كورش.. ومن يومها انفكت عقدة لسان الشاب !

لولا المعجزة .. لمات قارون حرقا !

• **وبعد** ملك دام أربعين عاما، وجاه لم يكن لأحد من البشر، هبطت الأيام بقارون فجعلت منه أسيرا فى يد الفرس .. وأمر كورش بتكبيله بالأغلال ، ثم وضعه فوق أكداس من الحطب، ليحرق مع أربعة عشر شابا من الليديين .. وظل قارون صامتا ساكنا على المحرقة ، تمر بأخيلته ذكريات أيامه الخالية ، وما



قارون على المحرقة
(اناء أثرى بمتحف اللوفر)

آلت اليه حالة من الشقاء، واذا به ينتفض فجأة ، وقد تذكر حديث صولون اليه : « لا يمكن ان نصف من كان حيا بأنه سعيد » !

انتفض قارون فى مكانه ، ورنت الكلمات فى اذنيه ، وكأن صوت اله يهمس اليه . . وانفرجت شفتاه تتمتمان باسم « صولون » ، فلمح كورش حركتهما ، وبعث اليه من يسأل عما قال ، فرد عليه : «لقد ذكرت اسم رجل اتمنى ان يستمع كل الجبابرة الى حديثه، فهو خير لهم من امتلاك الثروات الطائلة ! » .. وسكت ، فألحوا عليه أن يزيدهم ايضاحا ، فأخبرهم بأمر صولون وحديثه معه ، وكيف جرت الأمور على ما توقع الحكيم . . فاذا الحديث يشيع رحمة فى نفس كورش ، وقد بدأت النار تندلع ، ورأى ان قارون أخ له فى الانسانية، أو لعله خاف ان يصيب يوما مثل مصيره ، فأمر بأن تطفأ النيران ، ولكن أمره جاء متأخرا ، فما زال رجاله بالنيران يحاولون اطفاءها وهي تغلبهم وتتصاعد ألسنتها دون ان يتمكن احدهم من السيطرة عليها !

ووقف قارون بين النيران ، وتطلع بقلبه الى أبولو يدعوه أن يمد اليه يد الانقاذ ، ان كان قد قبل كل ما أرسل الى معبده من هدايا .. وانبثقت الدموع من عينيه.. **دموع رجل وقف فجأة على سر الحياة كلها ، وعلم قيمة الانسان الذى لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وانما بقاؤه معلق بيد الأقدار !..** تضاءل

غرور الرجل فجأة ، وعلم مقدار نفسه حق العلم ، فثار الهلع فى نفسه ، وهو الذى لم يعرف الا النعيم ، وبكى .. بكى من قلبه وبكل جوارحه ، وتطلع الى قوة أعلا من قوته المضيعة ، فازداد اتجاها الى «ابولو» .. **واذا السماء تكفهر فجأة ، والرياح تثور كالشياطين المردة .. ثم هطلت الامطار مدرارا ، فأطفأت النيران !**

واهتز قلب الطاغية كورش ، فصاح بقارون وقد أنزله الى الأرض : « من الذى حملك على غزو ارضى ومعاداتى ، وكان حريا بك ان تكون صديقى ؟» .. فأجاب قارون : « لقد فعلت ذلك لصالحك ، مدفوعا بحظى التعس ، وبعد ان اغرتنى نبوءات آلهة الاغريق ! »

الأسير .. الذى صار مستشارا !

• **ونالت** هذه المشاهد كلها من قلب كورش ، فحرر قارون واجلسه الى جواره ، موليا اياه احتراما بالغا .. ولكن قارون ظل ساكنا برهة . ولم يلبث ان تلفت حوله فرأى جند كورش يعيثون فى المدينة نهبا وسلبا ، فقال : « أيها الملك ، أتأذن لى بان اخبرك بما يدور بخاطرى ، أم ترى ان المقام مقام سكوت ؟» .. ودعاه كورش الى ان يقول كل ما يعن له ، فقال : « ماذا يفعل هذا الجمع الحاشد ؟ » . فرد كورش : « انهم يستبيحون مدينتك وكنوزك » . فرد قارون : **« لا ، انهم لا يفعلون شيئا بمدينتى وكنوزى ، اذ لم يعد لى شىء منهما ، وانما هم ينهبون مدينتك انت وكنوزك ! »**

وبهت كورش لهذه الاجابة ، فأمر المحيطين به بالانصراف ، ثم سأل قارون عما يجب عليه ان يفعل فى هذه الظروف ، فقال قارون : « مادامت الآلهة قد وضعتنى فى مركز الخادم منك ، فانى لا أبخل عليك بما أرى . ان الفرس بطبيعتهم شعب فقير متقشف ، واذا انت سمحت لهم بامتلاك الثروات الكثيرة فلن

تأمن تمردهم . فما عليك اذن الا ان تضع من رجالك الأمناء حارسا عند كل بوابة ، ليستوقف كل خارج منها فيأخذ منه أسلابه، ويعلنهم ان عشر الاسلاب يجب أن يقدم للاله «جوبيتر»، وبهذا تمحو عن نفسك شبهة الرغبة فى الاستيلاء على أسلابهم، فلا يلبثون ان يتبينوا عدلك ، فيعطوك راضين ! »

واغتبط كورش بهذا الرأى ، فسأله ان يطلب أى صنيع فى مقابل هذه المشورة ، فقال قارون : « ان أكبر صنيع تسديه الى هو أن تتركنى أرسل قيودى الى اله الاغريق، الذى أكبرته اكثر من أى اله آخر ، لأسأله عما اذا كان من عادته أن يخدع الذين يستحقون الاحسان منه ! »

★ ★ ★

• **واذن** كورش لقارون بأن يبعث بالرسل الى معبد «دلفى» ، وقد امرهم قارون بأن يضعوا قيوده على مدخل المعبد، ويسألوا الكاهنة : « لماذا شجع الاله قارون على دخول الحرب مع الفرس لهدم دولتهم . . تلك الحرب التى كانت هذه القيود أولى نتائجها . وهل تلك هى عادة آلهة الاغريق ان لايعترفوا بالجميل ؟ . . أفلا يخجلون مما سببوا لقارون ؟! » . . واذا بالعرافة ترد عليهم قائلة: **« ما كانت الآلهة لتناقض حكما نطقت به من قبل ، اذ قضت بالانتقام من قارون للجريمة الشنعاء التى ارتكبها جده الخامس ! »**

واخذت العرافة تذكر الرسل بما أفاضته الآلهة من نعم على قارون رغم ذلك ، اذ ردته الى الحياة بعد ان أوشك ان يحرق حيا . . وقالت : « ثم ان قارون لا يملك حقا فى اللوم ، فان النبوءة انذرته بأنه اذا خاض حربا ضد الفرس فسيدمر مملكة قوية ، وكان حريا به ان يعود فيسأل : أى مملكة تلك التى ستدمر . . أمملكته هو ، أم مملكة كورش ؟ . . انه الملوم ،

لاسيما وقد عمى عن فهم النبوءة الأخيرة ، فما كان البغل سوى رمز لكورش ، اذ ولد لأبوين من بلدين مختلفين ، ومن وسطين متباينين : فالأم أميرة ، والأب من العامة ! »

وانبثق نور المعرفة فى رأس قارون ــ حين تلقى الاجابة من رسله ــ فأدرك ان الآلهة لا تخطىء ، وانما الخطأ من الانسان نفسه ، لجهله !



انسان في القمر

القصة التي تنبأت بوصول الإنسان الى القمر منذ اكثر من ربع قرن

للقصصي الأشهر : هـ . ج . ويلز

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

الكاتب الذى سبق العلماء .. الى القمر !

◆ عندما نشرت بواكير انتاج « هـ.ج. ويلز » ، قيل عنه أنه « تشارلس ديكنز » الحديث ، لما اتسمت به كتاباته من تحليل دقيق للمجتمع .. وقيل عنه أنه « جول فيرن » القرن العشرين ، لأنه نهج على منوال هذا الكاتب الخالد ، فى مزج الخيال بالحقائق العلمية .. والواقع أن « ويلز » لم يكن مقلدا لأحد ، وانما كان صاحب مدرسة خاصة ، جمعت بين هذا وذاك ، وساعده على ذلك عقل مرن على التفكير العلمى السليم ، وتنسيق نتائج هذا التفكير فى منطق عامى رائع .. وآية ذلك هذه القصة التى يلخصها لك « كتابى » فيما يلى ، والتى تنبأ فيها « ويلز » فى أوائل هذا القرن ، بما يتوقع العلماء اليوم – وقد تجاوزنا منتصف القرن – أن يحدث بعد سنوات .. كل ذلك فى اسلوب طريف ، جمع بين الخيال المشوق ، والحقائق العلمية التى تكسب قارئها معرفة وثقافة .. فتعال نرحل الى القمر !

◆ **يخطر** ببالى – اذ أجلس للكتابة وسط ظلال الكروم ، تحت سماء جنوب ايطاليا الصحوة – أن مساهمتى مع المستر كافور فى هذه المغامرات المدهشة ، انما جاءت محض مصادفة. ولقد تعرضت لهذه الأمور ، فى وقت كنت أخال فيه اننى بمنأى عن أتفه التجارب التى يحتمل أن تقض راحتى . اذ كنت قد ذهبت الى (ليمبن) لاننى خلتها أبعد البقاع عن الاحداث

وكنت قد تعرضت قبل ذلك بقليل لابشع العراقيل فى بعض المشروعات التجارية ، وبوسعى ان اعترف بأن مصائبى كانت – الى حد ما – نتيجة تصرفاتى . فقد كنت اذ ذاك شابا .. ومع اننى لا أزال شابا الى اليوم ، الا ان الاحداث التى عرضت لى ، محت شيئا من الشباب من ذهنى !

ولا يكاد يوجد داع لذكر التفصيلات التى انتهت بى الى (ليمبن) فى مقاطعة (كنت) . فقد خطر لى – بعد تجاربى –

اننى أهل لأن أكتب مسرحية ناجحــة .. وما لبثت أن تهيأت للكتابة فعلا ، وسرعان ماتبينت ان كتابة المسرحية مهمة تتطلب وقتا فوق كل ما قدرت

وما كان لاحد ان يعثر على عزلة تفوق تلك التى ظفرت بها فى « الفيللا » الصغيرة التى استأجرتهـا فى (ليمبن) لسنوات ثلاث . اذ كانت تقع فى المنطقة المـكسوة بالطمى الطرى ، على حافة تل جيرى مشرف على البحر . ولم يكن من سبيل لعابر خلال المنطقة فى الايام المطـيرة ، لأن الطين كان يجعل السـير متعذرا .. وكانت النافذة التى اعتدت أن أجلس الى جوارها عند الكتابة ، تشرف على افق فسيح عبر منطقة المستنقعات .. ومن هذه النافذة بالذات ، وقعت عيناى لأول مرة على « كافور » !

★ ★ ★

. **كانت** الشمس اذ ذاك قد غربت ، وغدت السماء رقعـة ساكنة من مزيج من الخضرة والصفرة . ومن الظلام الزاحف ، برز أغرب شكل صغـير ! .. كان قصيرا ، مسـتـدير الجسم كالبرميل ، رفيع الساقين ، يسير وكانه يقفز .. وكان يغطى رأسه بقلنسوة كتلك التى يستعملها لاعبو « الكريكيت » ، وقد ارتدى معطفا ، ووقاءين للساقين مما يرتديه راكبو الدراجات ، وجوربين .. وكان يلوح بيديه وذراعيه ، ويهز راسه ، ويرسل أزيزا كأزيز الجرس الكهربائى .

وكانت الارض موحلة عقب مطر حديث العهد ، فكان يترنح فى سيره على الطريق الزلقة . حتى اذا صار فى مواجهة المكان الذى غربت عنده الشمس ، توقف ، واخرج ساعة ، ثم تردد .. وما لبث أن استدار فى حركة تشنجية ، وعاد فى سرعة كبيرة ، وخطى واسعة فارقها الترنح !

واذ تكرر المنظر بدقـة تامة ، فى الليـالى غير المطـيرة ، بدأ الفضول يراودنى . اذ ما الذى يحمل امرؤا ــ ايا كان ــ على

مثل هذا العمل ؟ .. لذلك لم البث ـ فى الليلةالرابعة عشرة ـ أن سعيت الى النقطة التى اعتاد أن يقف عندها دائما . وكان قد اخرج ساعته عندما أقبلت عليه . وكانذا وجه مستدير ، قوى الملامح ، وعينين يمتزج فيهما اللون البنى بالاحمر ! ..
واستوقفته اذ هم بان يستدير عائدا من حيث اتى ، وسألته عما اذا كان قد اعتاد أن يخرج للرياضة فى مثل هذا الوقت من كل مساء ، فقال : « أجل .. اننى آتى الى هنا لأستمتع بمنظر الغروب »

ـ لا ، فأنت لا تنظر الى الشمس مطلقا .. لقد راقبتك ثلاث عشرة ليلة ، فلم أرك مرة تنظر نحو مغرب الشمس

وعقد حاجبيه ، ثم قال : « بل اننى أستمتع بضوء الشمس بالجو .. » . ولم أدع له فرصة للتمويه أو المراوغة ، بل شددت عليه الخناق ، ورحت اسائله : « لماذا تفعل ذلك .. انك تأتى فى كل ليلة محدثا هذا الصوت » ، وقلدت الأزيز الذى ينبعث منه اثناء سيره ، فهتف فى اشمئزاز : « ألنا أفعل هذا ؟ .. ليست لدى أية فكرة عنه » .. وقلب شفته السفلى ، ثم قال : « ان فكرى مزدحم بالمشاغل ، وها أنتذا تريد ان تعرف السبب .. اؤكد لك اننى الآخر لا أدرى السبب .. بل لم أكن أدرى اننى افعل هذه الامور ! » . وتبدى عليه من الأسى ماجعلنى استنكر من نفسى تطفلى فيما لا شأن لى به ، وراح يعتذر عن شرود ذهنه ، ويزجى شكره لأننى نبهته الى حاله . ورمق كل منا صاحبه برهة ، ثم تبادلنا التحية ، وانصرف كل منا فى طريقه . واذ بلغت سلم دارى ، التفت الى شبحه المتباعد ، فاذا مشيته قد تغيرت تماما ، اذ راح يسير كالأعرج ، وهو منكمش على نفسه !

* * *

• **وانقضى** مساءان لم أره فيهما ، ثم زارنى فى المساء الثالث ،

ودهشت لمقدمه ، ولكنه بعد حديث عادى ، انتقل فجأة الى الموضوع الذى جاء من أجله ، فقد كان يريد شراء «الفيلا» .. واردف قائلا : «لست ألومك، ولكنك أفسدت عادة من عاداتى ، فأخللت بنظامى اليومى . لقد ظللت أمر بهذا المكان منذ سنوات طويلة .. وما من شك فى اننى كنت أدمدم اثناء سيرى .. ولكنك جعلت هذا كله مستحيلا على ! »

واقترحت عليه ان يتخذ اتجاها آخر ، ولكنه قال ان هذا كان الاتجاه الأوحد له .. « انه امر حيوى .. فانا منهمك فى بحث علمى ، وأقيم فى البيت ذى المداخن البيضاء ، الذى تراه بين الاشجار ، ولكن ظروفى غير عادية .. فـذة ! .. **اننى على اعتاب كشف هو أهم ما تم حتى الآن . وهو يحتاج الى تفكير مستمر ، ونشاط ذهنى يتطلب راحة بال مستمرة . ولقد كان الأصيل أبدع أوقات صفائى ونشاطى الذهنى . اما الآن ، فقد أصبحت أفكر فى نفسى ، وفيك أنت ، فاشغل بذلك عن تدبر وجهات النظر والأفكار الجديدة ! »** .

ولم أكن أملك ان ابيعه « الفيللا » .. وفى الوقت ذاته ، ثار فى نفسى الشوق الى تتبع تطورات اختراع قيم ، فوددت ان أعرف مزيدا عن البحث الذى كان الرجل يقوم به ! .. وابدى زائرى استعدادا ، فمضى يحدثنى حوالى الساعة . على اننى لم أفهم ــ فى المرة الأولى ــ سوى القليل ، اذ كان كلامه مليئا بمصطلحات فنية جد غريبة .. وان كنت قد حدست ما فيه الكفاية لأن يطمئننى الى أن الرجل لم يكن غريبا على الأبحاث العلمية العميقة ، التى أدركت انها كانت ذات طابع ميكانيكى . وحدثنى عن «ورشة» استعان فيها بثلاثة مساعدين كانوا من النجارين ثم تولى تدريبهم بنفسه . ودعانى الى زيارة هذه « الورشة »

وتكررت زيارات الرجل بعد ذلك ، وكان يستأنف محاضرته فى كل زيارة . فراح يتحدث عن الطبيعة، وعن الاثير، وخطوط

القوى ، واحتمالات الجاذبية الارضية. ومع صعوبة الموضوع ، الا اننى رحت أجاهد كى أفهمه .. وانتهزت أول فرصة سنحت ، فزرت داره ، واذا به يعيش فى بساطة فلسفية ، لايقوم على خدمته احد سوى معاونيه الثلاثة الذين كان يعتمد عليهم فى العمل اليدوى ، بينما كان يقوم هو بكل العمل الذى يعتمد على العلم والتفكير .. وطامنت الأجهزة التى رأيتها من شكوكى ، فقد امتلأت بها غرف الطابق الأرضى ، بينما حول الفرن وغلاية الدار الى فرنين للعمليات العلمية ، وملأ قبو البيت بالمولدات الكهربائية .. **وكان موضوع أبحاثه ما يمكن تسميته بالأجسام المادية ـ وقد نسيت الاسم العلمى الذى ذكره ـ وعلاقتها بكل « أنواع الطاقة المشعة » . ولكى يشرح لى هذه « الطاقة المشعة » ، ضرب مثلا بالضوء ، والحرارة ، والموجات الكهربائية ، والجاذبية الأرضية ..** فكل هذه القوى تنبعث من مراكز ، وتؤثر على الاجسام التى تعترضها فى مجال معين . وكل جسم يعتبر أصم بالنسبة لبعض أنواع الطاقة الاشعاعية ، فهو لا يمتصها .. فالزجاج ـ مثلا ـ شفاف بالنسبة للضوء ، وهو أقل شفافية بالنسبة للحرارة ، مما يجعله صالحا كحاجز يصد النار .. والمعادن لا تمتص الضوء والحرارة فقط ، وانما تمتص الطاقة الكهربائية كذلك ، على أن الأجسام المادية جميعا ، «شفافة» بالنسبة للجاذبية الأرضية ، فلا شىء البتة يستطيع أن يقطع اشعاع قوة جاذبية الشمس ، ولا اشعاع قوة جاذبية الأرض ! .. **ولكن ، لماذا لا يوجد شىء له هذه الميزة ؟ ..هذا هو ما كان «كافور» يبحث عن جوابه !**

وراح بأرقام ومعادلات ـ لم أفقه منها شيئا ـ يبين لى أن وجود مثل هذه المادة ليس محتملا فحسب ، بل ان من الممكن صنعها من عدة أخلاط من المعادن ، ومن عنصر جديد ، أظنه قال انه يدعى « الهيليوم » .. وقد كان يستجلبه من لندن فى قوارير حجرية ، لأنه كان غازا خفيفا جدا ..وصحيح اننى لم

ادرك التفصيلات العلمية ، ولكنى لم أعد أفكر بعد ذلك ، الا فى مشروع « كافور » . وقدرت انه لو وفق فلن يلبث ان ينتج مادة عازلة للجاذبية الأرضية ، بحيث يتسنى رفع أثقل الأجسام ، وكأنها من القش الخفيف ! .. وصور لى خيالى انه لن يلبث ـ اذ ذاك ـ ان يسيطر على العالم بفضل اختراعه ، فقررت أن أكون فى ركابه ، وأهملت المسرحية التى أردت أن أؤلفها ، لكى أصبح رابع مساعديه . فقد أيقنت انه كعالم ، لن يفكر الا فى الامجاد العلمية ، فى حين اننى استطيع ان ادير الناحية العملية للمشروع .. ان أدبر استغلاله تجاريا وصناعيا !

★ ★ ★

• **وفى** ١٤ اكتوبر سنة ١٨٩٩ ، أمكن انتاج تلك المادة التى كانت ضربا من الخيال ! .. وكان أغرب ما فى الأمر ، أن المستر « كافور » وقع عليها بمحض المصادفة ، اثر خطأ حدث فى احدى التجارب !

ولا زلت اذكر المناسبة بوضوح تام .. كان « كافور » فى طريقه الى دارى ـ فى الأصيل ـ وقد ترك أحد مركباته الكيمياوية فى أحد فرنى داره، فاختلف «سبارجس» و«جيبس» ـ وهما اثنان من مساعديه الثلاثة ـ فيمن يغذى الفرن بالفحم، ومن ثم أهملا معا هذا الواجب.. **وفيما كان « كافور » يدلف نحو دارى ، رأيت مداخن داره تنطلق نحو السماء ، متحطمة الى خيط من الاحجار المتشابكة ، ويتبعها سقف الدار والاثاث .. ثم لحق بها لهب أبيض هائل .. وترنحت الأشجار ثم انفصلت عن الأرض ، ولحقت بالضوء .. وأصم أذنى قصف هائل ، أفسد سمع احداهما الى اليوم .. بينما تهشمت نوافذ دارى !**

وهممت بالسير نحو دار « كافور » ، واذا بريح تهب ، وشعرت بخطاى تستحيل الى قفزات واسعة دون ارادة

منى ! . . ورأيت المخترع يدور حول نفسه ثم يحلق فى الهواء — وما لبث أن هبط ثانية ، وهو يركل الهواء بقدميه ، ويخبط بيديه — وتقلب على الأرض مسافة ، ثم استطاع النهوض ، فاذا به يرتفع فى الهواء ، ويندفع نحو داره ، فيغيب وسط الأشجار التى كانت تحلق وتتخبط حول الدار . . وما لبثت ان رأيت سحابة من دخان ورماد ترتفع نحو السماء ، وجسما مربعا من مادة لامعة — تميل الى الزرقة — يندفع وسطها . . ثم انجابت الظاهرة الغريبة ، فهدأ الهواء ، وبدأت أشعر بنفسى وقد استويت على قدمى . . وبين ركام الاشجار وحطام الدار ، وجدت « كافور » يجاهد ليستوى على قدميه ، وينفض الوحل والأوساخ عن عينيه وفمه !

وما ان رآنى ، حتى هتف : « هنئنى . . لقد توصلت اليها ! » . . ولم أتبين كلماته جيدا ، ولكنه كان يردد شيئا عن « ثلاث ضحايا فى سبيل العلم » ، فقد خيل اليه ان مساعديه قد هلكوا . ولكنا علمنا فيما بعد انهم كانوا قد غادروا الدار بعد خروجه ، وذهبوا الى احدى حانات (ليمبن)

وتساندنا ورحنا نكافح حتى بلغنا دارى ، واحتمينا بما تبقى عليها من سقف ! . . وعاد « كافور » يردد ، بعد أن اطمأننا الى سلامتنا : « لقد توصلت اليها . . واذا كانت الدور والاسقف قد تأثرت فى منطقة قطرها عشرون ميلا ، فانما نشأ ذلك عن ان انشغالى بمسالة اخرى ، جعلنى أغفل بعض التوافه . . **لقد صنعت المادة العازلة للجاذبية الارضية ، على شكل رقعة رفيعة واسعة ، فما ان اكتملت عمليات صنعها ، حتى فقد الهواء والسقف وكل ما كان يعلوها وزنه ، اذ احتجبت عنه الجاذبية الأرضية** . وكلنا يعرف ان للهواء وزنا ، وانه يحدث ضغطا على كل شىء فوق سطح الأرض . وقد غفلت عن هذا ، فاذا الهواء الذى خارج النطاق المحيط ببيتى ، يحدث ضغطا على هواء بيتى الذى لم يعد له وزن فجأة ، واذا بهذا يندفع

الى أعلى فى عنف ، فيحل الآخر محله بعنف ايضا ، ثم يفقد وزنه ويرتفع بدوره ، وهكذا ! » .. ولو استمرت هذه الظاهرة بحيث تشمل هواء الارض كله ، لاختنق العالم بأسره !

وكان من المحتمل ان بعض الدور المجاورة ــ رغم تباعدها ــ قد أصيبت ببعض الاضرار ، ولكننا اتفقنا على ان نكتم السبب ، اذ ان اعلانه كان خليقا بأن يحدث ضجة ، وان يجلب على « كافور » متاعب كان فى غنى عنها فى هذه المرحلة من ابحاثه . واستقر الرأى على ان أستضيفه فترة فى دارى . ثم بادرنا الى اصلاح معمله ، لنعاود التجربة مع العمل على تفادى النتائج المخربة .

***

• **وكنا** فى طريقنا من المعمل الى دارى ، لتناول الشاى ــ ذات يوم ــ حين فاتحنى « كافور » فى نظريته عن الفضاء والقمر .. واذ لاحظ اننى لم أفقه شيئا ، قال : « لولا ان المادة العازلة للجاذبية الأرضية ارتفعت مع الرماد والدخان ثم تهشمت ، لما كان بوسع انسان ان يدرى نتيجة بقائها . **ولكن ، هب ان المادة طليقة ، وفى وسعها ان ترتفع فى الجو حرة لا يعرقلها شىء .. تصور كرة تتسع لشخصين ومتاعهما ، تصنع من فولاذ معروق بالزجاج السميك ، وتشتمل على رصيد من الهواء المجمد ، والاغذية المصنوعة فى شكل اقراص صغيرة ، وجهاز لتقطير الماء ، وما الى ذلك .. وقد طلى سطحها الخارجى بالميناء ! »**

وهتفت : « كافور .. انها تكون أشبه بما ورد فى قصة جول فيرن : « رحلة الى القمر » .. الآن بدأت افهم ! .. انك ستعزل جوف الكرة عن الهواء والجاذبية الارضية .. وستندفع الكرة الى الفضاء ، فى اتجاه عمودى ، ولكن من أدراك انها لن تظل ماضية فى الفضاء الى الابد ؟ .. كيف تعود ؟ »

ــ ان السطح الداخلى من الزجاج ، وسيكون مفرغا من الهواء .. فلو جعلنا السطح الخارجى من المادة الحاجبة للطاقة الاشعاعية ــ كجاذبية الأرض ــ على ان تتخلله نوافذ ذات مصاريع تتحرك على بلى ، كستائر النوافذ التى ترتفع وتهبط ، وامكن جعل هذه الستائر كهربائية ، بحيث تفتح وتغلق بتيار ينساب خلال اسلاك من البلاتين ، تتصل بأزرار داخل الجوف الزجاجى ، فان الكرة تظل خالية من الهواء والحرارة والجاذبية الأرضية وكل طاقة اشعاعية ، طالما كانت هذه الستائر محكمة . **ولكن ، ما أن تفتح احدى الستائر ، حتى تنساب الينا الطاقة الاشعاعية من اى جسم ثقيل يتصادف وجوده على مقربة من الكرة ، مما يمكنه من ان يجذبها اليه ! .. والواقع اننا سنستطيع ان نغير اتجاهنا فى الفضاء كما نشاء فنسمح لهذا الجرم أو ذاك بأن يجذبنا اليه . ومن ثم فمن الممكن ان نذهب الى القمر مثلا !**

وقد يكون للعالم الحق فى أن يهفو الى الوصول الى القمر ، ابتغاء للمعرفة ، ولكن ما الذى يشوق رجل الأعمال الى مغامرة كهذه ؟ ..

وكان جواب كافور : « لست أشك فى وجود معادن هناك ، كالكبريت والمواد الخام ، وربما الذهب ! » .. وما لبث تحمسه أن سرى الى ، واذ ذاك تداعت معارضتى ، ورحنا نعمل كرجلين انساقا لمفعول سحر قوى !

وانقضى ديسمبر ، وتبعه يناير وفبراير .. وفى نهاية مارس ، كانت الكرة قد اوشكت على الاكتمال . ورحنا نتدبر ما كان علينا ان نتزود به من طعام مضغوط ، واوكسجين معبأ فى أنابيب ، وجهاز لامتصاص ثانى اوكسيد الكربون الذى نزفره ليحيله الى اوكسجين ، وجهاز للماء

وكانت الشمس قد غربت ــ ذات مساء ــ والسكون يسيطر على الكون ، عندما وقفت أتأمل جوف كوكبنا المظلم ، ثم انسبت الى الداخل ، وأخذت أتلقى من « كافور » ما كان يناولنيه من

أشياء .. وكان الجو حارا فى جوف الكرة ، حتى اننا اقتصرنا على الثياب الداخلية ، وان كنا قد اصطحبنا ثيـابا ثقيلة .. ورحت أرتب الأمتعة ، بينما كان كافور يجوس خلال الحظيرة التى كنا قد رفعنا سقفها . وعندما دلف أخـيرا الى جوارى ، لاحظت أن بيده شيئا ، فسألته عنه . وكان جوابه : « انه كتاب .. ألم تحضر شيئا تقرأه ؟ .. اننا قـد نتعرض للهواجس والشكوك ، وقد تستمر الرحلة طويلا » .. ومن ثم عدت الى الخارج ، فجمعت بعض الصحف والمجلات .

وما ان استقر بنا المقام ، حتى أحكم كافور اغلاق الكرة ، ثم جذب الستائر المؤلفة للغلاف الفولاذى الخارجى . وساد الظلام .. وظللنـا فترة دون ما حديث ، وقد سيطر علينا سـكون شامل .. وبدأ القلق يراودنى ، وشرعت أفكر فيما اذا كانت الفرصة قد فاتت ، لأعود الى العالم الذى كنت اعرافه وآلفه .. وفجأة ، شعرنا بهزة ، وبفرقعة كتلك التى تحدث عند ازالة سـدادة زجاجة « الشمبانيا » . واحسست بتوتر شديد ، وكأنما كانت قدماى تضغطان الأرض بكل قوتهما .. وهتفت : « كافور ! .. ان اعصابى تتمزق .. ياللعنة ! .. اننى احمق ! .. سأخرج ! »

ومرت عشر ثوان قبل ان يقول : « لقد فاتت الفرصة ، فنحن الآن نشق طريقنا نحو الفضاء الخارجى ، فلا داعى لأن نتشاجر يابيدفورد ! » . . وبدأت اشعر بأن وزنى أخذ يخف ، وكأننى كنت أتجرد من جسدى .. وكأنما كان الدم يندفع الى رأسى وأذنى .. وما لبثت أن ألفت هذه الحال ، فلم أعـد اتضايق منها . وسمعت حركة ، ثم أضىء مصباح وهاج صغير . ولمحت وجه كافور وقد اشتد بياضه . وهتف : « لا تتحرك .. دع عضلاتك تسترتخى تماما ، وكأنك فى الفراش ! » .. وانتبهت فجأة ، فاذا بنا غير مستقرين على قاع الكرة ، بل كنا معلقين فى فضائها .. وغشينى خوف رهيب .. كان مجرد ملامسة يدى للجدار الزجاجى كفيلة بأن تحركنى بسرعة ! .. وادركت

اننا كنا فى معزل عن اية جاذبية خارجية .. كانت لنا جاذبية كوننا الخاص ـ وهو الكرة ـ وكان مركز ثقل هذا الكون قريبا من منتصف الكرة ، ولكنه كان أقرب الى منه الى كافور، لأننى كنت اثقل منه وزنا !

ولم يكن اى شيء يوحي بأننا فى بداية رحلة .. بل كأننا كنا فى بداية حلم !

* * *

• **لم** يلبث كافور أن أطفأ المصباح ، ادخارا للتيار ، ثم رفع احدى الستائر ،فاذا السماء مظلمة كجوف الكرة ،وقد تناثرت فيها نجوم لا حصر لها .. واسدلت الستار ثانية ، لترفع أخرى ، ثم تسدل ثانية . وفى المرة الثالثة ، اغلقت عينى **اذ** فوجئت بضوء القمر الساطع .. ورفعت اربع ستائر ، لكى تؤثر جاذبية القمر على كل شيء فى كرتنا . وتبينت اننى لم اعد اطفو فى فضاء الكرة ، وانما التصقت قدمى بالجدار الزجاجى الذى كان فى ناحية القمر .. كما تراكمت امتعتنا على هذا الجدار .. **وكنت أطل على القمر من بين ساقى، وأنا فى وضع عكسى للوضع المألوف على الارض .. أى ان رأسى كان الى أسفل ـ بالتعبير الأرضى ـ وقدمى الى اعلى . وكان الضوء يصعد الى ، بدلا من أن ينصب على !** .. وراح كافور يحدثنى عن القمر : « ان أقوى المنظارات المقربة ـ « التليسكوبات » ـ لم تكشف لأهل الأرض عن وجود ناس فى القمر ، فلا مبانى هناك ولا اى أثر من صنع أيدى الناس .. ولعل هناك مخلوقات اخرى ، تناسب الحياة فيه .. فالنهار هناك يعادل اربعة عشر نهارا ارضيا ، خاليا من السحب ، شديد الشمس ، واربعة عشر ليلا شديد البرودة ، متألق النجوم .. ان البرودة تصل الى درجة ٢٧٣ تحت درجة التجمد فى الأرض .. كأنى بالمخلوقات هناك مهيأة لكى تتلقى الهواء جامدا ، يابسا ، كما تبتلع ديدان الأرض التراب ! »

وما لبث أن غشينا نعاس عجيب ، فنشرنا أغطيتنا على أرض الكرة لنحجب ضوء القمر دون أن نصد جاذبيته ، ونمنا .. وهكذا رحنا نقضى وقتنا بين نوم ومطالعة وحديث وأكل .. ومن الغريب اننا لم نكن نشعر باشتهاء للطعام . وكنا نغصب نفسينا على الأكل فى البداية ، ثم استسلمنا لصيام تام ، حتى اننا لم نستهلك جزءا على مائة من مؤننا . كذلك كانت كمية الكربون الذى رحنا ننفثه مع انفاسنا ضئيلة بدرجة غير طبيعية ، لا املك لها تعليلا !

وفى ذات يوم ، رفع كافور ست ستائر دفعة واحدة ، فصرخت اذ كاد الضوء أن يعشى عينى .. كان كل ما بدا لى هو كوكب القمر ، وظلام الليل ينحسر عنه مفسحا لوهج الشمس القوى .. وبدت لنا قمم كالجبال الأرضية ، وتبينا ما ليس لعين على الأرض أن تتبينه ، فتحت وهج النهار ، كانت حواف الجبال والوهاد تزداد سمرة ، وتلوح مهتزة فى أردان ضباب كثيف ، فكانت السطوح المضاءة تظهر ككتل متقطعة تروح تنكمش وتتلاشى ، بينما كانت الرقاع ذات الصبغة البنية والسمراء تزداد اتساعا .. **غير أننا لم نجد فرصة للمضى فى المشاهدة ، اذ حانت ساعة الخطر الحقيقى فى رحلتنا ، فقد رحنا نزداد اقترابا من القمر ، واخذت كرتنا تدور حول نفسها لتخفف من سرعتها ، بفضل سياسة كافور فى رفع وخفض الستائر فى مختلف الاتجاهات !**

تلك كانت فترة ارهاق لكافور ، وفترة قلق شل حراكى . وأخيرا اسدل كافور كل الستائر ، وأضاء المصباح الصغير ، ورحنا نحزم كل امتعتنا فى أغطية الفراش ، لتفادى ارتطامها اذا ما هبطنا واصطدمنا بسطح القمر . وكنا فى تلك الاثناء نطفو فى جو الكرة ، عند منتصفها . واخيرا لففنا نفسينا فى ملاءتين مثقوبتين فى اوضاع تقابل عيوننا . واذ ذاك ، رفع كافور احدى الستائر للحظة كلمح البصر ، فرأينا اننا كنا نهبط نحو هوة

بركانية هائلة ، تجمعت فيها فوهات اخرى انتظمت على شكل صليب . ثم عاد كافور فرفع ستارا فى ناحية الشمس، فانساب ضوؤها لاذعا ، باهرا .. وأظنه كان يستعمل جاذبية الشمس لتخفيف اندفاعنا الى سطح القمر . وما لبث أن رفع كل الستائر، فرحنا نتخبط ونرتطم ومتاعنا بجدران الكرة الزجاجية ، ونتقلب فى الفضاء . ثم اصطدمت الكرة بالسطح ، فغبت تحت ركام المتاع .. وسمعت كافور يزمجر متهدج الانفاس .. واستطعنا ان نخرج من تحت الركام، فاذا الكرة محوطة بظلام دامس ، **اذ** حجبت جدران فوهة البركان كل ضوء !

واستوينا جالسين، ونحن نتحسس ما أصابنا من رضوض . وقال كافور : « اننا قد سبقنا النهار بنصف ساعة ، فخليق بنا أن ننتظر ! » .. ولاحظت ان جدار كرتنا الزجاجية كان مندى، واخذ البلل يعاوده كلما مسحت عنه الندى .. **وكان الموقف عجيبا ، بل عويصا ، فقد كنا فى عالم لاندرى شيئا عما قد يكون فيه من عجائب ، ولكنا – رغم ذلك – كنا مضطرين الى المكث فى هذا الظلام ! .. وما لبث الندى الذى كلل الجدران الزجاجية أن تبلور وتحول الى صقيع . واحكمت احدى « البطانيات » حولى وانا ارتجف .. وادرنا المدفأة الكهربائية ، ثم سألت كافور: « والآن .. ماذا عسانا صانعين ؟ » .. وفى هدوء عجيب ، قال: « ننتظر ! .. ننتظر حتى يأتى النهار ! .. ولكن ، الا تشعر بأنك جائع ؟ »**

وبالرغم من استيائى وحنقى ، الا اننى شعرت بالجوع فعلا ، فجلست اتناول اول وجباتى على القمر .. ولكنى لم امض فيها، اذ ما لبث الزجاج أن أخذ يستعيد شفافيته وانجاب عنه الندى، بعد أن سرى مفعول المدفأة فى جو الكرة !

* * *

• وبدا المنظر الذى لاح لعينينا كئيبا موحشا ، وقد أطبقت

جوانب فوهة البركان علينا. ومن الغرب ، انساب ضوء شمس لم نكن نراها ، بينما بدا الجانب الشرقى دامسا ، خاليا من كل أثر للضوء . وكان الجانب الغربى تلالا سمراء ، أخذت تزداد دكنة كلما اتجهت الى الشرق . وكان اعجب ماتبينت ان قمم الجبال لم تكن مكللة بجليد ما ، وانما كان يعلوها هواء متجمد . . وما لبث ان أقبل نهار القمر سريعا ، ورائعا ! . . وأخذ الضوء يزحف مسرعا ، بينما أخذت التلال تبدو مهتزة ، مما اوحى بوجود ضباب كان من الغزارة بدرجة عجيبة . ولكن كافور قال موضحا : « **ان الهواء .. الهواء المتجمد ينصهر اذ لامسته أشعة الشمس ! »**

وبدأت المناظر تتضح ، ثم تبدت الشمس عند حافة مرتفع فى الجانب الغربى ، فكأنما كانت تنبعث منها السنة من اللهب بدلا من أشعة الضوء .. ألسنة قرمزية راحت تتلوى وتتراقص ، وتبينت تاجا من اللهب يحيط بقرص الشمس ، ويحتجب عن اعين اهل الارض بفضل طبقات الجو .. ثم تجلت الشمس كاملة ، فكأنها قرص من نار ، راح يسكب سيلا من الحرارة اللاهبة ! . . وصرخت اذ خيل الى أن اللهب يخز عينى . وما لبثنا ان سمعنا صوتا ، كان هو اول صوت طرق آذاننا مذ غادرنا الأرض .. كان عزيف رياح عاصفة ، فاذا الضوء يتذبذب حتى كاد يعشى عيوننا ، فأخذ كل منا يرتطم بصاحبه وهو يترنح ولا يكاد يبصر شيئا .. واسرعت احتمى بالملاءة ذات الثقبين المقابلين لموقع العينين . **وقدر لى ان افتح عينى للحظة خاطفة ، فاذا الهواء يجرى ، ويغلى ، ثم يزداد عنفا ، فاذا كرتنا تتدحرج ، واذا بنا نتخبط . ثم اكتنفنا ظلام دامس ، وشعرنا كأن مادة منصهرة تنسكب على كرتنا . . وفتحت عينى للحظة أخرى ، فرأيت فقاقيع تتراقص على الزجاج . ومرة أخرى اشتدت الريح ، فاذا الكرة تتدحرج ثانية .. وأمسك كل منا بالآخر ، ورحنا نتخبط ونتلاطم ، ثم . . .**

أفقت على كافور منحنيا فوقى وقــد تجلت المناظر المحيطة بكرتنا ، غارقة فى ضوء ازرق باهر .. وهتفت : « يا الهى !.. هل ظللت فى اغمائى طويلا ؟ » ، فقال كافور : « لست ادرى ، لقد تهشم الكرونومتر » .. وكان فى جبهتى جرح دام ، راح زميلى يعنى به .. وقال اخيرا : « لقد تبخر الهواء كما توقعت، وظهر سطح القمر .. ان التربة عجيبة ! »

وكان وهج الشمس قد مال الى الاصفرار . وازدادت معالم الأشياء ـ خارج كرتنا ـ وضوحا. وكانت الأرض تبدو سمراء، صدئة ، تتلظى تحت أشعة الشمس .. وعلى سفح تل مقابل ، بدت بضعة أشياء كأنهــا العصى اليابسة ، فى لون الصخور .. ولكن ، كيف توجد عصى فى عالم لا حياة فيه ؟ .. واذ تأملت تلك الأجسام ، تبينت أن سطوحها مكسوة بشعيرات .. وبين تلك الشــعيرات ، لمحت أجساما بيضاوية تتحرك ! .. وليس بوســعى أن أصف الانفعالات التى استولت على اذ ذاك . على أننى لم ألبث أن وجدت تلك الأجسام البيضاوية تتشقق عن خيوط دقيقة ذات لون أصفر ضارب الى الخضرة ، وقد انطلقت تستقبل شمس البكور !

وهمس كافور : **« انهــا حبوب .. انها الحياة ! »** .. **اذن فنحن لم نهبط عالما ميتا ، مجدبا !** .. **وتوالى تفتح تلك الحبوب، وتحولها الى براعم ذات أوراق بنية اللون.. ترى كيف استطيع أن أصف لك نمو الأشياء !** .. كانت الأوراق تكبر بسرعة ، كما يرتفع الزئبق فى «ترمومتر» قبضت عليه يد ساخنة ... واذا السفح يمتلأ بشجيرات وليدة ، أخذت تنمو بقوة وسرعة ! .. وعلى الجافة الشرقية لفوهة البركان ، أبصرت اشباح نباتات شبيهة بالصبار !

والتفت نحو الغرب ، فاذا الضوء يتخذ لونا برتقاليا زاهيا ، بدت خلاله أفنان عالية ، وارقة ، كانت هى الأخرى تنمو بشرعة .. كانت الحياة تدب فى كل مكان ، مع مطلع الشمس !

* * *

• **ولم** يبق أمامنا الا ان نتبين ما اذا كان هواء القمر صالحا للتنفس .. فتناول كافور ورقة ، واشعل فيها النار ، ثم فتح صمام تصريف الفضلات ، والقى بالورقة منـه ، واعاد احكامه بسرعة .. ورأينـا الورقة تشتعل بلهب ازرق ، وتستحيل الى قطعة سوداء . واطمأن خاطرنا الى وجود الاوكسيجين فى جو القمر ، فقررنا ان نستبين مدى احتمال رئاتنا اياه . وفى بطء وحذر ، بدأت افتح فوهة الـكرة ، وما ان خف أحكام غطائها ، حتى اندفع هواء الكرة الكثيف نحوها ، محدثا صوتا كأزيز الماء فى الغلاية قبل الغليان .. وشعرت بدوار ، ولـكنى قاومته ، وبدأت أصرف هواء الكرة تدريجيا . ثم ارتفع الغطاء ، واندفعت لفحة من هواء القمر . واعدنا الغطـاء ريثما التفقنا تماما فى ملاءتينا .. ثم خرج كافور !

ورأيت قفزته قد حملته مسافة طويلة .. وقفزت فى أثره ، فرأيتنى أسبح فى الهواء ، حتى بلغت الصخرة التى وقف عليها ، فتشبثت بها .. ذلك لأننا كنا قد نسينا ان وزن القمر ثمن وزن الارض ، وان قطره ربع قطرها ، ومن ثم فان ثقلى عليـه كان معادلا لسدس ثقلى على الارض . ولذلك فقد كان اول ما حرصنا عليه ، هو أن نتدرب على تقدير خطواتنا وقفزاتنا ، حتى نطمئن الى مواقع أقدامنـا ! .. ورحنـا نتنقل من مكان الى مكان فى فضول .

وفيما كنا كذلك ، حانت منى التفاتة الى ما حولى ، ثم سألت كافور : ((ترى اين موقع كرتنا من مكاننا ؟)) .. وحملق كافور فى مشدوها ، فهتفت : ((كافور .. أين الكرة ؟)) .. وانطلقنا نبحث شرقا ، وغربا ، وشمالا ، وجنوبا ، دون ان نهتـدى الى المنخفض البركانى الذى تركنا فيه الكرة !.. واشتدت الشمس ، وبرح بى الجوع . . وعندما أعيـانا البحث والحيرة ، سمعنا

دقات تنبعث من جوف الأرض : « بوم .. بوم .. بوم ! » .. لكأنما كانت ثمة ساعة ضخمة مدفونة تحت أقدامنا . واقترح « كافور » ان نعدها، ولكنها سكتت فجأة، وسيطر سكون شامل على ما حولنا . . وهمس كافور : « لنبق متلازمين ، ولنبحث عن الكرة ، فان هذا كله فوق ادراكنا ! » . . ووقفنا حائرين ، نحاول ان نخدس الاتجاه الذى نيمم شطره . وفجأة ، شقت السكون جلبة كتلك التى تحدث اذا دفعت بغتة ابواب معدنية ضخمة ، وشهقنا مأخوذين .. واقترب منى كافور هامسا : « لست أفهم شيئا !.. ايكون هناك مبنى خفى؟ » .. وهززت رأسى اقره على رأيه . ورحنا نزحف فى حذر ، نحو دغل خيل الينا ان الضجة كانت منبعثة منه . **واخذت الاصوات تتراءى لنا كما لو انها كانت مطارق تهوى على جسم معدنى أجوف!.. وفى جوف الدغل ، تأكدنا من ان الصوت كان ينبعث من باطن الأرض ، وأوجسنا من ان يكون فى القمر قوم اعتادوا ان يأووا الى مخابىء خفية ، لن يلبثوا ان ينسابوا منها ليداهمونا !..** وجعلنا هذا اكثر لهفة على ان نعثر على كرتنا، فواصلنا الزحف فى حذر .. ومن وقت الى آخر ، كانت تنبعث الى آذاننا دقات مكتومة ، واصوات ارتطام معادن، ولغط . ولولا الحاح الجوع، وجفاف حلقينا ، لخيل الينا أننا فى حلم عجيب .. فقد رحنا نزحف على ايدينا وأرجلنا على بساط من اعشاب زاهية الألوان، تتماوج مع هبات الهواء ، وقد بلغت من النمو والكبر درجة تدعو الى الدهشة .. حتى الأحجار كانت غريبة التركيب .. وفى كل هذه الاثناء ، كان للدماء الجارية فى عروقنا خرير عجيب فى آذاننا .. وكانت الدقات، ورنين المعادن تلاحقنا . ثم تناهى الى اسماعنا خوار وحوش ضخمة !

* * *

• **ومضينا** نزحف فى ذعر ، وسط ادغال القمر الهائلة الكثيفة ، وبين ركامات حجرية ، وفوق سفوح جليدية ..



واعيننا لاتكف عن التطلع بحثا عن كرتنا المفقودة!.. وبين آن وآخر، كان يوافينا خوار دواب القمر، وكأنه زئير وحوش رهيبة .. ومن العسير ان اصف منظر أول دابة رأيتها ، ولكنى استعين فى الوصف بما تبينت فيما بعد .. كان طولها حوالى ثمانين قدما ، وارتفاعها حوالى مائة، وجانباها براقان ، يرتفعان ويتخفضان مع تنفسها .. اما لونها فكان ابيض ، يتدرج الى السمرة عند منتصف الظهر .. وكان رأسها ضخما، يقوم على عنق سمين.. وتبدى فمها واسعا، أما عيناها فقد كانتا مغمضتين، لأن الدابة القمرية لاتفتح عينيها فى ضياء الشمس !

وتبعت الدابة الأولى دواب اخرى. ثم رأينا جسما من معدن « السيلينايت » ـ الذى يسمى على الارض بمعدن القمر ـ فجمدت فى مكانى .. **كان ضئيل الحجم بالنسبة للدواب ، فلم يكن طوله يتجاوز خمس أقدام . وكان يرتدى ثيابا من مادة جلدية ، وقد بدا أشبه بحشرة ذات زوائد كالسياط، وذراعين متدليتين من جسم معدنى اسطوانى الشكل . وكان الرأس متواريا تحت خوذة ذات سنان عديدة ، ونظارة ذات زجاج داكن .. وكان يسير على ساقين قصيرتين ملتفتين فى أغطية تبعث الدفء فيهما ، وقد لاحتا طويلتين بالنسبة للفخذين اللتين كانتا غاية فى القصر !** .. وكان رغم ملابسه الثقيلة يسير بخطوات بدت لنا جد واسعة .. وظللنا جامدين ، ممسكين انفاسنا، الى ان غاب القطيع وقائده عن أعيننا، فواصلنا زحفنا بحثا عن كرتنا المفقودة !

وما لبثنا ان توقفنا عن الزحف، اذ وجدنا نفسينا على مقربة من مخلوق «سيلينايتى» آخر . وكان كالمخلوق السابق، فيما عدا انه اوتى ما يشبه طرفى سدادتين برزتا من عنقه . وقابلنا قطعانا أخرى من الدواب ، ثم انتهينا الى حافة هوة يبلغ قطرها مائتى قدم تقريبا ، فرحنا نزحف هابطين . وفجأة ، سمعنا ضجيجا هائلا، يفوق كل ماسمعنا من قبل ، ويبدو اقرب من سابقيه .. وخيل الينا ان الدقات كانت تبعث ذبذبة فى اجسادنا . وفجأة، همس كافور ينصحنى بأن احتمى بالأدغال . وفى تلك اللحظة سمعت هزة، كأنها طلقة من مدفع . **ولن انسى ماحدث بعد ذلك . فقد التفت خلفى ، وانا أمد يدى امامى ، واذا بى أشعر بأنها فى فراغ ، واصطدم صدرى بجسم صلب . ووجدتنى على حافة هوة ضيقة ، لا قرار لها . . كان السطح مجرد غطاء هائل انشق واخذ جانباه يهبطان منفرجين عن شق عميق .**

وكان كافور أسرع منى انتباها الى الخطر ، فجذبنى من قدمى الى الوراء، فسرعان ما هرعت اتبعه الى اعماق الادغال . ولم نر فى الهوة التى انفتحت سوى ظلام دامس ، ثم شرعنا نلمح أضواء ضئيلة تروح وتغدو . ثم تبينا اشباحا صغيرة ، لينة ، سريعة الحركة ، تتحرك بين الأضواء التى بدت مدببة كالابر . وهمس كافور : « لا بد انهم يعيشون فى هذه الكهوف بالليل ، ويغادرونها بالنهار ! » . وعدنا نضرب فى الاحراش، واذا بنا نجد نفسينا وسط وقع اقدام وصيحات من كل جانب فجثمنا فى مكانينا برهة ، حتى اذا هدأ روعنا ، عدنا نواصل الزحف . وصادفت نباتا فطريا كعش الغراب ، فلم استطع ان اقاوم الجوع ، ورحت التهم ثماره رغم تحذيرات كافور . واذ امتلأ بطنى ، دبت الحرارة فى جسدى ، فلم يلبث زميلى ان حذا حذوى

وان هى الا برهة ، حتى لاحظت اننى وكافور كنا كثملين

افرطا فى الشراب ! .. وقررنا ان نقاوم هذه الظاهرة ، وحاولنا ان نسعى نحو ضوء الشمس ، واذا بنا نصادف ستة من السيليناييين ، كانوا يسيرون فى صف واحد وفوجئت بكافور يصرخ ثم يقفز نحوهم .. ولست ادرى ما خطر برؤوسهم ، ولكنى رأيتهم يجرون فى كل اتجاه !

وهممت بأن ألحق به ، ولكننى تعثرت ووقعت .. وشعرت بدوار .. ورحت اناضل فى عنف ، ولكن مشابك معدنية شلت حراكى .. وكان اول ما أفقت عليه بعد ذلك ، اننا كنا وسط ظلام وضوضاء ، وقد تناثرت الجروح والكدمات فى جسمينا وعصفت برأسينا آلام قاسية !

* * *

. **وكان** اول ما فطنت اليه بعد ذلك ، هو اننى كنت مشدودا الى الارض بسلاسل احاطت بساقى ووسطى .. وعلمت من كافور انه كان مثلى ، وان اهل القمر — او « السيليناييين » — هم الذين فعلوا بنا ذلك .. وما لبث ان شق الظلام الدامس خط من نور ثاقب ، فاذا باب قد فتح ، وأقبل منه « سيليناتى » خلع الخوذة والثوب الخارجى اللذين رأيناهما على كل من صادفنا من قبل .. وكان يسير بمشية الطائر ، حتى وقف امامنا تماما .. **وبدا كأنه لم يؤت وجها ، اذ لم يكن له أنف ، كما كانت عيناه بارزتين الى جانبى رأسه ، حتى لقد خلتهما — فى البداية — اذنين .. ولم تكن له اذنان ! .. اما فمه فكان شبيها بفم البشر ، ولكنه زاد وجهه بشاعة مرعبة ! . وكان عنقه مؤلفا من ثلاث قطع اتصلت كل منها بالتى تليها ، وكأنها أجزاء فى آلة .. أما لباسه ، فكان أشرطة لفت بأحكام حول اعضاء جسمه ؟**

وراح يتأملنا وقد استطالت لحيتانا ، وتخللت وجهينا الخدوش ، وتناثرت فى جسمينا الجراح .. وما لبث « السيليناتى »

ان تركنا وخرج ، مغلقا الباب خلفه .. وعدنا الى الظلام الغامض الذى كانت تشيع فيه أصوات خفية !

وقال كافور أخيرا : « يبدو ان هؤلاء القوم اوتوا عقولا ، اذ ان بوسعهم ان يفعلوا وان يصنعوا اشياء كثيرة .. هذه الاضواء مثلا .. » . وأمسك عن الكلام لحظة ، ثم استطرد : « انهم اكثر انسانية مما كنا نتوقع ! » . وسكت لحظة اخرى ، ثم قال: **« اننا على الفى قدم - أو أكثر - من السطح ، فان الجو هنا ألطف منه فى الخارج .. والهواء اكثر كثافة .. ان كل المعلومات التى تكهن بها العلماء عن القمر ، لم تقدهم الى ان يستنتجوا انه مجوف كالكهف ، وان لجوفه جوا خاصا »** . وراح يرسل ذلك الأزيز الذى اعتاد ان ينبعث منه كلما استغرق فى التفكير ، بينما كنت أحرق الارم غيظا لأننا زججنا بنفسينا فى مثل هذا الموقف الذى لم نكن نعرف منه مخرجا ! .. وزادنى هلعا ماتنبأ به كافور من ان القوم لن يكفوا ايديهم عن كرتنا اذا هم عثروا عليها !

ورحت ألعن العلم والعلماء ، ولكن كافور قال : « لا داعى للشجار ، فان امامنا مشكلات تتطلب هدوء الاعصاب .. هناك مثلا وسيلة التخاطب مع هؤلاء القوم . اننى اتوقع ان تكون لاشاراتهم ذاتها مدلولات تختلف عما لاشاراتنا .. كما ان أصواتهم اشبه بأنغام المزامير ، وهو ما لا سبيل لنا الى تقليده .. ثم ان لهم عقولا غير عقولنا ، ولا بد من ان يكون بيننا شىء مشترك ! .. على ان مجرد وجود عقول لا بد ان يوفر شيئا من التشابه ، رغم تباين الكواكب » .. **وراح يدلل بمنطق هندسى على تشابه عقلية اهل القمر بعقلية البشر ، اذ كانت لديهم آلات وملابس وما الى ذلك من اشياء ابتكرها اهل الارض من ناحيتهم ، ثم عاد يقول : « اذا كانوا لم يقتلونا ، فلا بد ان لديهم فكرة عن الرحمة .. او ضبط النفس ، على الاقل ! .. والاضواء ، وهذا المأوى ، وهذه القيود .. كلها تنم عن درجة**

عالية من الذكاء !»

وانصرفت الى السخط ، بينما انصرف كافور الى التفكير .. وفجأة ، أقبل عدد من السيلينايتيين ،حمل اثنان منهم وعاءين، فقرب احدهما وعاءه منى .. وشعرت فجأة بالجوع . وفيما كنت اتفرس ما فى الوعاء ، ابصرت ان اليد التى كانت تحمله ، اقتصرت على ابهام ضخم وكف ، على شكل نهاية خرطوم الفيل !

وكان ما فى الوعاء عبارة عن نسيج رخو ذى لون بنى مشرب بالبياض ، ككل انسجة الكائنات التى صادفناها على سطح القمر ، فحدست انه قطعة من لحم احدى الدابات . ولاحظ السيلينايتيون ، ففكوا الاغلال المحيطة بأحد رسغى . واذ ذاك أقبلت على القطعة التهمها بنهم ، غير مكترث لطعمها ، وان لم يكن رديئا .. وراح كافور يأكل هو الآخر بنهم ، ثم شربنا سائلا كالحساء . وكان ملمس ايدى الرجال ناعما ، باردا ، ولكننى لم أجفل او ارتعش ، بل واصلت الأكل ! .. وما ان فرغنا منه ، حتى اعادوا الاغلال الى وضعها ، وان خففوا تلك التى كانت حول اقدامنا ليتيحوا لنا حرية تحريكها قليلا ، كما فكوا السلاسل التى كانت تحيط بوسطينا .

* * *

• **وكنت** فى تلك الاثناء اتأملهم .. كانت رؤوسهم مكسوة بأقنعة . اما جلودهم فكانت مشدودة ، لامعة كلحاء الخنفساء ، لا يعلوها شعر ولا وبر . وعلى طول مؤخر الرأس ، بدت حوافى فقرات تمتد من الخلف الى الامام ، وحافتا زائدتين مقوستين على جانبى العينين .. ودهشنا اذ تبينا انهم مضوا فى فك اغلالنا جميعا ، فيما عدا تلك التى احاطت بمعاصمنا ، ثم وقفوا يتأملوننا ويتبادلون فيما بينهم حديثا بأصوات كأنها كانت تنبعث من مزامير . وما لبث الباب ان فتح ، وبدا عنده حشد صغير من السيلينايتيين . وابصرنا احدهم يحرك رأسه كما

يفعل المرء حين يضيق بياقة قميصه ، فخطر لنا ان نقلده . وراقهم منا هذا ، وان لم يبد انه ادى الى نتيجة

وفجأة تقدم واحد منهم ، كان اقصر من زملائه قامة ، واكثر بدانة ، واوسع فما ، فأقعى الى جوار كافور ، وجعل يديه فى مثل وضع يدى زميلى المغلولتين ، ثم بذل جهدا ليستوى على قدميه ، فأدركنا انه يوحى الينا بالوقوف . وما ان فعلنا ، حتى ربت السيلينايتى البدين وجهينا واتجه الى الباب ، فتبعناه . وهناك وجدنا أربعة من السيلينايتيين ، يفوقون سواهم طولا ، وقد ارتدوا خوذات ذات سنان ، واحاطوا صدورهم بأجهزة اسطوانية ، وقد حملوا فى ايديهم قضبانا ذات سنان حادة ، صنعت من معدن خابى اللون . وأحاط بنا الاربعة ، وسرنا الى الكهف الواسع الذى كان الضوء ينبعث منه

وادركنا اذ بلغنا الكهف ، ان الضجيج الذى كنا نسمعه ، انما كان ينبعث من آلة ضخمة كانت تدور ، وقد انبعث منها النور الازرق الذى كان يملأ المكان ! .. ولم نستطع ان نلم بتركيب هذه الآلة ولا بأهميتها ، وهل كانت قاصرة على الاضاءة ، او كان لها نفع آخر . ولاحظنا اجساما صغيرة تعنى بهذه الآلة ، وتختلف ـ بشكل غامض ـ عن اولئك الذين كانوا يحيطون بنا . وكانت اذرعة الآلة تحدث فى دورانها دقات منتظمة ، وهى تغوص ثم ترتفع حاملة المادة التى كانت تحدث ذلك الضوء الازرق . وهتف كافور فى اعجاب : « ليس فى وسع البشر ان يصنعوا شيئا كهذا ! » . وشرع يحاول ان يستلفت انظار السيلينايتيين الى ادراكنا للآلة ، فأخذ يشير اليها ثم الى رأسه . **ووقف القوم ، واخذت رؤوسهم تهتز ، واصواتهم المزمارية ترتفع . واذ ذاك اقترب منه احد الحراس الطوال ، فأحاط خصره بيده الشبيهة بخرطوم الفيل ، وجذبه الى الاتجاه الذى كنا نسير فيه**

وقال كافور لى : « الآن يجب ان نحاول التفاهم معهم ،

فلعلهم يظنوننا نوعا من الحيوانات الجديدة عليهم ! » .. وراح يهز راسه بعنف ، ويقول فى انجليزية مهشمة ، وكأنه يحاول تبسيط اسلوبه ليفهموه : « لا .. دقيقة واحدة ! ». وفجأة ، قفز عاليا ، اذ وخزه أحد الحراس بسن رمحه . وصرخ كافور بصوت جهورى ، وتوقف القوم واحاطوا بنا ، ولعلهم لمحوا امارات الغضب على وجهينا . واقبل من اقصى الكهف سيليناتيون ، اخذوا يطبقون علينا من كل جانب ، فلم يكن أمامنا من مهرب ونحن أعزلان !

* * *

• **ولم** يكن ثمة مندوحة من أن ننصاع لرغبة القوم ، فسرنا فى سرداب طويل ، لم تكن تبدو له نهاية ، والحراس الاربعة يحيطون بنا ، والقوم امامنا وخلفنا .. واذ انقضى وقت طويل ونحن سادرون فى المشى ، قال كافور : « الا ترى اننا ننحدر فى تقدمنا ؟ .. يخيل الى ان هؤلاء طبقة منخفضة من سكان القمر ، يعيشون على مقربة من سطحه ، وان ثمة قوما أرقى منهم يعيشون فى جوفه .. ولعلنا نستطيع أن نكون أكثر توفيقا فى التفاهم معهم منا مع هؤلاء ! » .. واخذ السرداب يزداد اتساعا كلما أوغلنا فيه ، ولكن الظلام الذى حف به من الجانبين ، لم يتح لنا تقدير مدى هذا الاتساع .. وكان الضوء ينساب فى خيط مذبذب ينبعث من خلفنا ، ويتوه فى الظلام الذى كان أمامنا . وما لبثت الجدران الصخرية ان تلاشت ، وبدا الى احد جانبى الطريق جدول ذو ماء فسفورى مشع . ثم بلغنا حافة ، ضاع عندها اشعاع الجدول ، فأدركت اننا بلغنا هوة سحيقة ، مظلمة ، انسابت من احدى جوانبها معبرة (جسر مائل) فى الظلام

واراد القوم أن يحملونا على ان نهبط هذه المعبرة ، ولكنى قدرت أننا لن نستطيع أن نحتفظ بتوازن خطواتنا عليها ،

للفارق بين جاذبية الارض التى ألفنا تكييف خطواتنا وفقا لها ، وجاذبية القمر .. وعندئذ وخزنى حارسي بسن رمحه ، فاذا بالسخط يستحيل فى نفسي الى هياج محتدم ، واذا الخوف يمدنى بقوة مستيئسة ، وفى مجهود خارق وجدتنى احطم قيود يدى . ووخزنى الحارس مرة اخرى ، فاذا بى ارفع يدى بما حولهما من بقايا الاغلال ، واهوى بهما على رأسه . وهنا وقعت مفاجأة أخرى من مفاجآت القمر .. فقد تهشم رأس السيليناينى ، ولاح كتلك الحلوى التى يحشوها سائل لزج ، وهوى الجسم ساكنا ! .. وبهت ! .. وتراجع الجميع حولنا ، بينما وقف كافور حائرا . وأيقنت أنهم لن يلبثوا أن ينقضوا علينا ، فآثرت ان اهجم على الحراس الثلاثة . ولاذ اثنان بالفرار مع الباقين . أما الحارس الثالث فقد رمانى بحربته ، فمرقت الى الظلام وهوت فى الجدول ، فتطاير بعض السائل المشع . وطاردت الحارس حتى لحقت به ، فهشمت جسده !

ولم يكن أمامنا من حيلة ، سوى أن ننشد الفرار ، فأقبلت على قيود كافور أحطمها ، ونصحته بأن يستبقى بعضها ليستخدمها كسلاح .. واستقر رأينا على أن نرتد نحو السرداب ، فلما بلغناه ، رحنا نفتش عن مخبأ ، اذ كان لغط القوم يلاحقنا ، مما نم عن أنهم كانوا وراءنا .. وأبصرنا بفوهات عدد من الكهوف ، فآثرنا أن نأوى الى واحد منها .. وكان الظلام فى الكهف حالكا ، ولكننى سرعان ما لمحت بصيصا من نور فسفورى ، ثم فطنت الى أن بعض السائل الذى تناثر من الجدول ، عندما هوت فيه الحربة ، قد أصاب ساقى كافور !

وكان اللغط يقترب ، فرحنا نجرى بقفزات واسعة .. وما لبث الظلام ان اخذ يخف رويدا ، ثم فوجئنا بضوء على مسافة منا .. وكان ضوءا أبيض ! .. ضوء النهار !

وأسرعنا نحوه وقلبانا يخفقان فى عنف !

* * *

. ولكنا لم نكد نبلغ موقع النور ، حتى وجدناه ينساب من ثغرة فى سقف الكهف .. واستطعنا بعد جهد أن نتعلق بحواف الثغرة وننفذ الى ما فوقها ، فاذا بنا فى كهف امتلأت أرضه بنوع من النباتات الفطرية ، يشع منها ضوء هادىء يجمع بين اللونين الفضى والوردى . وآمنت اذ ذاك بأن جوف القمر كان مؤلفا من كهوف بعضها فوق بعض .. واذن ، فقد خدعنا الظن ، ولم يكن ضوء الشمس هو الذى رأيناه! .. وفيما كنا واجمين ، حانت منى التفاته الى القيود التى كانت مدلاة من ايدينا وارجلنا ، فاذا بها من الذهب ! .. الذهب الذى كان الضوء الأزرق فى السرداب الأول ، يظهره كالقصدير ! .. واذن فقد كان الذهب معدنا شائع الاستعمال فى القمر ، كالحديد فى الارض !

وبدأ الارهاق والقنوط يثيران أعصابنا ، فرحت ألوم كافور على أنه كان السبب فى صعودنا الى هذا الكوكب اللعين ، وراح هو يلومنى على أننى بتصرفى الأخرق قد أثرت سكان القمر ضدنا .. وفيما نحن فى شجارنا ، سمعنا دقات طبول ، ووقع اقدام تحتنا .. كان القوم قد اهتدوا الى آثارنا .. وانطلقنا نعدو فى الكهف ، فدلفنا الى سرداب كان يمتد صاعدا ، وكأنه سفح تل ، يرقى الى ظلام دامس ! .. ولكن ساقى كافور ، وبعض النباتات الفطرية التى حملناها ، ساعدتنا على الحصول على بعض الضوء !

ولست أدرى الى أى مدى صعدنا ، ولكنا انتهينا الى ثغرة سدت بقضبان من الذهب . والصقت وجهى بها ، واذا بكهف واسع ، مضاء بنور أزرق . ولمحت ظلال أشباح تروح وتغدو .. وسمعنا دقات ، كدقات معاول ، فخيل الينا أن القوم يحفرون للوصول الينا .. وفى غمرة اليأس ، باعدت ما بين قضيبين من القضبان التى كانت تسد الثغرة ، ونفذت خلالهما مشيرا الى كافور أن يتبعنى ، ثم انبطحنا على الأرض فى ركن مظلم . وسرعان ما تبينا أن عددا هائلا من الدواب الذبيحة كان مطروحا

على موائد ، وان ما خلناه معاول لم يكن سوى « شواطير » تقطع هذه الدواب الى شرائح ، تنقل الى مركبات تشبه « الترولل‍ى » .. اذن فمن هنا كان أهل القمر يحصلون على مؤونتهم من اللحم !

وخطرت لى فكرة رائعة .. ان الدواب لم تكن لتستطيع ان تقفز الى أبعاد سحيقة ، ومعنى وجودها اننا كنا على مقربة من سطح القمر ! .. وقبل ان نغتبط بهذا الكشف ، فاجأنا مطاردونا ، وراحوا يرموننا بحرابهم خلال القضبان .. واستطعنا ان نحصل على اثنين من هذه الحراب ، وان نصد الهجوم من الجانب الآخر للقضبان .. ولكننا فوجئنا بمن كانوا يعملون فى تقطيع اللحوم يتجمعون ليهاجمونا . ووكلت الى كافور حماية تلك الثغرة ، ريثما انقضضت على القصابين ، وحمدت لأمنا الأرض أن أمدتنا بأجسام ضخمة قوية ، فقد ولى الأعداء الأدبار . واذ ذاك تذرعت بـ « شاطورين » من « شواطير » القصابين ، وعدت الى الفريق الاول . وفجأة ، صرخ كافور ينبهنى . واذا وراء القضبان سيلينايتى رفيع القامة ، مزودا بأداة كالبندقية .. وأصابتنى احدى الطلقات ، واذا بهذه الطلقة عبارة عن سهم على شكل صليب . **ولكن « الشاطور » قضى على الجندى قضاء مبرما .. على اننا فوجئنا بحشد من السيلينايتيين يظهر عند أحد جوانب الكهف .. وادركنا أن زحفا كبيرا قد بدأ ، وانهالت علينا قذائف السهام ، من كل صوب !**

وكان لا بد من عمل جرىء مستبسل ، فما كان منى الا أن قفزت عاليا ، فهبطت وسط المهاجمين ، ورحت اعمل فيهم الشاطورين فى عنف وحشى ماكنت اتصور اننى اقدر عليه . ومرة اخرى ، كان جسمى الارضى فى عونى ، فتساقط الاعداء كأنهم ثمار محصودة . وخف كافور الى مساعدتى . وتبينت انهم لم يكونوا يتبعون خطة مرسومة فأفدت من ذلك كل الفائدة . وما لبثوا بعد قليل ان انطلقوا يلوذون بالفرار . ووقفت أرقب

الجثث الغريبة المهشمة .. وشعرت بأننى كنت ماردا قويا بالنسبة الى هذه المخلوقات ، فرحت أضحك كالمعتوه !

وما لبثت أن فطنت الى كافور وهو ينادينى ، فرحت أبحث عنه ، واذا هو بين جثث الدواب ، يشير الى ثغرة فوقها وهو يقول : « ضوء أبيض ! »

* * *

• **وأخيرا** ، وجدنا أنفسنا فى ضوء الشمس فى هوة بركانية قديمة .. وكان شكل النباتات الذابلة والمحترقة ،يشبه نباتات الأرض فى الخريف . وبقليل من الحساب والتقدير ، أدركنا اننا قد قضينا فى القمر عشرة أيام أرضية .. ولم يبق سوى أربعة ايام ثم يحل الليل .. الليل الجليدى ، القارس ، القاتل !

وفبهنا هذا الى ضرورة السعى للعثور على كرتنا ، فأقمنا منديلا على شجرة عالية ، جعلناها مركزا نجنح اليه ، ثم اتفقنا على أن أتجه غربا ، بينما يتجه كافور شرقا ، وأن يسعى كل منا فى شكل نصف دائرة تتوسطها الشجرة .. وقلت له ان علينا أن نعود الى الأرض فنتزود بأدوات الاضاءة والاسلحة وما اليها ، لنعود الى القمر ثانية فنستغل ما به من ذهب .. ووقف طويلا يتأمل الشاطورين الذهبيين اللذين اتخذتهما سلاحا فى المعركة ، ثم قال : «لقد كنت انا الذى عثر على طريقة للوصول للقمر ، ولكن .. ما الذى سيجرى اذا أنا عدت بهذا السر الى الارض ؟ .. لن يلبث الناس أن يأتوا ليكتشفوا القمر من جديد، ان عاجلا او آجلا .. ثم ، لسوف تتصارع الحكومات والدول الكبرى فى سبيل الوصول ، ولسوف يقاتل بعضها بعضا ، وتقاتل أهل القمر . **ولن يؤدى الأمر الا الى زيادة الحروب .. ان أى نتيجة أخرى مشكوك فيها ، ولكن المؤكد أن سطح القمر لن يلبث ان يزخر بالجثث .. وما جدوى القمر للناس ؟ .. لقد أحالوا كوكبهم الى ميدان للقتال،ومسرح لحماقة لانهائية !..**

لا ، لقد شقى العلم طويلا حتى انتج اسلحة ليستخدمها اناس حمقى ! »

وشعرت بلوعة عندما ودعنى كافور ، وبدأ كل منا يرتاد المنطقة التى كان عليه ان يبحث عن كرتنا فيها ! .. على اننى لم أبدأ السعى فورا ، اذ لم ألبث ان أقبلت على واد منخفض ، عليل الهواء ، فطاب لى أن أستريح قليلا .. وجلست أتأمل صخور الوادى فاذا بعروق الذهب تجرى فيها غزيرة . وبدلا من ان اطرب ، جثم على صدرى هم خفى .. **ماجدوى الذهب الآن، وقد قدر لنا ـ كما كان فى يقينى اذ ذاك ـ أن نفقد كرتنا، ونفقد معها كل امل فى العودة الى الارض ؟ .. وأوشكت ان استسلم لليأس ، لولا أن غشينى ذلك الحافز الغامض ، الذى لا تعليل له ، والذى يهيب بالانسان دائما أن يحفظ حياته وان يدافع عنها ، ولو ليموت ـ بعد ذلك بقليل ـ ميتة أشنع واكثر ايلاما !**

وساءلت نفسى : ما الذى اتى بنا الى القمر ؟ .. ماهى تلك الروح التى تدفع الانسان دائما الى ان يطلق السعادة والامان ، لكى يشقى ، ويخوض المخاطر ، ويتعرض للموت ؟ .. ولاح لى اذ ذاك ان الانسان لم يخلق لكى يعيش آمنا ، مرتاحا ، ملىء البطن ، موفور السرور .. ان مصالحه وميوله تتعارض دائما مع سعادته ، فهو لا يفتأ ينساق الى أعمال بعيدة عن العقل والادراك ! .. ولكن ، لماذا ؟ .. ووقفت فى خواطرى عند هذا الحد ، اذ غشينى النعاس !

واستيقظت نشيطا ، وقد ازدادت الشمس انحدارا فى الفضاء ، فخففت الى البحث عن الكرة .. ولكننى رغم طول الجهد لم اجد لها اثرا ، فأيقنت اننا ضائعان ! .. لم يبق علينا الا أن نعود الى جوف القمر قبل ان يقبل الليل ببرده الفتاك !.. وسرت فعلا الى موقع المنديل ، لأبحث عن كافور ، وفجأة .. رأيت الكرة ! .. كانت جاثمة فى مكان بعيد ـ نحو الغرب ـ

وقد انعكس عليها شعاع الشمس الغاربة ، فكان بريقه هو الذى لفت نظرى !

وأسرعت أعدو نحوها كالمجنون ، غير عابىء بالعثرات والسقطات وما اصابنى خلالها من رضوض .. لم أكن أفكر الا فى الكرة ! .. ورحت احتضنها ــ حين بلغتها ــ وانا أحاول أن أصيح : « كافور ! .. ها هى ذى الكرة ! » . ومضيت اتفرس ــ خلال الزجاج ــ فى جوفها ، ثم رفعت غطاء فوهتها ودخلت .. كانت سليمة لم تمس بسوء ! .. وفتحت صنبور احدى أنابيب الاوكسيجين، ووجدتنى ارتجف ،فأدرت المدفأة الكهربائية ، وجلست أتناول بعض الطعام .. والشاطوران الذهبيان الى جوارى !

ثم تذكرت كافور ، ولكن خورا غريبا دب فى أوصالى ، فحرضنى على التلكؤ .. ثم تحاملت على ساقى اخيرا ، وخرجت من الكرة ، فاذا البرودة قد اشتدت ، والشمس قد ازدادت جنوحا الى الغروب . وشعرت بأن النهار يحتضر سريعا ، فأسرعت أعدو الى موقع المنديل ، ولكنى لم اجد أثرا لكافور .. ورحت أجوس ببصرى فيما حولى .. وحاولت أن أنادى ، ولكن كثافة الهواء كانت فى تناقص ، فلم يكن صياحى بالمسموع .. واشتدت البرودة ، ومع ذلك فاننى خلعت صديريتى ورحت الوح بها . ولكن .. ما من اثر لكافور ! .. وكان السكون ساجيا ، موحشا .. ولمحت فجأة شيئا على بعد ، فسعيت اليه ، واذا به القلنسوة التى كان كافور يرتديها .. ولمحت على الاعشاب الجافة الذاوية ، آثار صراع .. **ترى ماذا جرى ؟ .. أيكون كافور قد أصيب بسوء ؟ .. ايكون السيلينايتيون قد داهموه وتكاثروا عليه ؟**

وانقبض صدرى ، وتوزعتنى الهواجس فى قسوة !

ثم حانت منى التفاتة ، فاذا بجسم على بعد ، خيل الى انه ورقة عبثت بها يد فأوشكت ان تمزقها .. واسرعت الى هذا

الجسم ، فاذا هو ورقة بالفعل .. ورقة بها سطور غير منتظمة، كأنما كتبت فى عجلة واضطراب ، بأسلوب غير منسق ، وجمل مبتورة .. كانت رسالة من كافور ، قال فيها انه اصيب فى ركبته ، ولم يعد فى وسعه ان يجرى بل ولا ان يزحف .. وان قوما من سكان القمر ، على غير شاكلة السيلينايتيين الذين صادفناهم ، قد اقبلوا عليه ، وحاصروه ، وأخذوا يضيقون عليه الحصار ، وهذا سر عجلته فى الكتابة .. « ان لهم رؤوسا كالصناديق ، اكبر حجما من رؤوس الآخرين .. واجسامهم اكثر نحولا والتفافا ، وسيقانهم جد قصيرة .. وهم يتحركون بنظام وخطة مرسومة » !

* * *

• **وكانت** على الورقة اثار دم ! .. ووقفت حائرا ، مشدوها ، لا أكاد أعى شيئا أو أفكر فى شىء .. وضوء الشمس ينحسر رويدا ، والهواء يزداد برودة !

وفجأة ، سمعت الدقات المألوفة المنبعثة من جوف القمر ، وابتدأ الغطاء ينطبق على العالم الداخلى العجيب . وكدت اجن .. اين كافور ؟ وماذا أصابه ؟ .. وانطبق شقا الغطاء ، وبقيت وحيدا معزولا عن كل اثر للحياة ، اذ كانت النباتات التى على سطح القمر قد ماتت ، وبدا الكون مقفرا ، موحشا ، يزحف عليه برد فظيع .. **واخذ كل شىء يتجمد ، حتى الهواء .. واشتدت ضربات قلبى .. واخذ الظلام يدلهم .. ودفعنى شعور غريزى جبار الى ان اهرع نحو الكرة .. وسقطت ، فراح الألم يوسوس لى : « ابق ! نم ! » ولكنى كافحت فى استبسال .. ونهضت ، وجريت ، ووقعت .. على جليد فى هذه المرة! .. وعاد الألم والقنوط يوسوسان : « فاتت الفرصة ! نم ! استسلم ! »**

وكانت كسف الجليد ـ اعنى الهواء المتجمد ـ تتراقص امامى

فى الفضاء . وخنقت شهقات الهلع ، وصررت على أسنانى ، وقلت : « لابد ! » .. ورحت أجرى ـ فى الظلام ـ كالأعمى ، ولكنى حافظت على اتجاهى ، جاعلا الكرة قبلتى ! .. والهواء المتجمد يحوم حولى .. وأنفاسى تضيق ، وخطاى تتعثر !

* * *

• **ولست** أدرى كيف وجدتنى داخل الكرة ، ولكن الذى أدريه هو أننى قضيت فترة نهبا لنوعين من المشاعر ، راحا يتناوباننى : الشعور بالخوف الطاغى ، والحيرة .. والشعور بالوحشة ، والسكون ، والخواء اللانهائى !.. وأوقدت المصباح المتوهج الصغير ، وادرت المدفأة ، واطلقت الأوكسجين فى جو الكرة ، ثم شرعت أفكر فى طريقة الرجوع الى الأرض ، فشغلت بذلك عن التفكير فيما سيكون على ان افعله ، اذا ما وصلت اليها !

واسرعت اسدل جميع الستار ، فاذا الكرة ترتفع وقد تحررت من جاذبية القمر ، وانطلقت فى الفضاء.. وكافور ؟!.. وانتبهت من تفكيرى فى امره ، الى اننى كنت اسبح فى الفضاء دون وجهة معينة .. وأخذت أرفع الستائر وأسدلها تباعا ، حتى تجلت لى الأرض كهلال كبير .. ثم شغلت بالسيطرة على الستائر ـ لتوجيه الكرة ـ عن كل شىء .. حتى نفسى!

ولست ادرى كيف اقتربت من الارض ، ولكن الذى ادريه هو اننى شعرت اخيرا بجاذبيتها تشد كيانى ، فرحت أسدل الستائر ، حتى لم تبق سوى كوة صغيرة ينفذ خلالها اشعاع الجاذبية ، تخفيفا لقوة الاندفاع الى الأرض .. وما لبثت أن تبينت بحرا تحتى ، فآثرت الهبوط فيه لتجنب الارتطام ! . وكان وصولى الى أمنا الأرض ليلا ، فراحت الكرة تطفو على سطح الماء

وكانت فرحتى بالوصول الى البر لاتقدر .. ولم يكد أحد

ممن عثروا على ـ بجوار شاطىء (ليتلستون) بانجلترا ـ يصدق اننى عائد من القمر ، حتى رأوا « الشاطورين » الذهبيين ، فاذا بهم يتأرجحون بين التكذيب والميل الى التصديق !

وفيما كنت أتناول فطورا فى فندق قريب من الساحل ، بدأ المد ينحسر ، فجذب الكرة معه . ولما كانت نوافذها جميعا مفتوحة ، فانها غاصت فى جوف البحر !.. وجزعت فى البداية ، ثم تبينت أن غياب الكرة كان أعظم حل للمشكلات التى كان من المحتمل أن تثور اذا نمى الأمر الى السلطات ، لذلك بادرت الى قطع كل علاقة لى بالماضى ، والى النزوح الى ايطاليا ، حيث كتبت هذه الأصول !

* * *

• **ولقد** كنت أظن أن قصتى انتهت عند هذا الحد ، لولا أن نمى الى علمى أن عالما كهربائيا هولنديا يدعى « جوليوس ونديجى » ، كان يقوم بتجارب للاتصال بكوكب « المريخ » ، واذا به يلتقط اشارات من القمر ، من شخص يدعى « كافور » !.. وكنت فى (الجزائر) عندما تناهى هذا النبأ الى علمى ، فسعيت حتى استطعت ان اعمل كمساعد له . واذ ذاك ، علمت من الرسائل المتقطعة التى كان قد التقطها من القمر ، ان « كافور » كان حرا طليقا فى القمر ، وانه فى صحة أفضل من صحته عندما كان على الأرض !

ولم يكن ويندیجى يملك الاتصال بالقمر ، ولكن الذى كان يملكه هو التقاط هذه الاشارات التى كان يبعث بها « كافور » فتتداخل مع أمواج غيرها عبر الفضاء .. ولقد رحت أتتبع ما سجله العالم من هذه الاشارات . وساءنى ان « كافور » كان قاسيا فى حكمه على ، اذ ذكر أن روحى المعنوية كانت من الضعف بحيث أنها جعلتنى مشاكسا ، شرسا ، مما أثار أهل القمر علينا .. ثم ان الجبن والخوف اغريانى على الرحيل بالكرة ، ومحاولة

كسب الفخر الذى يترتب على رحلة كهذه اذا طبق نبأها آفاق الارض . . وما درى « كافور » اننى ـ على العكس ـ تكتمت كل شىء ، حتى لا اتعرض للتبعات ، التى كان أهونها سؤالى عن مصيره هو بالذات .. فما كان من المحتمل ـ قبل ان اعلم بهذه الاشارات عبر الفضاء ـ ان تصدق السلطات اننا كنا معا فى القمر ، وانه ظل هناك !

وكانت الاشارات ـ بعد ذلك ـ تروى تفصيلات طريفة .. فقد حمله « السيليناتيون » الى عمق بعيد فى جوف القمر ، بوساطة ما وصفه بأنه « نوع من المناطيد » .. واختلت معانى العبارات بعد هذه النقطة ، ثم عادت تنتظم لتبين انه **نقل عبر سراديب جوفية وكهوف شاسعة ، اوحت اليه بأن القمر اشبه بالاسفنج ، ملىء بالثقوب الممثلة فى كهوف وسراديب ومغاور . وفى وسط جوف القمر ، بحر شاسع تصب فيه انهار وجداول، يمتزج بمائها عنصر فسفورى. بل ان أهل القمر الذين يعيشون حول هـذا البحر ، مضيئون هم الآخرون . وهم يمخرون عباب هـذا البحر وكل السطوح المائية الأخرى ، فى قوارب شبيهة بالقوارب الارضية !**

وما لبث ان اقتيـد الى « القمرى الأكبر » ، وهو صاحب السلطان الأعلى فى القمر .. وهنا عادت العبارات التى التقطها « ونديجى » تتداخل وتضطرب ، ثم انتظمت لتمضى فى وصف القمر وتكوينه .. ووصف أهل القمر بأنهم اشبه بالنمل فى نظمهم وعاداتهم واوضاعهم الاجتماعيـة ، ولـكنهم يفوقون الآدميين فى المقاييس الأدبيـة والخلقية .. وهم كأهل الأرض أجناس وطبقات ، فالمقيمون على مقربة من سطح القمر هم اهل البداوة ، والمتأخرون ، ومنهم الفلاحون والعمال . ولـكن فى الأعماق طبقات اخرى ، واقوام لهم « خزائن مخيـة أكبر » ، ولهم سيقان اقصر . وهؤلاء هم الذين نقلوه فى منطـاد الى فراغ اسطوانى ، راحوا يهبطون به فيه .. وكان الضوء يشتد

كلما اوغلوا .. وبدا الطريق شبيها بسلم حلزونى ، وقد اكتظت الارصفة التى على جانبيه بأناس قمريين اقبلوا ليشهدوا المخلوق العجيب .. **وكانوا خليطا عجيبا ، منهم من اوتوا صناديق مخية - أى رؤوس - صغيرة ، ومنهم من اوتوا صناديق كبيرة . وبينهم من كانت تبرز من رؤوسهم قرون وزوائد !**

واخيرا اقتيد الى غرفة سداسية الشكل، سجن فيها فترة، ثم ردت اليه حريته من جديد . ومن العجيب ، ان « القمرى الأكبر » عين اثنين من ذوى الرؤوس الكبيرة كمرافقين لكافور ، يحرسانه ويدرسانه ! .. وبادر « فى - وو » و « تسى - بف » - كما كانا يدعيان- الى معالجة مشكلة الكلام ، فأخذا يترددان على سجن « كافور » فيقلدان الأصوات التى تنبعث منه . واذ ادرك غايتهما ، بدأ يكرر أمامهما كلمات معينة ، ويحاول ان يفهمهما مدلولها . وبهذه الطريقة استطاع ان يعلمهما فى الاجتماع الاول مائة اسم بالانجليزية .. وما لبثا ان استعانا برسام ضما اليه بعد قليل ممثلا يؤدى الحركات ، وبهذا سار التعليم شوطا بعيدا فى تبادل اللغتين

وقال كافور فى احدى رسائله : « ان كل مواطن فى القمر يعرف مركزه ، فهو قد خلق من أجله ، والتعليم والمران اللذان يتلقاهما انما يعدانه من اجله ، بحيث لا يصبح لعقل الفرد او اعضائه أى غرض سوى خدمة هذا المركز . وهم يستعينون - فى ذلك - بعلم النفس ، وبالجراحة بحيث لاينمو المخ وبقية الجسم الا بالقدر الذى تتطلبه الوظيفة التى يهيأ لها المرء . بل ان صوته ذاته ، يتخذ قالبا خاصا يناسب ذلك ، كما انه يصبح أصم اللهم الا بالنسبة لسماع شئون مركزه » . فاذا كان الفرد معدا لكى يكون رياضيا مثلا ، فانه يعيش فى نطاق العلوم الرياضية ومسائلها فحسب !

وراح يبين كيف أن كل قمرى وحدة فى جهاز واحد ، هو

العالم الذى يعيش فيه .. والعاملون بعقولهم يؤلفون الطبقة الارستقراطية فى هذا المجتمع العجيب ، وعلى رأس الجميع « القمرى الاكبر » . وتربى عقول أهل الفكر ، بافساح المجال للمخ كى ينمو دون حدود ، وذلك برفع العظام التى تحيط به فى الصندوق المخى . ويؤلف اهل الفكر ثلاث طبقات : فهناك الاداريون ، والخبراء ، ثم العلماء وهم مستودع كل المعرفة . وليست لدى اهل القمر كتب،بل ان كل فرد يحتفظ بمحصوله من المعرفة فى خلايا مخه بنظام خاص، وكأنما المخ مكتبة منسقة ومبوبة . ويصحب معظم اهل الفكر عدد كبير من الخدم والوصفاء والحمالين والسعاة ، يتوفرون على خدمته واعفائه من كل ما يتطلب جهدا ، مهما ضؤل هذا الجهد .

وقال فى احدى الرسائل : « اما عن الشئون الجنسية فى القمر ، فلم الم حتى الآن الا بالقليل عن الزواج والتناسل وما الى ذلك . واعتقد ان اهل القمر يشبهون النمل والنحل فى ان اغلبية عظمى منهم تعيش محايدة ، فلا هى منسوبة الى الذكور ، ولا هى منسوبة الى الاناث ، ولا هى تتزوج . وهناك طبقة خاصة من بنات القمر ، هن اللائى يعددن لمهمة اكثار النسل . وما ان يولد الصغار ، حتى ينتزعوا من امهاتهم ويعهد بهم الى طبقة مخصصة من الاناث ـ هى الشغالات كما فى النحل ـ اوتيت اعضاؤها امخاخا فى احجام امخاخ الذكور » !

* * *

• **واضطربت** معانى الرسائل بعد ذلك ، ثم انقطعت حينا. على انها لم تلبث ان عادت من جديد . وفى هذه المرة ، عنى « كافور » بوصف زيارته للقمرى الاكبر . فذكر انه حمل على محفة الى القصر ، وسار الموكب خلال سراديب وكهوف

لاحصر لها ، وقد احتشدت فيها مخلوقات قمرية متباينة الشكل ، راحت تحدق فى « كافور » وكأنه عجيبة من العجائب حتى انتهت بهم الى بهو – لم ير «كافور» اكبر منه فى حياته – ذى ضوء ازرق قاتم .. واخذ الموكب يصعد – بعد ذلك – سلما حلزونيا ، انتهى بقوس هائل .. **وعلى قمة السلم استوى «القمرى الاكبر» فى عرشه ، وقد سلط عليه ضوء ازرق وهاج ، وحف به من كل الجوانب ظلام ، وبدا كأنه هالة من سواد وزرقه . ولاح السلطان كأنه قبضة من سحاب ازرق . وبدا صندوقه المخى كبيرا ، الى درجة ان عرضه كان يتألف من عدة ياردات .** وكان يحيط به من الجانبين ومن امام ومن خلف ، عدد كبير من الخدم والحشم والاتباع . ومضى « كافور » يقول فى رسالته : «وانبعثت دقات منتظمة ، تصحبها موسيقى خفية ، عندما مثلت أمام «القمرى الاكبر» . ورحت اتفرس فى الهالة المضيئة ، وفى المخ الهائل .. ولم يكن ثمة وجه ولكن كانت هناك عينان كأنما كانتا تطلان خلال نافذتين . ولم ألبث ان تبينت أن جسمه كان دقيق الحجم ، وأن أطرافه كانت كأطراف الحشرة .. **وصعدت السلم ، فرأيت اطياف الخدم والحاشية تزداد احاطة بسلطانها الاعظم . وما ان اصبح بينى وبينه عشر درجات ، حتى كفت الموسيقى عن العزف ، وانتبهت الى ان جميع الانظار كانت مركزة على! .. وكان « القمرى الاكبر » يتفرس فى وكان نظراته توشك ان تنفذ الى اعماقى ..** وغشينى خوف لا مبرر له ، ثم انجابت عنى موجته .. ووقف « فى – وو » فى منتصف المسافة بينى



وبين مولاه ، وكأنه يتهيأ لأن يكون وسيط التفاهم بيننا .أما « تسى ــ بف » فتقدم وقف خلفى !

« وامرت بالجلوس ، فاستويت على الأرض ، كما يقعد الأتراك . . وسرى اللغط لفترة قصيرة ، ثم ساد صمت شامل. وما لبثت ان سمعت أزيزا خفيفا ، فانتبهت الى ان « القمرى الاكبر » كان يكلمنى . كان صوته كحركة الاصبع على لوح من الزجاج . وعندما سكت أخيرا ، شرع « فى ــ وو » يترجم لى حديثه بقدر ما وسعه ما تعلمه من الانجليزية . . قال ان السلطان قد ادرك أننى من أهل كوكب الأرض ، وانه يرحب بى ، ويرجو أن يعلم شيئا عن حال هذا العالم الذى جئت منه، والسبب الذى جئت من أجله

ومضى يقول ان الأرض بالنسبة للقمر بمثابة الشمس بالنسبة للارض ، ومن ثم فان أهل القمر يتوقون الى معرفة أقصى ما يستطيعون عن اهل كوكبنا . . ومن ثم فقد شرعت أحدثه عن الأرض واهلها ، و « فى ــ وو » يترجم حديثى ، و « القمرى الأكبر » لا يكف عن الاسئلة ، مستزيدا المعلومات . . وما لبث السلطان أن التفت الى حاشيته ، وراح يحدثهم طويلا ، ثم انقلب يسأل عن علوم أهل الأرض ، ونظمهم الاجتماعية ، ونظم الحكم . . وأسهبت فى شرح كل ما طلب ، ولكن أغرب ما دهش له ، هو ان أهل الأرض كانوا مختلفى اللغات واللهجات . ثم راح يسألنى فى دقة عن حروب اهل الأرض ، وبهت حين علم انهم ينصرفون الى قتل بعضهم بعضا، وهم لم يبدأوا بعد فى استغلال ثروات كوكبهم ! . . واشتد عجبه حين علم ان هذه الحروب تدمر ما عمره اهل الأرض من كوكبهم . . وحدثته عن اسلحتنا ونظم جيوشنا ، فكان يصغى لترجمة « فى ــ وو » وهو مشدوه ، لايكاد يصدق ، لاسيما حين علم ان البشر يزهون بانتصاراتهم بعضهم على بعض » !

* * *

• وعند هذا الحد ، اختلت الرسائل زمنا ، ثم عادت تنتظم لتبين ان «كافور» سئل عن سر اختراعه .. عن مركب الفضاء الذى حمله الى القمر ، وانه تبين ان القمريين كانوا على علم بالمادة التى تعزل الجاذبية ، ولكن علمهم لم يتجاوز الناحية النظرية ، لأنهم لم يؤتوا غاز الهيليوم فى كوكبهم

على ان الاشارات عادت الى الانقطاع حينا . وفجأة ، جاءت الرسالة الأخيرة وكأنها صرخة .. صرخة فى جوف الليل ! .. وقد بدأها «كافور» بقوله : «كنت مجنونا اذ اطلعت القمرى الأكبر على طريقة صنع مركب الفضاء» .. ثم اضطربت الاشارات ، وكأنما كان ثمة عوائق تعرقل مضيه فيها .. **وليس بوسعنا ان نحدس ما جرى ، ولكن الهاما خفيا صور لى ان أهل القمر قد غدروا بكافور ، اذ ابى ان يطلعهم على سر اختراعه ، حتى لا يستغلوه فى غزو الارض .. ولعله كافح ، ولكنهم تغلبوا عليه ، وقذفوا به الى الظلام المجهول .. الى الصمت الذى لانهاية له !**

غراميات جان جاك روسو

• **عاش** «روسو» اكثر من خمس وعشرين سنة مع «تيريز» ، وكانت علاقته بها هي بداية العهد الذى أصبح فيه حريصا على مبادىء الخلق .. ولقد انجبها ابناء اسلمهم لملجأ اللقطاء .. واستكان الى معاشرتها ، وانتهى الى الزواج منها . ومع ذلك فانه يقول .. **«منذ اللحظة الأولى التى رأيتها فيها،حتى يومنا هذا ، لم أشعر نحوها بأضال قبس من الحب ، واننى لم اعد اكثر اشتهاء لمضاجعتها ، منى لمضاجعة السيدة دى فاران !»**

ولقد احب من قبلها السيدة دى فاران – التى اعتاد ان يناديها بلقب «ماما» – فأسلمته نفسها ، لتنقذه من غواية سواها ! .. ولكنه ظل يخلط بين حب البنوة والأمومة ، وبين حب الجسد .. حتى افترقا !

ولقد تعلق بعدها بالسيدة «ديبيناى» ، فأفردت له الدار التى اخرج فيها أغزر انتاجه – وهى«ليرميتاج» – وكانت تشغف بأن تتلقى منه آيات الغزل ، والقبلات «الاخوية !» . **ولكنه – مع ذلك – لم يستطع ان يعشقها ، لأنه لم يروض نفسه قط على حب امرأة بلا نهدين .. اذ كان صدرها مبسوطا كراحة اليد !**

على ان الغرام الذى ارتاح له حقا ، هو غرامه مع السيدة «دوديتو» .. الغرام الذى واتاه فى الكبر ، والذى يروى قصته فى :

الجزء الرابع من

«اعترافات جان جاك روسو»

الذى تصدر به «مطبوعات كتابى» .. فى منتصف نوفمبر

إقرأ معك :

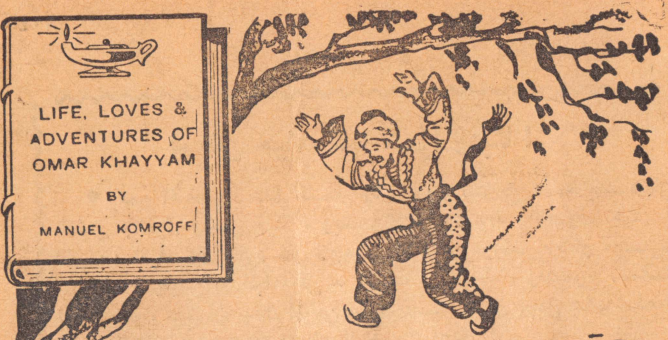


كتاب الشهر

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب من قبل ، الكتب الشائقة التالية : آراء جريئة فى السياسة . كيف نجحوا فى الحياة . الحياة فى موسكو . مراهق . آلهة ومقابر وعلماء . الألمان ، شعبا وعباقرة . مستقبل زوجك فى يدك . التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر . أقنعة الحب السبعة . فى داخل افريقيا . من فرعون الى فاروق . كفاحى (لسومرست موم) . فى داخل مراكش . خفايا العلوم الفرعونية . قناة السويس . دزرائيلى . فى داخل الجزائر . مدينة تذل طاغية . عالم الغد . رابعة العدوية . البرت اينشتين . أخلاق اهل مصر وعاداتهم . تاريخ الجمال ..

وهاك اليوم كتابا أوربيا عن الشاعر الفيلسوف الشرقى ((عمر الخيام)) :



غراميات عمر الخيام

للكاتب السينمائي الأمريكي
مانويل كومروف



تلخيص : محمد كامل الدهميس

لم تكن حياته كلها شعرا وعبثا !

◆ عمر الخيام .. هذا الشاعر الذى ربط التاريخ اسمه بشعر العشق والغزل والخمر حينا ، وبشعر الندم والتوبة والتصوف حينا آخر .. اتراه كان مجرد غاو لا يعيش الا للخمر والحب .. أو مجرد متصوف لا يعيش الا للبكاء على ما أسلف من ذنوب ، وللتضرع التماسا لرضاء الله ، دون أن يدرك أن من مظاهر رضاء الله ان يجعل عبده شخصا نافعا ذا أثر فى مجتمعه ووطنه ؟!

لقد قدم لك « كتابى » عمر الخيام كما أبرزته رباعياته - فى العدد ٢٠ - واليوم يقدم لك « الخيام » فى غرامه الطاهر العفيف ، وفى حياته كعضو نافع فى المجتمع ، وفى جهاده كمحارب بارع الخطط ! .. وقد رسمت هذه الصورة عن قصة « السيناريو » الذى أخرجته (هوليوود) أخيرا ، على الستار الفضى

« ١ »

◆ « قم .. فذلك نذير الصباح لاح .. ! »

« نورا .. يخرج الصبح ، ويسقى البهجة الراح ! »

« قم ! » .. شعر لطيف ، كان يتردد فى قلب الشاب ، ثم يتكسر عند شفتيه ، وهو منطلق خلال بكرة الصبح مفعما بالنشاط ، يستقبل اليوم مبتهجا ،ويسعى الى روضة حبيبته كالسهم خلال الضوء الداكن الذى اختلطت فيه طلائع النهار بفلول الليل .. تحت سماء (فارس) الصافية

« قم ! » .. وراح الشاب يردد الشعر وهو منطلق ، يرى الاشياء - فى ابتهاجه - وكأنها تتراقص من حوله .. كما لو كانت سعادته وشعوره المفعم قد انعكسا على الدنيا فألبساها ثوبا بهيجا فوق الذى كان لها ! كل شىء كان مبتهجا من حوله:

الحوانيت التى كانت تفتح ابوابها مع مطلع النهار ، والمارة المسرعون الى اعمالهم .. ثم جامعة ((سينا)) بقبابها المرتفعة ، تلك الجامعة التى قامت فى مدينة (نيسابور) ـ حيث ولد عمر الخيام ـ والتى أظهر شاعرنا فيها ، على اترابه ، تفوقا .. سواء فى الشعر ، أو فى الجبر ، أو فى الفلك ، حتى لقد طلب اليه ان يعمل بالتدريس فى الجامعة ، فاجتذبت محاضراته طلاب العلم من كل بلد اجنبى ، وتهافت عليها الراغبون فى المعرفة ، وفى مقدمتهم امراء البلاد !

لكن شيئا من ذلك لم يغره على التشبث بمنصبه العلمى ، فسرعان ما انصرف عن الجبر والرياضة الى النظر والتفكر فى حكمة الكون واسرار الوجود وباطن النفس البشرية ، ثم اذا به يسبغ على كل مايتوصل اليه من اسباب التفلسف خيالا رفيعا واسلوبا رقيقا ، فيجعل منه شعرا تتذوقه القلوب قبل أن تدركه العيون !

* * *

• ((قم ! .. فذاك نذير السماء لاح .. نورا !))

وانطلق عمر الخيام فى طريقه حتى وصل الى روضة الحبيبة .. وفى خفة الفهد تسلق عمر الجدار المرتفع ومال منه الى شجرة عجوز فهبط ـ متعلقا بفروعها ـ الى الارض الخضراء ثم تسلل بين اشجار الحديقة الوارفة ، وورودها المتفتحة ، فاذا هو امام بركة للسباحة تنافس السماء لونها الازرق الصافى .. ولكن مياهها لم تكن على عهده بها من الهدوء !

وبهت عمر ، اذ وجد محبوبته الفاتنة تنساب سابحة بين ضفاف البركة ، فيثير جسمها العاجى ماءها ، فيتطاير رذاذا كأنه حبات اللؤلؤ ! .. وبهتت الجارية اذ وجدت غريبا يتفرس مشدوها فى حسن سيدتها الجسدى . فرفعت وشاحا من الحرير تحجب به الجسد الغالى عن العينين النهمتين !

بيد ان ضحكة سيدتها صلصلت فى الجو ، ثم خرجت الحسناء من الماء دون ما اضطراب ينم عن مفاجأة ، فالتفت بالوشاح الحريرى — الذى التصق بجسدها المبتل فزاد مفاتنه بروزا — واقتربت من عمر تستقبله استقبال المشوقة !

انتحيا جانبا تحف به الورود ، وراحا — فى جلسة عاشقة — يتبادلان المناجاة همسا ، وان هى الا ان رأت منه ضيقا بحياة المدينة ، حتى قالت له : « لقد عمت شهرتك كل مكان ، ولا ريب فى أن الشاه يرحب كثيرا بان تختلف الى مجالسه » .

فقال : **« وماذا يفيدنى الاختلاف الى مجالس الشاه ؟ .. هل يليق منظرى هذا بمجلس اصحاب السلطان ؟ .. انما انا رجل علم وفلسفة ، حتى ان اباك ليعرفنى على انى أنشط تلاميذه فى الجامعة .. ثم انى لاحمل فى قلبى من العواطف والافكار ما يغنينى عن معاشرة اصحاب السلطان .. انما مملكتى فى القلب وهى مملكة زاخرة قل أن يحلم بمثلها حاكم مهما تبلغ رقعة دولته من الاتساع ! »**

واذ هما فى موقفهما ذاك ، سمعا صوتا ينادى : « شيرين ، شيرين » . . كان والد الفتاة يدعوها اليه ، فاضطربت اذ تصورت مايكون من امرها اذا رآها أبوها فى مكانها هذا الى جوار رجل غريب .. وفى أى ملبس ؟ .. فى وشاح حريرى أظهر من الجسد اكثر مما يخفى ؟!

اضطربت « شيرين » ، وهبت من مجلسها فضمها عمر واقتطف منها قبلة ، ثم تسلق السور فى خفة ، وان هى الا لحظة أو بعض لحظة حتى كان فى الطريق من جديد .. يفور الشعر فى فؤاده ثم يبحث عن منفث عند شفتيه !

وذهبت الفتاة الى أبيها ، فاذا هو عابس الوجه مكتئب الخاطر . وبادرها قائلا : «لقد دعانى الشاه الى مجلسه» ولست أدرى ماذا يريد منى ؟ .. هلا تركنى وشأنى ؟ ! » . فقالت : « هذا موسم مجالس الشاه ، ولا ريب فى انه يدعوك تكريما لك ،

اذ خدمت جامعة بلاده بأمانة ! » . ورد الشيخ قائلا : « ماأرى تكريما فى دعوتى الى مجلس خاص، لا أدرى ماذا يريد فيه » .. ولكنه لم يكن يملك سوى ان يلبى دعوة الشاه !

★ ★ ★

• **اتخذ** عمر الخيام طريق العودة خلال السوق التىزخرت بالناس وامتلأت ضجيجا ، فما ان وصل الى باب المدينة، حتى رأى حشدا من الناس ، وجوادا مطهما عليه فارس طويل أسمر ـ عليه سمات المهابة والنفوذ ـ يتبعه بعيران يحملان هودجين. ومن وراء الجواد والبعيرين ، سار ثمانية من الفرسان مسلحين .. واقترب الموكب ، فتأمل عمر راكب الجواد ، ثم صاح : « حسن !.. اين أنت من زمن ؟. »

والتفت الفارس اليه ، فاذا البشر يفيض على محياه ، وقفز عن جواده فأقبل يعانق عمرا، وهو يردد : « لطالما تشوقت اليك ياعمر !.. انك لم تتغير منذ عشر سنوات، لا ولا رداؤك العتيق تغير ! »

كانوا ثلاثة زملاء فى جامعة (سينا) .. عمر الخيام، والحسن الصباح ، ونظام الدين .. ثلاثة زملاء أفعمت رؤوسهم بالآمال، فتعاهدوا على ان يعمل من يبلغ منهم منزلة عالية يوما على ان يساعد زميليه حتى يصلا الى مرتبة مناسبة ! .. ثم تفرقوا ، فظل « عمر الخيام » مقبلا على الدرس، ميالا الى الشعر ،زاهدا فى الدنيا والسلطان ، حتى كان ذلك اليوم ، اذ التقى ـ بعد ان فارق حبيبته ـ بزميله القديم « الحسن الصباح » عند باب المدينة ، وكأنه خرج يستقبله عن عمد لا عن مصادفة !

وتأبط الحسن ذراع عمر ، وسارا يتحدثان ومن ورائهما الموكب .. قال عمر : « ان مظهرك ليؤكد ما سمعته من انك نلت حظا من الدنيا ونجاحا ، وانك عشت فى (سيرو) ، وانك اخترت لمراجعة اعمال حاكم جيلان» . فأجاب الحسن : «اجل،

وقد جئت اليوم لمقابلة الشاه وتقديم الهدايا اليه ، فان الهدايا تيسر على المرء شئونه . لقد جئته بهديتين فى هذين الهودجين ستقر بهما عيناه . على ان ثمة سببا آخر لمجيئى، هو أن نلتقى ثانية ــ أنا ، وانت ، ونظام الدين ــ الذى يعمل الآن وزيرا للشاه . ولا بد انك دائم الاتصال به ! »

ــ لا .. بل انى لا أراه قط ، فالقصر مليىء بالانتهازيين وملتمسى الجاه والثروات ، وليس لى من شأن وسط أناس هذه صفاتهم !

ــ بل ، قل ان روح الشعر لم تزل متمكنة منك . تعال معى الى القصر، لنلتقى جميعا من جديد، ولنفى بعهدنا الذى قطعناه على انفسنا منذ سنين عشر !

وسار «الحسن» الى جواده، ففتح صندوقا معلقا الى جانبه، وأخرج قلادة من الذهب مرصعة بالجواهر ، وقال : « اليك هذه ، فهى تصلح لأن توضع على جيد حسناء ، كما تصلح لتزدان بها ذراع رجل » .. واحاط بالقلادة ذراع عمر ، فهتف هذا : **« لست راغبا فى زينة ، ولا فى الشاه ، ولا فى خدمات نظام الدين .. اننى راض بحالى ! »**

ــ ألم أقل لك انك ما زلت شاعرا فحسب ؟ . تعال معى ولو لنجتمع من جديد !

★★★

• **وفيما** كان الصديقان يسيران ، جمد بصر «الحسن» عند بقعة معينة .. كان ثمة رؤوس ستة دامية ، معلقة الى نصب، والى جوارها عمامتان حمراوان مثبتتان بخنجرين محمرين بصورة مريبة !. فتساءل الحسن : « ماهذا ؟ ». وقال عمر : « انهم لصوص ! » . فرد عليه الحسن : « لا . بل أقصد العمامتين » . فقال عمر : « انهما لاثنين من الحشاشين، أعدما بالأمس فقط ! » . فتعجب الحسن : « الحشاشين ؟ »

ــ لابد انك سمعت عنهم، فليس ثمة انسان يأمن خناجرهم، انهم من أشد المتعصبين و ..!

فقال الحسن متعجلا : «تعال ، ودعنا نبتعد عن هذا المشهد القبيح ، سنذهب الى القصر ! »

وعبثا حاول عمر ان يتهرب أو يراوغ ، فقد قال الحسن متبرما : « أرجوك .. دعنا نذهب لرؤية نظام الدين.. انه الآن صاحب الأمر فى المملكة ، ويا لها من مسئولية ! » . وكررها مهتما .. « يا للمسئولية ! » ثم اردف : **« ترى هل نقل الشاه حاضرة ملكه الى (نيسابور) خوفا من طمع ابن عمه الذى يعد جيشا لانتزاع الملك منه ، أو خوفا من البيزنطيين المحتشدين على الحدود ؟ .. ان الاخطار لتحيق به وهو يقف وحيدا وسط حاشية من الانتهازيين، الا يحتاج هذا الرجل الى معونة المخلصين لبلادهم امثالنا ؟ .. انها مسئولية كبيرة ملقاة على عاتق نظام الدين وحده ! »**

وفى قصر الشاه، التقى الاصدقاء الثلاثة .. فانتزع نظام الدين صديقيه من ضجة الحاشية الى ركن قصى من القصر، ليجتروا ذكريات أيامهم الأولى فى هدوء .. فلما انهكت عقولهم الذكريات، شكا نظام الدين من امتلاء القصر بالخونة ، وكيف ان الملك يقف وحيدا الا منه هو نفسه .. « انى حقا فى حاجة الى الاصدقاء المخلصين ، ولقد جئتمانى ياصديقى الوفيين . وما عليك ياصديقى عمر الا ان تذكر المنصب الذى يروق لك فى ذلك القصر فتعين فيه » .. فقال عمر : « كلا . . ما جئت الا لزيارتك فقط ، ولست أريد العمل فى القصر اللهم الا اذا احتجت الى يوما ! » . فهتف نظام الدين : « وهذا هو وقت الحاجة اليك ، فهيا .. الى مجلس الشاه قبل ان ينفرط عقده ! »

★ ★ ★

• وكانت القاعة فسيحة ، حافلة بالناس من جميع الألوان

والاقطار . . طلاب حاجات ، وحكام ، وتجار ، ومتقربين ، واصحاب هدايا . . وشق نظام الدين طريقه مع رفيقيه الى مجلس الشاه ، لكنه توقف قليلا اذ رأى الأمير «احمد» ـ الابن الاكبر للشاه ـ ماثلا امام أبيه ، يقدم اليه هدية : سيفا مدبجا بالجواهر . . فقال نظام الدين: **« يا لخبث الامير ، انه دائما ماينافس اخاه الأصغر الأمير مالك فى التقرب الى أبيه . . انها عدوى انتقلت اليه من أمه ، التى تحقد على الأمير مالك لأن أمه كانت هى الأثيرة لدى الشاه ، رغم انها رابعة زوجاته ! »**

ولمح عمر الخيام الأمير مالك ، فتعرف اليه ، اذ كان الامير الشاب طالبا يتلقى العلم عنه !

واذ فرغ الامير أحمد من اهداء السيف ، تقدم «نظام الدين» الى الملك ، فقدم اليه « الحسن الصباح » ، ثم « عمر الخيام » وأوشك الملك أن يظهر استياءه اذ قدم وزيره اليه شاعرا آخر وقد كانت حاشيته تضم من الشعراء فريقا اضجره . أمسك بزمام نفسه وطلب الى عمر ان ينشده شيئا من شعره ، فقال عمر :

« رأيت بابا . . حرت فى طلب مفتاحه ، وما فتحته . .
« وشاهدت وشاحا أنعمت البصر فيه، فما شفت عمايته !
« وكلام يسير . . جرى بينى وبينك .
« كان . . كل شىء كان . . وانمحى ، فما عاد من شىء !
« ترى . . هل ترى ذلك الأمل الدنيوى . .
« الذى يهفو اليه الناس بكل قلوبهم ؟
« يبرق الأمل قليلا ، ثم يغرب . . وما يبقى منه شىء ! »

ترى ، ماذا يقصد ذلك الشاعر ؟ . . اينذر الشاه بزوال دنياه ؟

وثار الحاضرون ، ورفع حامل السيف سيفه منتظرا الأمر ليطيح برأس عمر . . وهمس الأمير احمد بحقده الى أبيه . لكن صوتا شفوقا شذ عن نغمة الحانقين ، وكان ذلك صوت الأمير

مالك ، وقد راح يقول : « اغفر له يا أبى، فهو لايقصد شرا .. انما هو يعبر عن فلسفته فى الحيـاة ! » . وعاد صـوت الأمير الحاقد : « بل اجزه الجزاء الذى يستحقه لسانه الزلق ! »

وتعالى الصخب فى المكان ، فرفع الشاه يده يأمر الحاضرين بالسكوت، ثم قال : « اليكم اجابتى.. لتسمع جوابى ايها الأمير أحمد ، فستعرفون جميعا كيفأجازى قائل الحقيقة..أليست الحقيقـة فى بلاط الملوك أندر من الجواهر ؟ .. لقد علمنى أبى أشياء ثلاثة ، وانى لأقولها لأبنـائى : كن فارسـا ماهرا ، وارم بالسهم فى اتجاه مستقيم ، وقل الحق ! » . . ثم نظر الى عمر قائلا : **« انك الوحيد الذى جرؤ على ان يذكرنا بأشياء كانيجب ان نتذكرها، وانى لأحكم علىالانسان بنقاء قلبه، لا بهدايا يده!»**

وتساءل الشاه عمن يؤيد « عمر الخيـام » ، فأوشك الامير مالك أن يعلن تأييده ، لولا ان وصـل « الامام الموفق » عميد جامعة (نيسـابور) ــ ووالد «شيرين» ــ فصـاح قائلا : « أى سيدى ، انما الماثلون أمامك ثلاثة أصدقاء ، كانوا تلاميذا لى فى الجامعة ، وكل منهم نابغ فى اتجاهه .. نظام الدين ، والحسن الصباح ، وعمر الخيـام .. وهذا الأخير يمتـاز ــ الى جوار موهبته الشعرية ــ بأنه اول من يحذق الجبر والفلك من علماء مملكتك .. انه يعرف النجوم ومساراتهـا ، وتقلباتهـا » . . ودهش الشاه لهذا العلم فسأل عمر: « اذنفأنت تعرف حركات النجوم وتصرفاتها فىحياة الناس،فتستطيع التنبؤ بالمستقبل؟» .. فرد عمـر : « لا ، انما ذلك عند أهل الخـرافات . فليس للنجـوم شأن بمصـائر الناس ، وانمـا هى تهدى السالك فى الصحراء ليلا ، وتحدد الأيام والأشـهر والأعوام ، واننا لنضع التقويمات مسترشدين بها .. **وانى لأؤكد لك أن فى تقويمنـا خطأ فى الحساب، فنحن نحتفل بعيد ميلادك بعد فواته بنصف اسبوع ، ونصوم بعد ان ينتهى شهر الصيام ، ونعيش الأمس باعتباره الغد ! »**

فقال الملك : « حسن ، سأعهد اليك منذ الآن بأن تعكف على تصويب تقويمنا . ولكن .. مادام الامام الموفق ووزيرى نظام الدين قد أيداك ، فانني أحب ان أسألك عن أحكم ما لديك من معرفة ! »

واخلد عمر الى التفكير برهة ، ثم قال : « مولاى ، ان الموت قريب من الانسان ابدا ، ولهذا فان كلا منا يخشى ان يستنفد حياته .. على ان أحكم شيء فى الدنيا ، هو أن يعيش الانسان حياته كاملة ، فيملأ كل دقيقة فيها ! »

وما كاد الشاه يسمع هذا القول حتى استولت عليه الدهشة والاعجاب ، وطلب الى عمر أن يرغب اليه فى أى من الوزارات ليوليه عليها . ولكن عمر رفض ذلك الفضل ، لانه كان عازفا عن أى مظهر من مظاهر السلطان . فاقترح نظام الدين أن تخصص له غرفة فى برج القصر ، يرصد منها النجوم ، ليصلح التقويم . فأمر الشاه بأن يعد له كل ما يطلب ، وأن يطلق عليه لقب .. « مستشار البلاط » !

* * *

• **واوشك** الشاه ان يحل المجلس مرجئا «الحسن الصباح» الى جلسة اخرى ، ولكن هذا كان جريئا ، لا هيابا ولا مترددا . فتقدم من الملك واعلنه بالهدايا بصوت جهورى .. قدم اليه راقصة مصرية فاتنة ، يدق جسدها ويستفيض فى تناسق ، وتجذب بشرتها الخمرية الشفافة الأبصار ، فاعتدل الشاه فى عرشه ، وانتبه وذهب عنه الملال .. ثم قدم اليه جارية أخرى من الشرق الأقصى ، فاتنة لم يكن للابصار ان تقع على مثلها حسنا .. فمال قلب الشاه اعجابا ، وشاع فى نفسه الرضى عن ذلك الرجل الذى تقدم منه دون ما اذن ، محطما التقاليد .. فاذا بالحسن الصباح قد أعد مفاجأة كبرى ، اذ امر بالصندوقين البرونزيين وقال اذ حملا اليه :

ـ وليست هاتان الهديتان بشيء يذكر ، فقد ادخرت لجلالتكم هدية أخرى تليق بمقامكم السامى . ان لكم عدوين يهددان أمن الامبراطورية : ابن عمكم سليمان ، الذى يوشك ان يغير على العرش .. والخائن بنداري!.. أى مولاى الكريم، لكم يبهجنى ان اقدم لجلالتكم رأسى العدوين !

وفتح الرجل الصندوقين ، فاذا كل منهما يحتوى على رأس أحد العدوين ، ولم يتمالك الشاه أن صاح اعجابا : « ذلك رجل شجاع ، هزم عنا ـ بضربة واحدة ـ نصف اعداء المملكة ، فلم يبق أمامنا الا البيزنطيين ، وعصبة الحشاحشين بخناجرهم الخفية التى لا تبقى على أحد ! »

ولم ينفض المجلس حتى كان « الحسن الصباح » حاملا لاختام الشاه .. ثم امر الشاه بالمجلس فانفض ، واشار الى الشيخ الملتحى الامام الموفق ـ والد شيرين ـ فانصرف واياه الى اجتماع خاص !

* * *

. **واجتمعوا** حول المائدة : عمر الخيام ، والحسن الصباح ، ونظام الدين ، والأمير مالك ، و « توتوش » .. أخ الملك . فمال عمر الخيام الى دن الخمر ، فكان يوزع منها عليهم ، وهم مبتهجون ، لايعكر صفوهم سوى سحابة من ضيق كانت لاتلبث أن تمر بوجه «توتوش» اذ كان الحشاشون قد هددوه بالقتل .. وتعجب الأمير مالك: **« عجيب امر اولئك الحشاشين ! .. ان الواحد منهم ليطعن فريسته فى قلبه ، ثم يقف الى جواره حتى يأتى أصدقاؤه فيقتلوه ! »**

لكن البهجة لم تلبث ان غادرت مجلسهم الى غير رجعة ، اذ جاء الأمير أحمد بوجهه الأسود ، فجلس بينهم دون ما تحية ، واراد ان يحول سرور اخيه الى غم ، فقال : «لقد قرر الشاه ان يتزوج اخرى بدلا من زوجته الرابعة التى ماتت ! » . فاكفهر وجه الأمير مالك ، اذ كان يؤمن بأنه ليس فى وسع امراة اخرى ان

تملأ الفراغ الذى خلفته امه . وسألوا الأمير احمد عن تلك التى وقع عليها الاختيار ، فقال : « **ألم تروا اليه كيف اجتمع على انفراد بالامام الموفق ؟ لقد قرر ان يتزوج من ابنته شيرين ، فانها اجمل بنات نيسابور !** »

. وصعق عمر الخيام ، وكأنما أصابه مس من الجن ، فقام منتفضا ثائرا يقول : « لا ، انها حبيبتى ، انها حياتى ! .. لن يستطيع أحد أن ينتزعها منى .. لا ، لن يكون هذا ! » . وانطلق كالعملاق المريد ، أو كالسهم الذى انفلت من عقاله ، فاغتصب جوادا وانطلق .. الى روضة الحبيبة !

وما ان وصل الى الروضة حتى اعتلى السور ، وهبط الى الحديقة ينادى ، وما من مجيب .. وان هى الا برهة حتى جاء فى عقبيه الحسن ونظام الدين ، فحاولا اثنائه عما اعتزم من اختطاف « شيرين » ، وهدداه بما ينتظره على يد الشاه ان هو مسها !.. وما كان لينثنى لولا ان سمع صوت حوافر جياد الحرس وقد جاءت لحماية القصر .. فخرج مع صديقيه وقد سرى فى وجدانه شعور مبهم غامض .. يأس ، وبؤس ، وضيق ، واكتئاب ! .. واذ ابتعد قليلا ثار فى فؤاده الشوق ، وهزه الحنين ، فالتفت .. التفت ليلقى نظرة اخيرة لعلها ان تكون له زادا بقية العمر . فهنا .. هنا بيت الذكرى ، ومحط الأمل واليأس !

« ٢ »

وهبطت « شيرين » الى القصر ، محزونة مكتئبة الفؤاد ، يسيل دمعها على وجنتيها وكأنه جمر متساقط ، اخذ يخضل الأوشحة الثلاثة التى غطت وجهها ، ثم دخلت الى القاعة الكبرى فهالها ما وجدت فيها من تألق وتزاحم .. الأمراء ، والسفراء ، ورجال الحاشية ، وزوجاتهم جميعا .. كلهم كانوا حاضرين ! .

وتلفتت هنا وهناك ــ خلال الحجب الكثيفة المسدلة على وجهها ــ لعلها ترى بين المدعوين وجها واحدا معينا كان هو الحبيب اليها .. وكانت تؤمل لو انها انتزعت من كل هذه المظاهر والابهة ، لتحيا الى جانبه فى واد قصى ، مقفر ، جامد ! .. كان البؤس بعينه أحب الى نفسها من ذلك النعيم الظاهر .. لكن بصرها ارتد اليها يائسا فلم يكن للوجه الذى املت ان تراه من أثر بين الحضور !

وتقدمت خلال القاعة الى حيث يجلس الملك، وعيناها زائغتان، والأمل يخفت فى صدرها مع كل خطوة . ثم وقفت تجاه الملك، والمأذون الى احد جانبيها ، ووصيفتها الى الجانب الآخر .. سألها المأذون : « هل تقبلين مولانا الشاه ، سيد الشرق والغرب ، زوجا لك ؟ » . فأشارت اليها الوصيفة ألا تجيب !.. وسرت همهمة فى جو القاعة ، بينما رفعت الوصيفة الحجاب الأول عن وجهها .. وتقدمت « شيرين » خطوتين، وزاغ بصرها من جديد . **واذا بقلبها ينبض فجأة ، واذا بكل جوارحها تهتز انفعالا.. فلقد رأته اخيرا.. رأت الحبيب واقفا بين المستشارين! .. ولولا انها تمالكت نفسها لصرخت طالبة اليه ان يختطفها ويهرب بها .. وعاد المأذون يردد على سمعها سؤاله : « هل تقبلين مولانا الشاه ، سيد الشرق والغرب ، زوجا لك ؟ » . وصمتت فى هذه المرة ايضا. .ورفعت الوصيفة الحجاب الثانى، وتقدمت خطوة اخرى ، ولم تعد ترى شيئا سوى وجه حبيبها .. وكرر المأذون سؤاله للمرة الثالثة فقالت : « قبلت ! » ..** ودقت الطبول فرحا ، وانطلقت الأبواق تعلنها على الملأ زوجة للشاه . وتقدم منها نظام الدين ، فألبسها التاج !

وغامت المناظر أمام عينى عمر الخيام ، ولم يطق صبرا .. أوشك أن ينهار ، وخشى أن يفتضح امره امام الملأ ، فحاول الخروج ، واراد « نظام الدين » ان يحمله على البقاء حتى لايغضب الشاه لكنه لم يستطع بقاء ، وانصرف مندفعا ، والتفت

الناس يرون ما يحدث .. ودهش الشاه ، فأنقذ نظام الدين الموقف بأن همس الى « شيرين » أن تتقدم فتضع يدها فى يد الملك المنتظر !

وتقدمت، دون ان تدرى من امر نفسها شيئا ، اذ كانت غائبة عن الناس وعن الملك ، بل حتى عن نفسها .. ووضعت يدها فى يد الشاه ، وكأنها تدخل الى القبر بقدميها !

* * *

• **وانطلق** عمر الى مرصده ، يحاول ان يخفى حزنه خلال ظلمة الليل .. وكأنما دفعته قسوة البشر الى ان يلجأ الى السماء ، فعكف فى برجه على الدراسة ، وكأنه فى حمى .. وراح يدون ملاحظاته فسود صفحات وصفحات ، كان لها اكبر الأثر فيما ازمع من امر التقويم الجديد . **واغرق احزانه فى الخمر ، والشعر ، والفلك ، لكن الأحزان لم تنضب قط .. ولا كان هو يفيق منها .. ولا من الخمر !**

أعتكف عمر فى برجه عن الدنيا ، لكأنما اراد قطع علاقته بالبشر جميعا ، ولكن « نظام الدين » اراد اخراجه من عزلته ، فنزل الى سوق الرقيق ، فانتقى أمة فاتنة اللحظ جذابة فاشتراها وأهداها الى زميله الحزين .. ثم لم يزل به حتى اقنعه بالخروج من عزلته الى الدنيا . . لكن عمرا كان فى شغل بالذكريات عن الدنيا وما فيها !

وفى الموعد الذى كان الحشاشون قد حددوه لاغتيال الامير توتوش — اخ الملك — جاءه نظام الدين يطلب اليه ان يعيره ساعة مائية ليعرف بها الوقت ، فقد حددوا للقتل انتصاف الليل .. وساد القصر كله وجوم متوتر ، وامر بالابواب فأغلقت ، والممرات فشددت عليها الحراسة . . وجلس توتوش فى غرفته ، والى جواره حارساه الأمينان وقد شهرا سيفيهما ، ومن حوله كل رجال البلاط ، وعمر الخيام ، والحسن الصباح الذي نال



بسيفه رأسى اشد اعداء المملكة ضراوة !

وحلت الساعة الثانية عشرة، ففاض لون توتوش ، واضطرب الحاضرون وتحسسوا اسلحتهم، وعلقت أبصارهم بالأبواب لعلهم يرون من عساه يكون ذلك الجرىء الذى يقتحم عليهم مجلسهم هذا ! .

لكن أحدا لم يأت من الخارج. وان هى الا لحظة ، حتى سمعوا صيحة ضارية .. ونزع احد الحارسين غطاء رأسه ، فاذا به يلبس عمامة الحشاشين الحمراء تحته. واخرج خنجره ذا المقبض الأحمر بلون الدم فغيبه فى قلب توتوش ! .. وبقى القوم فى ذهولهم برهة ، لا يدرى احدهم ماذا يفعل ، وكأن شللا اصابهم بغتة . ثم افاق الحسن الصباح فقتل الحارس لفوره ، وساعد فى حمل « توتوش » .. لكن كل الوان العلاج لم تكن مجدية .. فقد كان الجرح غائرا ، مميتا !

* * *

• **ويبدو** ان المصائب لا تأتى فرادى ، فلم يلبث النذير ان جاء يعلن ان البيزنطيين قد عبروا الحدود الى المملكة ، فى جند كثيرين يبلغون اربعة اضعاف جند الشاة . . واجتمع مجلس الشورى ، ولكن الحيلة اعيتهم فلم يكن امام أحدهم ما يقول. . ولجأ الشاه الى عمر الخيام ، فقال : « مولاى ، لقد اجمعتم على اننا فى حاجة الى الجند ، وما لم يأتنا الجند فليس لنا الى النصر من سبيل . لكن ، ثمة اسلحة أخرى قد تتغلب على كثرة الجند .. كأن نرسم الخطط بحيث نباغت الاعداء

على غير ارتقاب ، وما عليك الا ان تطلع عليهم ليلا من حيث لايتوقعون ، فتغير عليهم اغارة خاطفة فى ضوء القمر ، ثم ترتد عند مطلع الصبح فتعتكف بعيدا .. حتى اذا مرت ليلة أو اثنتان ، أعدت الكرة على حين غفلة منهم ، فتنال منهم منالك. ولتذكر ان جيشهم مكون من الجند المرتزقة ، فاذا قتل صاحبهم فلن يلبثوا ان يتفرقوا سراعا ، لأنهم لن يجدوا من يدفع اليهم رواتبهم ! »

وأعجب الشاه بمشورة « عمر الخيام » ، فما لبث أن قام ليتأهب للقتال .. وكان لابد لأحد ابنيه ان يرافقه الى الميدان، ولكن الولدين تنازعا الشرف ، فما كان من الامير « احمد » الا ان دعا اخاه الامير « مالك » الى النزال ، آملا ان يتفوق عليه، فيكون اجدر منه بصحبة الشاه . واشتبك الأخوان فى صراع جبار ، لا سيما وقد تبينا ان نتيجته ستمتد الى وراثة التاج .. فما كان للمغلوب ان يجرؤ على المطالبة بالتاج بعد هزيمته ، بل كان عليه أن يخلى مكانه للأقوى !

وأراد الأمير أحمد ان يقتل اخاه ،فاذا بهذا يرفعه الى أعلى ، ثم يهوى به فترتطم راسه بالأرض ، فلا يستطيع بعدها قياما !

وانصرف القوم فالتفوا بالأمير المنتصر ، وبقيت الملكة الحقود « زارادا » الى جوار ابنها حزينة كاسفة البال وقد تملك الحقد قلبها فأعمى بصيرتها . وجاءها الحسن الصباح فقال : «أيتها الملكة ، هل تخشين ضياع الملك منك ؟ .. انك ملكة الخزر ، وصاحبة الحق فى هذا الملك . وها قد زالت آخر عقبة كانت تقف فى سبيلك اليه .. لقد مات توتوش وهو الوحيد الذى كان فى الطريق . فلا تحزنى ، ولكن تدبرى ما أقول لك ، فلن يلبث اتباعى ان يجعلوا منك ملكة ! »

وهكذا كشف « الحسن الصباح » النقاب عن شخصيته الغامضة .. كشف عن انه زعيم « الحشاشين » ، ولكن للملكة الناقمة وحدها !

« ٣ »

• **أحبت** الجارية « يافا » سيدها « عمر الخيام » ، فكانت تكتئب كلما رأته مكتئبا ، وكانت تتفانى فى سبيل التسرية عنه .. وفى احد الايام ، جاءته بنبأ ظنت انه يبهجه . فقالت : « أحقا تريد أن تعرف شيئا عن « الحشاشين » الذين تفشت جرائمهم فى البلاد بعد رحيل الجيش عنها ؟.. وأخرج السؤال عمرا من تأملاته وذهوله ، فسألها بدوره عما تعرف . وكان جوابها : **« اننى أعرف امة تحب رجلا ـ يعيش فى كهف بعيدا عن الناس ـ كان يوما من « الحشاشين » ، ثم انفصل عنهم ، فآوى الى الكهف خشية أن يقتلوه .. ولو شئت فانى استطيع اقناعها باصطحابنا اليه ! »**

وأشرق وجه عمر الخيام ، فقد كان يصبو الى أن يعرف من أين يأتى هؤلاء السفاكون الذين امتازوا بقصر جرائمهم على رجال السياسة والحكم وحدهم . فلما كانت الليلة التالية ، خرج « عمر الخيام » ـ فى صحبة جاريته ـ الى حيث التقيا بصديقتها « ليلى » ، فاقتادتهما هذه خلال دروب ضيقة موحشة فى الجبال ، حتى بلغوا مغارة مظلمة ، وجدوا بها رجلا جف عوده وحال لونه وبرزت عظامه ، فسأله عمر الخيام عن أمره ، فقال : « لقد كنت منهم ، ثم انشققت عنهم وها أنذا طريد اخشى الظهور فى النور .. **انها طائفة ذات تعاليم سرية ، تستهوى الشبان بتدخين الحشيش ، وبايحاءات مغرية عن لذائذ كبرى بعد الموت ، وبمزاعم توهم ذوى القلوب الغضة بأن رئيس الطائفة قادر على كل شىء ، وليس جزاء طاعته الا الجنة ! .. فاذا آمن شاب بهذا كله ، وجهوه الى حيث يريدون فيفعل ما يؤمر به ـ فى طاعة عمياء ـ مستعجلا الموت ليحظى باللذات الموعودة !**

وسأل عمر الخيام عن مقرهم ، فعرف ان لهم مستعمرات

كثيرة ، بعضها فى (سوريا) ، وبعضها فى (كردستان) ، وباقيها منتشر فى مختلف الاقطار . ولكن مقر قيادتهم الرئيسى هو قلعة فى واد شمالى بلاد الفرس ، اطلق عليها اسم « قلعة الموت » !

* * *

• وفى برجه ـ بقصر الملك ـ جلس « عمر الخيام » يعد العدة للذهاب الى معقل « الحشاشين » ، ليكشف سرهم .. وركعت الجارية « يافا » الى جواره تذرف الدمع ، وتناشده الا يذهب ، خشية ألا يعود .. ثم راحت تتوسل اليه ان يصحبها معه ، فتكون عونا له ، وتشاطره ماقدر له من مصير . غير أنه رفض ، وأمرها بالبقاء حتى يعود .. واذ هما كذلك ، سمعا طرقا على الباب ، ثم دخلت احدى الجوارى .. وما ان رأى عمر هذه القادمة ، حتى انتفض قلبه فى صدره ، وارتعشت اطرافه ، وسألها ملهوفا عما تريد !

تلك كانت جارية معبودته « شيرين » ، وقد جاءته بنبأ ما كان ليحلم به : « تقول لك سيدتى انها ذاهبة الى العشاء فى بيت ابيها ، وستقضى لحظة بالحديقة قبل ان تعود الى القصر ! »
.. أفتدرى ماذا يفعل الغريق اليائس ، اذا ما مد يده عرضا فعثر على طوق للنجاة ؟ .. ان شعوره لايقاس بالابتهاج الذى سرى فى كل اوصال عمر الخيام عندما سمع هذه الرسالة !

وانطلق « عمر » يطوف بالطرقات والعالم كله لايكاد يتسع لبهجته .. وتراقصت المشاهد من حوله ، واندفع الشعر الى لسانه .. حتى اذا كانت اللحظة الموعودة تسلق السور ، وهبط الى الحديقة ، فجلس فى الخميلة التى اعتاد ان يلقى تحت ظلالها حبيبته ، فيما مضى .. وراح ينتظر ، ومقلتاه تكادان ان تنطلقا من محجريهما ، لتستبقاه الى استقبال الحبيبة .. وانقضت برهة ظنها دهرا ، ثم اقبلت « شيرين »



.. هى هى لم تتغير ، بمشيتها ، وقامتها الهيفاء ، وجمالها الخلاب .. وروحها !

وقفز من مكانه وقد استحال شوقه الى حمى متأججة ، فاحتواها بين ذراعيه .. وانصهرت شفتاه على شفتيها فى قبلة طويلة ، وغابا عن الدنيا .. غابا فى عالم من الوجد المتبادل! .. وبقيا برهة كأنها الحلم ! .. ولكن لكل حلم نهاية . فقد كان لا بد لشيرين من ان تعود الى القصر ، فافترقا فى لوعة وأسى ، لم يزدهما اللقاء الا اكتواء بسعير الحقيقة .. الحقيقة التى كانت تقضى عليهما بأن يعيشا متباعدين !

***

• **وآن** لعمر الخيام ان يسعى الى معقل « الحشاشين » ، فسافر اياما حتى وصل الى المكان المقصود .. قلعة على مرتفع من الأرض لا يصل الانسان اليها الا عن طريق دروب وعرة ضيقة ، تراكمت فيها الجماجم والجثث ، بعضها حديث القتل وبعضها طال عليه الامد .. وكان من الجلى ان هؤلاء هم الذين سولت لهم انفسهم ـ كما سولت له نفسه ـ زيارة معقل زبانية الموت ! .. وفكر فى العودة ، لكن الاوان قد فات ، اذ انه لم يلبث ان لمح رجالا من القلعة يشيرون اليه ـ من فوق الاسوار ـ مرحبين .. ترى أكانوا يعرفونه ، أم انها خدعة يستدرجونه بها ليوغل فى طريق الموت ؟

وما كاد يصل الى المعقل حتى فتحت له الأبواب ، وخرج

اليه شيخ فاستقبله أحسن استقبال ، وهو يردد على مسمعه: « مرحبا بك يا عمر الخيام ! .. اننا لنرحب بك لانك زائر مسالم ، ونحن نعلم انك انما جئت لدراسة الفلك ، فدونك وما تريد ! » . قال عمر : « عجيب حقا ! .. من أين لكم هذا العلم ؟ لا ريب ان لكم عيونا فى كل مكان كما سمعت عنكم!» .. وجاس به الرجل خلال القلعة يريه كل نواحى الحياة فيها : كيف يعيش اهلها ، وما مدى قوتهم ، وكيف يربون اعوانهم حتى يسلبونهم ارادتهم فيغدون طوع ارادة الخليفة الذى هو رئيس الطائفة ؟ ..

وسأل عمر عمن يكون الخليفة ، لكنه لم يتلق اجابة عن هذا السؤال ، وان عرف انه فى مكان ما خارج القلعة !

وفى تلك الليلة ، كانت المفاجأة الكبرى لعمر أن زارته امرأة محجبة ، قيل له انها عون للجماعة .. وما أن رفعت المراة الحجاب ، حتى تملكت الدهشة عمر .. فقد كانت زائرته هى الملكة « زارادا » ، زوج الشاه ، وام ابنه الامير احمد !

وقالت له الملكة : « لا تعجب ، فانما جئت قبلك بقليل !.. لماذا لاتكون أنت الآخر عونا لنا ؟ . . انك رسمت للشاه خطة دلت على عقل كبير ، فلماذا لاتنضم الينا فتكون لنا مستشارا ؟ .. ان الملك لن يلبث ان يؤول الينا ، فأنا ملكة الخزر .. وسيساعدنى « الحشاشون » فى مأربى ذاك ، وسيكون لك معنا شأن ! » وبهت عمر ، فلم يدر ما يقول ، ولم يملك لطلبها رفضا او قبولا ، بل رفع بصره الى السماء متعجبا ، حائرا !

« ٤ »

• **وبقى** عمر الخيام فى حيرته .. ولم يدر كم مر من الزمن ، ولكنه فطن الى نفسه فاذا بالقلعة تفيض حركة ونشاطا . وسأل عما كان يجرى ، فقيل له : « لقد جاء رئيسنا الأعلى ، ولسوف يستقبلك حالا ! » .. وقادوه الى القاعة الكبرى فى

القلعة ،فوجدها قاعةجد فسيحة،مليئةبقوم من «الحشاشين» فى ملابس حمراء .. وفى صدر القاعة جلس رئيسهم الأعلى ، فى ثوب أبيض . والى جواره وقفت الملكة « زارادا » ، فتقدم « عمر الخيام » من الرئيس ، وتفرس فيه..وبهت ، واجفل ! .. ثم اعاد النظر عسى ان يكون مخطئا .. ولكنه لم يزدد سوى تأكد من أن الرئيس الاعلى لم يكن سوى .. الحسن الصباح !

وقال له الحسن : « مرحبا بك فى قلعتنا ياصديقى .. انما نحن فى حاجة اليك ، وسنوفر لك كل ما تشاء من ادوات البحث ، لتبقى هنا مستشارا لى .. تلبس الأبيض مثلى ، وتقف الى جوارى . ولقد كان بودى ان يكون « نظام الدين » معنا هنا ، حتى تكتمل الصحبة ، غير ان اخلاصه للشاه جر عليه الشقاء ! .. لقد مات ! »

وفجع عمر الخيام لسماعه هذا الخبر ، فثار ، وهدد وتوعد ، ثم أعلن اخلاصه للشاه ، وطلب أن يغادر القلعة ليلحق بالقصر ، فقال الحسن : « انما لا أريد ان ارغمك على شىء ، فاذهب حيث شئت ، ولكنك القاضى على نفسك بذلك ، فلن تلبث دائرة الحرب ان تدور على الشاه ومن معه ، اذ انه ــ رغم انتصاره على البيزنطيين ــ قد فقد نصف جيشه ، وجرح هو وابنه ! » ..وخرج عمر الخيام غاضبا بعد ان اعلن الحسن بانتهاء عهد الصداقة بينهما !

***

• **وما ان** بارح « عمر الخيام » «قلعة الموت» سالما ، حتى يمم شطر معسكر جيش الشاه ، فرحب به الملك الجريح ترحيبا بالغا ، اذ كان معترفا بانه مدين بنصره لمشورة عمر !.. وبينما هو فى خيمة الملك مع الأطباء ، جاءهم النذير بأن الأمير « احمد » قد سار الى (نيسابور) ، فى جمع من اعوانه ، يريد الاستيلاء على القصر .. ودب اليأس فى قلب الملك وقادته ،

وتحمس الأمير مالك قليلا ، فقال لأبيه : « اعطنى الجند من حرسك الخاص وانا اذهب اليه فأؤدبه ! »

لكن الملك غض الطرف عن كل ما سمع من آراء ، وطلب المشورة لدى عمر الخيام ، فشرح هذا الموقف للجميع قائلا : « ليس هذا العمل من شأن الأمير فحسب ، انما هو مدفوع فيه بآخرين .. انه ما كان ليجرؤ على السير الى القصر لو انه كان وحده ، بيد اننى علمت اخيرا ان «الحشاشين» يساعدونه على الانتصار حتى ينصبوه وامه على الملك ! » .. ودهش الجميع لهذا القول فأردف عمر موضحا : « لقد جئت لتوى من « قلعة الموت » ــ معقل « الحشاشين » ــ وقد رأيت الملكة زارادا هناك تشاطرهم الأمر . فاذا رمنا انتصارا ، فعلينا ان نقضى اولا على هذه العصبة ، والا فسيظل شرهم يلاحقنا ولو قضينا على الامير احمد ! »

وتساءل بعض القادة : « وكيف يمكننا مواجهة قوتهم ــ فضلا عن قوة الأمير احمد ــ ونحن على هذه الحال من الانهاك ؟ » . فأجاب عمر : « ليبادر الأمير مالك الى القصر فيخرج منه النساء والاطفال ــ أولا ــ ويقودهم الى الوادى المجاور لقلعة الموت ، حتى اذا ذهب الامير احمد الى هناك لم يظفر بطائل . واذ ذاك ، سيتجه شطر القلعة فيجدنا بكل قوتنا فى استقباله ! .. اما أمر القلعة فسهل . لقد كنت فيها فرأيت انها قلعة قديمة ترجع الى عهد الرومان . وقد استلفت انتباهى فيها امر غريب .. ذلك ان جدران أقبيتها السفلى تنشع نفطا .. ويتجمع هذا النفط فى برك صغيرة بين المغاور السفلى ، فيحمله « الحشاشون » من هناك ، ويستخدمونه للاضاءة . **فاذا تمكنا من حفر ممر فى الصخور ــ وهى هشة فى أحد الجوانب ــ لأشعلنا الزيت نارا ، فيموت «الحشاشون» اختناقا بالدخان كالفيران . واذ ذاك يفقد الامير احمد حلفاءه فيجبن عن القتال .. ولو انه قاتل لهزمناه بأيسر الوسائل »** !

وتهلل وجــه الملك والقادة لهذه الخطة الرائعة ، وشرعوا فى تنفيذها لتوهم . واستطاع الأمير مالك ان ينقل النساء والاطفال . . وما ان وصل الموكب حتى عم البشر روح الشاه والقادة ، ولكن عمر افتقد واحدة من النســاء ـ ليست « شيرين » على اى حال ! ـ فسأل : « اين الجارية يافا ؟ »

واذا بالغم يسعى فى نفسه ، فيحول سرورها الى اكتئاب ، اذ قيل له أن « الحسن الصباح » قد اخذها معه عند رحيله الى القلعة . . أجل ، لابد انه اجبرها على الرحيل ، فقد كان عمر موقنا بأن اخلاصها لأسمى من أن ينال منه التحول . . وسرت روح من الاغتمام فى قلب عمر ، وقد هاله ان تتعرض الفتاة الوفية لمصير أهل القلعة . . للاحتراق !

ولكن هــذا لم يقعده عن تنفيذ خطته ، فمــا اسرع ما امر بالأسرى من البيزنطيــين أن يجمعوا ، وان يشرعوا فى حفــر الطريق الى النفط خلال الصخر !

« ٥ »

• **وتهالك** الشاه واستفحل به سوء الحال ، من اثر جرحه . فخارت قواه ، ودب الموت فى أوصاله . . واستدعى ابنه الأمير مالك فراح يوجــه اليه وصاياه الأخيــرة . واختتمهــا قائلا : « وعليك بالتزام مشورة عمر الخيام ، فقد اظهر لنــا اخلاصا ندر أن تجد مثله ! » . . ثم فاضت روحه !

ونــكست الاعلام ، ودقت الطبول وكأنهــا اصوات القلوب المحزونه تودع روح الشــاه فى سفرها الى مقــرها الأخير . . وسمع سكان « قلعة الموت » هذه الدقات ، ورأوا الاعلام تنكس ، فأدركوا مانزل بمعســكر اعدائهم ، واعلنوا الفرح . . وذهبت الملكة تعلن النبأ الى « يافا » ـ سجينة برج القلعة ـ ثم اردفت :

« أما زلت تخلصين لعمر ؟ . . لقد مات الملك وسيفرغ هو الان لحبيبته شيرين ، فأين مكانك بينهما ؟ وهل كان لك مكان من

قبل ، ترين .. ماذا كان يفعل واياها اثناء سفر الملك ، واثناء مرضه ؟ »

وجاء الحسن فأمسك بحمامة من البرج ، وربط بها رسالة الى الأمير أحمد ينبئه فيها بموت الشاه ، ثم أطلقها . وانصرف مع الملكة بعد أن اغلقا الباب على « يافا » من جديد . فظلت المسكينة فى وحدتها حزينة كاسفة البال ، ترى الخطط تحاك للنيل من حبيب قلبها ، دون ان تجد السبيل الى انقاذه ، ولكن .. ما الذى كان باستطاعتها ان تفعل وهى السجينة ؟

وانصتت اذ استرعت سمعها فجأة دقات معاول فى الصخر ، فتطلعت من أعلا البرج ، واذا بها ترى جمعا من الناس ينقبون الصخر ، وقد اشرف عليهم « عمر الخيام » .. رجل أحلامها ! .. على انها لم تكن الوحيدة التى سمعت الطرقات ، اذ سمعها ايضا « الحسن الصباح » ، فجاء الى البرج ليشهد ما كان يحدث ، ثم ضحك من اعدائه .. ما امر هؤلاء المجانين ، أيضربون فى الصخر ؟

وارادت يافا أن تصنع شيئا ، ففكرت .. لماذا لا أطلق الحمام حتى يعجزوا عن ارسال الرسائل الى الخارج ؟ .. نعم ، انها لفكرة ! .. وتسللت الى مستودع الحمام فأطلقته .. وسرعان ما كان يرفرف فى السماء . ورأى « الحسن » ما فعلت ، فجاء فى ثلة من اعوانه ـ وقد اعماهم الغيظ ـ وألقوا بها من قمة البرج فهبطت بالقرب من موطىء قدمى حبيبها ، وكأنها تسلم اليه حياتها .. بعد أن اسلمته قلبها !

وكان حزن « عمر الخيام » عارما ، ولكنه سرعان ما انعقد فى نفسه فكان عزما .. وراح يستحث الأسرى على شق الطريق خلال الصخر .. وفى تلك الاثناء ، اقترب الامير احمد زاحفا بجيشه ، فلم يكترث به عمر ، وتركه للأمير مالك ، بينما ثابر مع رجاله على ضرب الصخر بالمعاول ، حتى تداعى سطحه الخارجى عن كوة ـ كما توقع عمر من قبل ـ فأسرع يلقى

خلالها بقطعة من نار ، واذا بالنار تسرى فى النفط فتنتقل من حائط الى حائط ، ويتصاعد منها دخان اخذ يتكاثف ويشتد ويتسلل خلال مغاورها ومنافذها !

ورأى الأمير احمد « قلعة الموت » وكأنها قطعة من لهب ، فلم يستطع مقاومة ، وانطلق على جواده موليا الأدبار ، ومن خلفه اعوانه .. ومن ورائهم رجال الأمير مالك يلاحقونهم ويفتكون بهم !

* * *

• وكانت التقاليد تقضى بألا تتزوج زوجات الشاه من بعده ، فأعفى الأمير مالك زوجة ابيه « شيرين » من هذا التقليد ، وقال لعمر : « انها حرة الان ، فاذهب اليها فى دار ابيها ، فلعلها ان تكون فى انتظارك ! »

وركب جواده فطار به الى الروضة ، وتسلق الجدار ، ثم هبط متعلقا بالشجرة العجوز . ووجد فاتنته فى مكانهما المعهود ، تنتظر ! .. وتلاشى الزمن ، وتبدد الماضى ، فخيل اليهما ان شيئا لم يحدث ، وانهما فى مكانهما كما كانا بالأمس .. يوم جاءها عند مطلع الشمس .. فاحتواها بين ذراعيه !

عندما ترفع الستار..

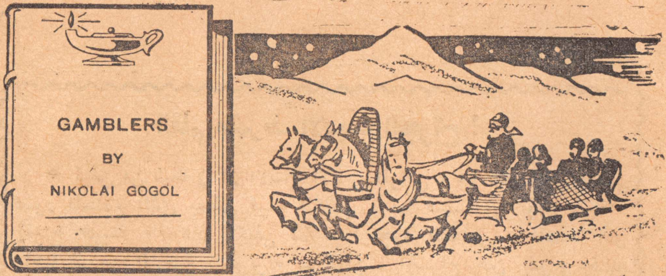


روائع المسرح العالمى (التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية: • خطايا الحب • نزاهة الحكم • سلاح المرأة • فولبون • جيوكندا • كلام الناس • مدرسة الفضائح • سيرانو دى برجراك • لعبة الحب والموت • مروحة الليدى وندرمير • فاوست • فى سبيل الحب • الأم • الملك يلهو • الجنس الآلى • هرنانى • ترويض النمرة • الحياة نفاق • اغلال الحب • المنافق • بيت الليل • علموهم الحب • زوج مثالى • سالومى • مدرسة الأرامل • برهان الحب • لوسيد • كيف نقع فى حبائلهن • حلاق أشبيلية • كاليجولا • هوراس • حوادث سعيدة باجملة • الهاربة من الفضيحة • رجل الأقدار • جوديث • البخيل • لذة الشرف • الانتقام الرهيب • جندى محترف • أندروماك • دماء الضحايا ..

واليوم ، أقدم لك احدى روائع المسرح الروسى الحديث:



المقامرون

للكاتب الروسى الخالد:

نيكولاى جوجول



القلم مشرط الاديب الجراح !

◆ ليس من شك فى أن الانتاج الأدبى الراقى ، هو ذلك الذى يعكس صور المجتمع الذى يعيش فيه الكاتب ، بما فيها من نواح طيبة ونواح خبيثة .. فاذا اكتفى الكاتب بمجرد التحليل ، فقد أدى واجبا - من الناحية التقريرية - كواجب الجراح حين يشرح الجسد المريض ، ليصل الى موطن الداء ، ثم يقف .. أما اذا مضى الكاتب قدما ، فلم يكتف بالاشارة الى موطن الداء ، بل كشفه وحلله واستنبط العلاج ، فقد أدى أسمى خدمة لمجتمعه .. وهذا ما فعله « جوجول » حين تفتح وعيه على الفساد الذى كان ينخر كيان المجتمع الروسى - فى أواخر العهد القيصرى - فكشف بنور هذا الفساد ومنابته ، واستخلص العبرة والعلاج ، فى طائفة من القصص والمسرحيات التى كتب لها الخلود ، والتى نقدم لك احداها فيما يلى ، ونترك لك متعة تعرف الداء ، وتعرف العبرة ، من سياق الحوادث والحوار .

الزمان : قبل عام ١٨٤٠ ، اى فى عهد القيصرية فى روسيا
المكان : غرفة فى أحد الفنادق الريفية

ترفع الستار عن « ايهاريف » وهو يلج الغرفة ، يتبعه خادمه « جافروشكا » ، و « اليكسى » خادم الفندق . وبينما ينصرف « جافروشكا » الى احضار متاع سيده من الخارج ، يسأل هذا « اليكسى » ، عما اذا كان فى الفندق أحد ممن يلعبون الورق .

اليكسى : اجل ياسيدى ، فهنا السيد أوتيش ، وشونيف ، والكلونيل كروجل .. ولقد لعبوا مع الضابط «ارتونوفسكى» ، فخسر كل نقوده . ثم لعبوا مع الأمير « شنكين » فخسر ستة وثلاثين ألف روبل !

ايهاريف : حسن .. خذ هذين الروبلين لك ، وقل لى :

أأنت الذى يبتاع ورق اللعب لهم ؟

وينكر الخادم ، ولكنه يرشده الى الحانوت الذى يبيع الورق . ويطلب ((ايهاريف)) ماء ليزيل شعر لحيته . ثم ينصرف الخادمان ، فيفتح السيد صندوقا مليئا بمجموعات من ورق اللعب .

ايهاريف (محدثا نفسه) : يا لجمالها ! .. كل مجموعة منها تستحق وزنها ذهبا ! .. لكم اتعبتنى دراسة هذه العلامات اللعينة ، ولكن . . يا لها من اداة طيبة للاستثمار ! . . أى صداق ستقدمه ابنتى عند زواجها ، واية حياة متألقة سيلقاها أولادى ! .. ألا تأمل هذه المجموعة ! حرى بى أن أطلق عليها اسما انسانيا .. ليكن «أدليد» ! . . أى حبيبتى « أدليد » ، كونى مخلصة لى،كما فعلت اختك الصغيرة هذه ، التى أربحتنى ثمانين ألفا !

ويبادر الى اغلاق الصندوق ، حين يقبل الخادمان بماء الحلاقة والمنشفة . وما ان يعلم من ((أليكسى)) ان لاعبى الورق فى البهو ، حتى ينطلق اليهم . فيدور بين الخادمين حديث ندرك منه ان ((ايهاريف)) من اصحاب الضياع ، وان لديه من الخدم مائة وثمانين .. وفى تلك الاثناء يقبل ((كروجل)) و ((شونيف)) فى حرص

شونيف : انه لن يلمحنا ، فسوف يشغله اوتيش عن الحضور (يأمر أليكسى بالخروج ، ثم يرشو جافروشكا ويسأله) قل لى : أيلعب سيدك الورق ؟ وكيف يلعب ؟ هل يربح ؟

جافروشكا : الا تعرفان الكولونيل « شيبوتاروف » ؟ .. لقد جردناه من كل ممتلكاته منذ اسابيع ثلاثة .. من ثمانين الفا من الروبلات ، ومن عربته !

كروجل : ثمانون الفا ؟ !.. لا بأس ، فلن نلبث أن نتأكد من ذلك . قل لى ، ما الذى يفعله سيدك حين يمكث فى البيت ؟

شونيف : اراهن انه يلعب طيلة الوقت . اظنه محترفا ؟ ..

لسنا نملك سوى ان نجربه !

ويخرجان ، فيحدث جافروشكا نفسه : ((جميل هذا العمل، فنحن نكسب خلال اسفارنا نقودا من كل صوب ، ولا يستقر بنا المقام فى مكان ، ومن ثم فلا سبيل الى الملل !)) . ويقبل ((ايهاريف)) فيشرع فى ازالة لحيته

ايهاريف : ليس ثمة ما يميز هؤلاء اللاعبين عن سواهم .. لكم انا مشوق الى اللحظة التى اجردهم فيها من نقودهم !

ويفد ((أليكسى)) ، فيأمره ((ايهاريف)) باعداد طعام لأربعة ، واربع زجاجات من النبيذ . وما ان ينصرف خادم الفندق ، حتى يسأل خادمه الخاص عما أعطوه من النقود . ويعرف انهم أعطوه خمسين روبلا

ايهاريف : فوق هذه المنضدة ورقة مالية بمائة روبل .. خذها ! ما الذى يخيفك ؟ .. خذها ، ولست اطلب منك فى مقابلها الا الشرف .. ان تكون شريفا معى ، هل فهمت ؟ .. ان ورق اللعب الذى يشترونه لايروق لى ، وفى هذا الصندوق اثنتا عشرة مجموعة من اوراق اللعب (يناوله واحدة) خذ هذه .. هل تفاهمنا ؟

وينصرف الخادم ، فيقبل شونيف وكروجل واوتيش . وبعد المجاملات ، يعرض عليهم ((ايهاريف)) ان يشاركوه اللعب للتسلية .. وريثما تعد مائدة اللعب ، يدعوهم الى الطعام . ولا تلبث مائدة اللعب ان تضمهم

اوتيش : أتحب ان تبدأ اللعب أيها السيد ايهاريف ؟

ايهاريف : لا بأس .. سأبدأ بمبلغ بسيط . . خمسمائة روبل ((على البنك)) .. اقطع !

شونيف : أربعة ((آس)) .. عشرة على كل منها !

أوتيش : اعطنى ورقك يا اخى . سأسحب ((الكارت)) على اسم سيدة معينة ، من قبيل التفاؤل !

كروجل : اسمح لى بأن أزيد تسعة !

أوتيش : هات الطباشير يا شونيف ، سأدون الأرقام !

ويحاولون أن يحكموا خطة لخداعه ، ولكنهم لا يلبثون ان يتبينوا انه يعبث بهم . وينسحب اوتيش وكروجل من اللعب . ثم يلحق بهما شونيف

شونيف (هامسا لأوتيش) : انه يغش بجنون ! انه محترف مائة في المائة !

أوتيش (مضطربا) : اذن فلن نستطيع الحصول على الروبلات الثمانين الفا ؟

شونيف : تماما .. لم يبق الا ان نصارحه !

ويسعيان الى ايهاريف ، فيصارحانه بأنهما قد اكتشفا غشه

أوتيش : دعك من التظاهر .. ان المرء لا يلبث ان يعرف من يكون على شاكلته . ونحن نقدر فيك مهارتك ، ولذلك اسألك باسمى واسم زميلى ان تتحالف معنا

شونيف : اجل .. ولنوحد أموالنا !

كروجل : .. ونربط بين عقولنا !

ايهاريف : وما الذى يحملنى على ان أصدقك أيها السيد أوتيش ؟

أوتيش : معذرة .. لقد حسبناك ساذجا ، فاذا بك واحد منا ، فتقبل صداقتنا !

ويصافح كل منهم ايهاريف تأكيدا لاتفاقهم

اوتيش : والآن .. منذ متى درست « الاسرار العليا » للعب ؟

ايهاريف : لقد تلقيت نداء المقامرة مبكرا ، حتى لقد تعودت ان ادير اللعب من تحت المكتب ـ اثناء الدرس ـ وانا فى المدرسة العليا !

أوتيش : ان هذا لايدهشنى ، فالثقافة شىء هام .. أتذكر ذلك الطفل الغريب يا شونيف ؟

ايهاريف : وماذا كان امره ذلك الطفل ؟

شونيف : لن انسى ابدا تلك المرة . فقد جاءنى زوج اخته يقول : « ألا تريد أن ترى أعجوبة ؟ .. طفل فى الحادية عشرة يفوق فى الغش بالورق أى لاعب محترف ! » .. ولم اتوان عن الذهاب الى الطفل فى بيته ، فقابلته ، واذا به لايكاد يبلغ كتفى طولا . وما ان جلست ألاعبه حتى أخذنى العجب .. كان يصرف الورق بمهارة فائقة ! .. كان معجزة حقا !

ايهاريف : انها مهارة ولا ريب ان يدرس المرء العلامات على ظهر الورق

أوتيش : ان وضع العلامات على الورق وسيلة قديمة .. ما عليك الان الا ان تدرس مفتاح الرسم !

ايهاريف : مفتاح الرسم الخلفى للكارت ؟

أوتيش : نعم .. فثمة رجل ـ لن اذكر اسمه ولا اسم المدينة التى يعيش فيها ـ ليس له من عمل الا حل شفرة هذا الرسم . ذلك انه يحصل فى كل عام على بضع مئات من الانماط الجديدة لأوراق اللعب ، يرسلها اليه رجل مجهول من موسكو ، فيعكف عليها يحلل الرسم على كل كارت منها ثم يرسل الينا مفتاحها .. وهو يحصل من هذا العمل على خمسة آلاف روبل فى كل عام !

ايهاريف : انها وظيفة هامة ولا ريب !

أوتيش : نوع من التعاون وتقسيم العمل . فالانسان لا يستطيع أن يفعل كل شىء وحده !

ايهاريف : ما الذى يضمن لك ان تكون الاوراق من النوع الذى تريد ؟ .. انك لا تستطيع **دواما** ان ترشو خادما !

أوتيش : انها مغامرة على اى حال . لكنا ندبر الأمر بقدر ما نستطيع !

ويروى له ((اوتيش)) بعض حيلهم .. نزل رجل من صنائعهم يوما فى فندق ، ثم هرب دون ان يدفع الحساب ، فصادر صاحب الفندق متاعه ، وكان من بينه عدة صناديق

مليئة باوراق اللعب ، سرعان مابيعت لهواة اللعب ..ولم تنقض ايام ثلاثة حتى كانت المدينة بأسرها تشكو الخسارة ! .. ومرت عربة بها جمع من السكارى ــ ذات يوم ــ امام دار سيد ريفى كان جد ماهر فى اللعب ، فوقع منها بعض المتاع وهى تنطلق مسرعة . وكان بين هذا المتاع كمية من ورق اللعب ، عرفت طريقها الى مائدة رب الدار .. وفى المساء التالى ، كان الرجل خالى الوفاض !

ايهاريف : انها « اسرار عليا » ، كما تقول !

اوتيش : بل هو النظام وعدم التفرقة بين الناس .. فلو اننى لاعبت أبى ، لوجب أن أغشه .. أغش أبى نفسه ! .. فالمقامرة لا تعترف بالفوارق !

ايهاريف : هو ذلك ..ولكن الناس لايصدقون ان للمقامرين مبادىء ، وان المقامر قد يكون من أنبل الناس ! .. اننى اعرف رجلا من امهر اللاعبين ، لم تمنعه حرفته هذه من ان يعطى آخر روبل كان معه الى متسول فقير . وكان يخلص العون لبنى حرفته ، فيناصرهم ولو ضد جدته ! .. تماما كما يحدث فى الحروب الأهلية ، اذ ترى الاب ضد ابنه ، والابن ضد جده ، ولكنهم جميعا يخدمون غاية سامية ! .. والآن ، سأريكم حيلة طريفة . فهل تعرفون ما هو الورق المنسق ؟

اوتيش : هو الذى تستطيع ان تحدس ارقامه وانت على بعد منه

ايهاريف : ان لى اسلوبا خاصا فى اللعب ، فقد عكفت على المقامرة ستة اشهر تقريبا ، حتى اصبحت لااطيق ضوء النهار ، وقال الطبيب اننى مصاب بالتهاب فى العينين . **(يتناول مجموعة من ورق اللعب من صندوقه)** قد تظنوننى مغفلا ، ولكنى اؤكد لكم ان هذه المجموعة انسان ، وتحمل اسم امراة .. «ادليد» ! .. ولسوف أقف على مسافة خمس اقدام ، ولكم ان تختبرونى ، فاذا فشلت في التعرف علي ورقة واحدة ، فسوف ادفع ألفي



روبل !

ويتولى «أوتيش» اختباره ، فاذا به يتعرف على جميع الأوراق . ويعجب « اوتيش » فيعيد فحصها ، دون ان يعثر على شيء غير عادي فيها

اوتيش : ادليد ! .. انها حقا تستحق اسم انسان . ولكنها صعبة الاستعمال . ولا ريب فى انك تضطر الى ان تضعها بنفسك على المائدة !

ايهاريف : انما أفعل ذلك عند ما يستعر وطيس اللعب ، بعد أن يستمر متواصلا ليومين وليلتين . ففى احتدام اللعب أغير الورق .. انه فن الاحتفاظ بالهدوء ، بينما تكون اعصاب الآخرين مرهقة .. فليس أسهل — اذ ذاك — من ان تلفت انظارهم الى شيء آخر ، كأن تقول مثلا ان حساب احدهم سجل خطأ ، فينظرون كلهم اليه ، وهنا .. تهبط « ادليد » الى المائدة !

أوتيش : مدهش !! انك لتضيف الى كل صفاتك السابقة صفة الاحتفاظ بهدوء الاعصاب . ان التعاون معك سيكون ذا قيمة كبرى لنا ايها السيد ايهاريف !

ويشربون نخب زمالتهم الجديدة

شونيف : حسن ، هانحن أولاء مستعدون للنزال ، الأسلحة فى الأيدى .. ولكن ، أين العدو ؟ .. ليس هنا سوى سيد ريفى يدعى السيد « جلوف » . ولكن ما فائدة الحديث عنه ؟ انه لا يلعب الورق ، وقد حاولت كثيرا .. تعرفت اليه منذ شهر ، فحصلت على ثقته ولكننى لم اوفق الى استدراجه قط !

ايهاريف : الا استطيع المحاولة ؟ . . دعنى أراه ! . . **(ويتطوع اوتيش لدعوة الرجل ، بينما يستطرد ايهاريف :)** أن شعارى دائما ان المرء لا يستطيع ان يجزم بشىء ، فربما . . !

شونيف : أوافقك على ذلك . فالانسان ليس الهـا . . انه قد يقول «لا» اليوم ، وقـد يكررها غدا ، وبعـد غد ايضا ، ولكنك اذا اصررت عليه فى اليوم الرابع فقد يقول . . «نعم» !

كروجل : ولكن هذا الرجل بالذات ، يخالف ما تقول !

ايهاريف : يجب أن نأمل ان تكون مخطئا ! . . أواه ، كم انا مشوق الى العودة الى اللعب . . اللعب المجدى ! لقـد ربحت ثمانين الفا من الكولونيل شيبوتاروف منذ شهر . . ومنذ ذاك اليوم وأنا عاطل !

شونيف : اننى ادرك شعورك . . شعور القائد عندما لاتكون هناك معركة !

ايهاريف : أهو غنى . . السيد جلوف هذا ؟

كروجل : أوه . . انه غنى ، ويعمل عنده حوالى ألف فلاح!

ايهاريف : واذن ، افلا نسـكره اولا ؟ . . ألا نرسل فى طلب شمبانيا ؟

شونيف : انه لا يقربها ابدا !

ايهاريف : فماذا نستطيع أن نفعل معه ؟ انى لأفكر فى وسيلة . . ان اللعب فى حد ذاته شىء مغرى !

شونيف : سنحاول ذلك . سألعب أنا وكروجل على مبالغ يسيرة ، ولـكن . . لنتجنب الافتعال ، فان الشيوخ دائما أهل ريبة .

ويجلسان الى جانب فيتظاهران باللعب ، ثم يدخل أوتيش ومعه السيد جلوف، فيقدمه الى ايهاريف الذى يستقبله بحرارة . . ثم يعكف اوتيش وشونيف وكروجل على التهامس

جلوف : آه يا سيد ايهاريف . . ان حيـاة المدينة جد مملة لى ! . . ولكنى مغلق بالعمل . . وهو عمل مزعج ايضا !

ايهاريف : أهى قضية تلك التى تشغلك ؟

جلوف : لا ، انا ازوج ابنتى .. فتاة فى الثامنة عشرة ،وقد جئت هنا لشراء حاجات مختلفة، وحاولت ان ازيد قيمة الرهن على أرضى ، ولكنى ـ رغم تسوية الأمر ـ لم أتسلم المبلغ بعد !

ايهاريف : هل لى أن أسأل عن المبلغ الذى رهنت من أجله أرضك ؟

جلوف : مائتا الف روبل ، يجب أن يدفعوها لى بين يوم وآخر ، وقد تأخروا حتى سئمت الانتظار ، وقررت ألا أمضى فيه !

كروجل : لا ، ابدا .. انها مجرد تسلية !

جلوف : وماذا أفعل ؟ انظر الى حالى ؟ .. لقد انقضى شهر منذ رأيت أولادى للمرة الأخيرة ، ولم أتسلم منهم خطابات ، والله وحده يعلم ماذا يجرى لهم . سأسافر واترك أعمال الرهن لابنى كى يتمها . (**ملتفتا الى شونيف وكروجل**) لعلنا لا نكون قد ازعجناكما بحديثنا !

كروجل : لا ، ابدا .. انها مجرد تسلية !

جلوف : بل هى مقامرة يا كولونيل كروجل !

شونيف : أتسميها مقامرة تلك التى نتنافس فيها على روبل واحد ؟

جلوف : صدقنى ـ كرجل مجرب ـ ان كل شىء كبير انما يبدأ بأصغر الاشياء !

شونيف : لا .. بل قل انها عادة المتقدمين فى السن ، فهم يحسبون ان الناس جميعا معرضون لان ينساقوا وراء الخطأ الذى يكونون هم قد ارتكبوه مرة واحدة !

أوتيش : اننى فى صف السيد جلوف ، وقد اقلعت عن اللعب منذ زمن ، وان كان ذلك التماسا للراحة الذهنية ، وليس خوفا من الخسارة المادية !

جلوف : يا سيد اوتيش .. انك رجل جد حكيم ، ولو كان

فى روسيا عدة رجال من نوعك ، لعادت الى عصرها الذهبى !

* * *

• ولا يفلحون فى استدراج الرجل .. ثم يقبل اليكسى ليعلن اليه ان عربته متأهبة للرحيل ، فينصرف ، ولكنه لا يلبث ان يعود بعد لحظات

جلوف : لقد عدت لأكرر لكم شكرى ، ولأسألكم معروفا يسيرا ؟ .. ان ابنى — الذى سأتركه هنا — لم يزل شابا غريرا ، فى الثانية والعشرين من عمره ، لايدرى من امور الدنيا شيئا ، ولا يرجو سوى ان ينضم الى سلاح الفرسان . وانى لأخشى عليه غوايات المجتمع ، فهل لك فى ان تكون له رقيبا وناصحا ياسيد اوتيش .. انه سيبقى هنا ليحل محلى فى عمل ما !

أوتيش : أوه .. لاتخش شيئا ، فسوف اكون له أبا ثانيا !

ويحتضنه الرجل شاكرا ، ثم ينصرف ، فيرافقه اوتيش مودعا

ايهاريف : لقد طار العصفور .. كم كانت جميلة تلك العبارة: « مائتى الف روبل » ! .. ان الأموال لتجرى فى يد من لايستطيع التصرف فيها بينما يبقى امثالى هكذا ، لايملكون سوى الهواء !

ويعود « اوتيش » مبتهجا ليعلن الى زملائه ان الشاب انما يتخلف فى المدينة ليتسلم النقود التى يرجوها ابوه من المصرف

ايهاريف : وفيم يفيدنا ذلك ؟

اوتيش : فيم يفيدنا ؟ اننى بمثابة الوصى عليه .. انتظروا فسأريكم اياه حالا !

* * *

ويخرج مسرعا ثم يعود مصطحبا « جلوف الشاب » يتعثر فى خجله ، فيقدمه الى الجمع على انه صديقه ورفيقهم منذ الليلة ، فيرحبون به ويسعون الى كسب وده .. ويطلبون

الشراب احتفالا بالبطل الراغب فى ان يصبح فارسا !

أوتيش : والآن أيها السادة ، لنحتفل بهذا السيد ، ألا نلعب الورق يا سيد جلوف ؟

جلوف الشاب : انما احب ذلك ، ولـكنى لا احمل شيئا من النقـود

اوتيش : حسبك ، حسبك ، أيها الرجل الطيب ! .. يكفى ان تبدأ بمبلغ صغير

جلوف الشاب : ولكنى لا امتلك حتى هذا المبلغ الصغير ! !

أوتيش : ولكن .. ما امر تلك النقود التى فى المصرف ، والتى ستحصل عليها حالا ؟

جلوف الشاب : اننى لا املك حق التصرف فيها

شونيف (بابتهاج) : ان لدى فكرة طيبة .. لماذا لا تكتب لنا صكا بالمبلغ ؟ اننا نثق بك وسنقبل هذا الصك .. ولكن ،معذرة، فأنا اتكلم كما لو اننى كنت مسلما بأنك ستخسر .. ها ! ها ! ها ! بل انك ستربح ! **(وينضم اليـه الآخرون فى تأكيد الربح للشـاب)**

جلوف الشاب : ولكن انى لكم العلم بأنى سأربح ؟

اوتيش : ماذا ؟ .. اتدعو نفسك فارسا وانت لاتملك الثقة والأمل ؟ .. ماذا يحدث فى الحرب ؟ انك قد تربح وقد تخسر .. انها المخاطرة ، وخوض المجهول ، واقتحام الأسرار العليا !.. لماذا تخاف .. هل انت يهودى ؟

جلوف الشاب (وكأنما واتته فـكرة طارئة) : ومن يخشى كلام الأب ؟ .. سألعب !

أوتيش : لقد اتفقنا اذن .. هات اوراق اللعب يا أليكسى !.. الا يقول احدكم لى ما هى انبل الفضائل ؟

فيقول كروجل انه الفقر ، ويقول شونيف انها الطهارة ، لكنه لا يوافقهما ، واذا ايهاريف يجيبه : ((انها الشجاعة .. شجاعة السيد جلوف الشاب !))

أوتيش : تلك هى حقا ، فالشجاعة لا يفضلها شىء ! .. من الذى سيبدأ اللعب ؟ .. سأبدأه انا بمبلغ بسيط .. خمسة وعشرين الفا **(ويدور اللعب)** ان الله يصرف أسرار اللعب كيف شاء ... التسعة تكسب ؟ ماذا ؟ اتربح باربعة ؟ انظروا ايها السادة كيف يضاعف الشاب رهانه .. برافو أيها القائد انك ربحت أربعة آلاف !

جلوف الشاب (فى استحياء) : سأضاعف رهانى مرة اخرى !

اوتيش : حسن ايها القائد .. ان السبعة تتبع السبعة .. أوه ، يا قائدى العزيز ، لقد خسرت ! .. لا بأس يا بنى ، فالانسان لايربح دائما (لكروجل) اذا كنت تخشى الخسارة فاترك اللعب لقد ربح القائد مرة اخرى ، انى أسميك بحق قائد الفرسان .. **(ويدور اللعب من جديد ، ثم يهتف اوتيش فجأة)** أوه .. لقد خسرت ياكروجل ، وانت ايضا يا شونيف، وكذلك ايهاريف .. عجيب ! انى مندهش ايها القائد .. لقد خسرت انت ايضا !

جلوف الشاب : يا للعنة !

أوتيش : انه يتلقى الخسارة بأخلاق الفرسان تماما **(ويحصى جلوف كل نقوده فيضعها على المائدة)** هاى ، أيها القائد ! .. أتراهن بالخمسة آلاف روبل ؟ .. انها كل ما تملك ! .. لايستطيع احد ان يضع مثل هذا المبلغ دفعة واحدة الا العظماء حقا . لست ادرى ان كان بقى فى الدنيا عظماء مثلك !.. أوه ، انه بطل حقا ، لقد خسر ثانية !

جلوف الشاب : ترى ، كم النقود التى فى المصرف ؟

أوتيش : مائتا الف أيها القائد !

جلوف الشاب (متهورا) : انى اراهن بها كلها !

اوتيش : مائتا ألف أيها القائد ؟.. لعلك نابليون بونابرت !.. انظروا الى عينيه أيها الرفاق ، انهما تتوهجان كالفحم المستعر !



.. آه ، لقد هزم القائد مرة اخرى .

جلوف الشاب (منصرفا) :

لاتتوقفوا عن لعبكم

اوتيش(مغيرا لهجته) : دقيقة واحدة ايها القائد ! .. لقد خسرت مائتى الف ، ويجب ان تدفع قبل ان تراهن ثانية !

جلوف الشاب : ادفع ؟ .. ادفع ؟ .. لكنى لم احصل **عليها** بعد !

كروجل : الأمر سهل ، أكتب لنا صكا بها !

اوتيش : ذلك هو القلم والورق .. صك بالمبلغ ، وتوكيل يخول لنا حق تحصيلها من المصرف !

★ ★ ★

ويصدع الشاب ، حتى اذا فرغ من الكتابة ، عاد يقترح مواصلة اللعب

اوتيش (مبتسما لرفاقه) : ولكن ، لابد من الدفع اولا ! .. النقود على المائدة قبل البدء !

جلوف الشاب : ماذا فى الأمر ؟ .. أتظننى لن أدفع لك ؟

اوتيش : الرجل الذى لا يملك نقودا لا يمكن أن يخسر .

فيخرج الشاب مسدسه من جيبه مهددا بالانتحار ، وينطلق خارجا ، فيلحق به أوتيش ولا يلبث ان يعود به

شونيف : عجبا ، ايقتل فارس نفسه من اجل امر تافه كهذا ؟ !

ايهاريف : اذن فليقتل الروس جميعا انفسهم ، ما دام

الأمر قد وصل الى ذلك الحد !

كروجل : من منا لم يخسر فى اللعب ؟ .. ومن منا يأمن الخسارة فى المستقبل ؟

جلوف الشاب (بابتئاس) : لكنى لا استطيع تحملها !

ايهاريف : لاتقل ابدا اموت ! اشرب .. وكن خاسرا شجاعا !

اوتيش : انما يكسب من يخسر ، ويخسر من يكسب .. ذلك مذكور فى الانجيل ! ان اشارة واحدة الى انك خسرت مائتى ألف فى ليلة واحدة ، كفيلة بأن تجعل الفرسان يحملونك على اعناقهم !

ولكن الشاب يتذكر اباه ، فيسألهم ان يساعدوه على الخروج من مأزقه . وينتهون به الى قرار مقنع : ذلك هو ان ينضم الى الفرسان دون الرحيل الى القرية ويعدونه بمساعدته فى ذلك ، ويرسلون فى طلب فتاة يقنعونه بأن يلهو معها وما ان ينصرف الشاب بصحبتها ، حتى يصل كاتب من المصرف فيسأل عنه

اوتيش : تفضل ، فنحن مشتركون فى العمل مع السيد جلوف . واذا كان لك ان تقدم لنا معروفا، فهو ان تصرف لنا النقود بأسرع ما تستطيع !

الكاتب : اوه ، ولكن هذا يستغرق اسبوعين على الاقل ، واسبوعان ـ فى حساب الروس ـ تعنى شهرين !

اوتيش : انى لأتبين ذلك .. ولكننا لسنا مجرد روس عاديين !

شونيف : نعم ، فنحن اصدقاء لك ، وربما نكون من اسرة واحدة . قل لى : ما اسمك ؟.. فنتيفلى بيربنتيش ؟

الكاتب : بل .. سوى ستاخيتش

اوتيش : نفس الشىء ، انى لا انسى الاسماء قط ، ولا الوجوه وكيف حال العمل ؟

المندوب : سيدى ، انما انا موظف بسيط

اوتيش : اذن ، فمن ذا الذى يعرف الألاعيب ؟

المندوب : الألاعيب .. سيدى ؟

اوتيش : الرشوة .. والفساد ؟

المندوب : اوه حسن ايها السادة !.. ان المرء مضطر الى ان يعمل لكى يعيش . ها ! ها ! ها !

ويندمجون جميعاً فى ضحك مرتفع النبرات ، ثم يسكتون فجأة اذ يقدم اوتيش رشوة لمندوب المصرف

أوتيش : هل سمعت يا ايهاريف ؟ المرء مضطر ان يعمل لكى يعيش . حسن يا سوى ستايخيتش .. سنساعدك على العيش . والآن ، كيف حال العمل ؟

المندوب : ان طاحونة الله تسير بطيئة ..

اوتيش : مالم نيسر حركتها بزيت من نقودنا .. أسرع !

ويخرج المندوب فيتبعه اوتيش ، ثم يأتى بعد برهة

اوتيش : انه لا يستطيع اتمام الصرف قبل ايام اربعة .

ايهاريف : ايام ثلاثة ، او ايام اربعة .. ما الفرق فى ذلك ؟

اوتيش : ألا تعرف الفرق ؟ .. يجب ان نكون الآن فى نيزنى نوفجورود ، فقد ارسل التجار جميعا ابناءهم الى هناك حيث السوق قائمة .. واظنك الآن تعرف **ابناء التجار** !.. يجب ان ننتقل الى هناك حالا .

شونيف : ولكنا لا نمتلك رأس مال كافيا .

اوتيش : عندى فكرة .. انك لست فى عجلة من امرك ؟ يا سيدى ايهاريف .. اليس كذلك ؟

ايهاريف : هو ذاك ، ولكن .. ماذا تقصد ؟

أوتيش : فلتأخذ صك السيد جلوف ، وتسلمنا الثمانين ألف روبل التى معك .

ايهاريف : ولكن . . ما الذى أفعله بالألف ومائتى روبل الفائضة عن نصيبى ؟

اوتيش : خذها لنفسك يا صديقى !

ايهاريف : مائتى ألف رو ... موافق ! **(ويخرج الثمانين ألف روبل)** خذ نقودى واعطنى الصك !

اوتيش (ملوحا بالصك) : هاك !.. والآن سأذهب لأسوى الأمر مع السيد جلوف الشاب .. **(يخرج كروجل بالنقود)** ليتنا نستطيع ان نرحل الليلة !

ايهاريف : ضرورى ، ضرورى ، لا تضيعوا وقتكم . مائتى ألف رو ...... أوه !

شونيف : هل تقبل نصيحتى ياسيد ايهاريف ؟.. لا تبق هنا دقيقة واحدة بعد ان تتسلم النقود . حاول أن تلحق بنا بأسرع ما تستطيع ! (ويخرج) .

* * *

• **ويخلو** ايهاريف الى نفسه ، فيروح يغبطها على كسب يومه قائلا : « كنت فى الصباح لا امتلك سوى ثمانين ألف روبل، فما حل المساء الا وكان معى مائتا الف . كم من رجال قضوا عمرهم يحاولون جمع هذا المبلغ . بالعمل اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، وستة ايام فى الاسبوع ، حتى تتساقط اسنانهم ويبيض شعرهم، بينما انا .. انها الثقافة والاجتهاد الشخصى! .. **ترى بماذا اجيب اذا سؤلت عن الوسيلة التى حصلت بها النقود لكى يتسنى للشباب من الروس أن يحذوا حذوى ؟ هل اقول : بالغش فى اللعب ؟** لا ، فليس « الغش » اسما مناسبا ، يجب ان يكون هناك تعبير آخر .. يجب ان اقول : **انما النجاح فى العمل وتحصيل الثروة يرجعان الى سنين طويلة من الجهاد والعرق !** » .. ان غريزة حفظ الذات لتقتضى منى هذا القول . على انه لم يكن ثمة بد من الغش ، فلو لم أغش الناس لرحت ضحية غشهم ! .. لكى تعيش يجب ان تتظاهر ، وان تكون وجيه المظهر ، لجوجا فى طلب منافعك . لابد لك من ان تكون

ماهرا ، نهازا للفرص ، خبيرا بوسائل الغش !.. وبتعبير آخر: ان تغش ، ولا تدع غيرك يغشك .. وانما التعبير المشروع لذلك النهج من الحياة ، هو ان تكون لجوجا فى طلب الحياة » !

★ ★ ★

• **وهنا** يدخل جلوف الشاب مسرعا يلهث ، يسأل عن بقية اللاعبين ، ويقول : « هل رحلوا بنقودك ؟ »

ايهاريف : لقد عقدنا صفقة ، وسأبقى هنا من اجل نقودك !

ويدخل أليكسى فيعلن للشاب انهم رحلوا منذ نصف ساعة، فيتهالك هذا فى اضطراب ، هاتفا : « لقد ضعنا ! »

ايهاريف : تقصد انك ضعت وحدك . اما انا ، فسأكون بخير ومعى نقودك .. المائتا ألف روبل !

جلوف الشاب : ماذا ؟.نقودى .. مائتا ألف روبل ؟

ايهاريف : هدىء من روعك يا فتى .. لقد خسرت ، ويجب ان تتعود الخسارة !

جلوف الشاب : ألا ترى انك خدعت ؟

ايهاريف : ماذا تقول ؟ عم تتحدث يا سيد جلوف ؟

جلوف : ما ظنك فى الأمر ؟ هـل تظن ان اسـمى جلوف ؟ اتظن ان ذلك الرجل الشيخ ابى ؟ .. انى لأدعى جلوف ، ولا هو ايضا يدعى جلوف . ولست ابنه، كما انه ليس ابى!.. لقد، لقد خدعونى كما خدعوك ، فلم يعطونى نصيبى من الغنيمة !!

ايهــاريف : انك تهـذى ولا ريب . ما كل هذا الحديث عن الغش والغنيمة ؟

.. أتحسبنى ابله لدرجة ان اصدق ... وبماذا تعلل ذلك التوكيل الذى احمله ؟ لقد كان هنا مندوب المصرف ..

جلوف الشاب : بل هو فرد من العصابة !

ايهــاريف (وقـد فطن الى الحقيقة) : ماذا ؟ماذا ؟..واذن فمن انت ؟

جلوف الشاب : لقد افلسونى تماما ثم وعدونى بثلاثة آلاف روبل فى مقابل تمثيل ذلك الدور !

ايهاريف (ممسكا بخناقه) : لن ادعك الا امام البوليس ايها الوغـــد !

جلوف الشـــاب : بل دعنى .. انك لا تملك حقــا ضـــدى

ايهاريف : لا املك حقا ؟ انها سرقة فى وضـــح النهار .. لن أدعك الا فى السجن وستعلم — اذ ذاك — ان كنت املك الحق او لا املكه !

جلوف الشاب : وما قولك فى الورق المغشوش الذى لاعبتنى به . هل يثبت أن نياتك سليمة ؟

وهنا يتهالك ايهاريف ، اذ يرى ان جلوف يعلم كل شىء ولن يجدى معه تهديد

جلوف الشاب : عليك بالشراب ياسيدى ، ولتتعلم ان تخسر بشجاعة ، وعنـــدما تضيق بك الأحوال ، فما عليك الا ان تقول لنفسك : حسبى دائما وجود « ادليد » !

ويخرج من الغرفة فيبقى ايهاريف وحده ثائرا ، فيمســك بأدليد ويطوح بها بعيدا .

ايهاريف : الى الجحيم يا ادليد !.. يا للأوغاد !.. يا للعار ! **(ثم يهدأ قليلا)** . ولكنها كانت حيلة بارعة حقا .. تمثيل رائع .. السيد جلوف الأب ، وجلوف الابن ، مندوب المصرف .. كانوا مجموعة متناسقة ! .. لا ، لن املك ضدهم شيئا ! .. لقد كنت أؤمن بالغش ، فأوغلت فى طلب الدنيا ، فماذا جر على كل ذلك ؟ ليس هناك الا وسيلة وحيدة .. انه قرار رهيب لكن لابد منه ! . . يجب ان اقولها لنفسى مائة مرة فى اليوم : **ان حياة الخاملين خير من حياتى مائة مرة !.. يجب ان اتغير !!**

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية ، الكتب الآتية على التوالى : ♦ كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية ♦ طريق السعادة الزوجية ♦ مركب النقص ♦ حواء الجديدة ♦ كيف تقهر الخجل ♦ كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة ♦ فنون الحياة : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، فن الاستمتاع بالشيخوخة ♦ غزو السعادة ♦ التحليل النفسى ♦ الجنس الآخر ♦ عش حياة ايجابية ♦ أبواب الحب المغلقة ♦ فن الحب (لأوفيد) ♦ الانتصار على الخوف ♦ عش بحكمة تعش سليما ♦ كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة ♦ كيف تفسر أحلامك ♦ كن متفائلا ♦ تاريخ الغزل ♦ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة ♦ أتح لعقلك حياة جديدة ♦ دنيا الحب والسعادة ♦ حب وجنس وخيانة ♦ السلوك الجنسى عند الرجل ♦ فى بلاد العراة ♦ السلوك الجنسى عند المرأة

واليوم .. اقرأ معنا كتابا عن الارادة القوية :


WILL-POWER
BY: R DE
SAINT-LAURENT
إرادتك
فى متناول يدك!
بقلم: ر. دى سان - لوران

اذا صحت العزيمة ، فكل شىء يهون !

◆ ان الارادة كفيلة بأن تغلب الصعاب ، وقد قيل قديما : « حيثما توجد الارادة ، يوجد مخرج وطريق » !.. فلن يقدر لامرىء أن يحقق أملا ، أو أن يبرم عملا ، ما لم يعرف كيف يتذرع بالعزيمة التى تمكنه من تذليل كل ما قد يعترض طريقه من عقبات .

والارادة أو العزيمة - بعد هذا - ليست بالأمر الصعب ، الذى يرهق طالبه ، فهى لا تتطلب أكثر من مران ومثابرة ، مع معرفة الطريق الذى يسلكه الطالب فى ذلك .. وهو ما يحدثنا عنه « ر. دى سان لوران » فى الكتاب الذى نقدمه لك فيما يلى .. ولسوف تلمس عقب الفراغ منه - أن المهمة يسيرة ، فلماذا لا تبدأ فورا فى تنمية ارادتك ؟

النجاح فى متناول الجميع

◆ **المرء** القوى الشخصية هو ذلك الذى يختار لنفسه غاية معقولة ، أو بالاحرى هدفا معقولا ، ولا ينى عن السعى اليه ، لا تصده عنه اية عقبات أو عوائق نفسية أو مادية ، فهو يعرف كيف يعقد عزمه ، وكيف يحقق اراداته ، وهذا هو سر النجاح !

أما الشخص المرهف الحس ، السريع التحول ، الضعيف النفس ، فان الأحداث تعترض سبيله فتعرقله ، وسرعان ما تثنيه عن غايته أية مصاعب تبدو مستعصية العلاج - **ذلك لأنه يفتقد العزيمة والارادة - ومثل هذا الشخص مصيره الى الفشل ! .. لذلك فان اتقان السيطرة على الارادة وتوجيهها ، هو خير سبيل الى النجاح !**

ومن الطبيعى أن يكون أول سؤال يتبادر الى الذهن بعد ذلك ، هو : **ما هى الارادة ؟** .. انها عقد العزم على غاية معينة لا سبيل الى التزحزح عنها امام اول عقبة أو أول شعور داخلى او أول تأثر بأية مؤثرات خارجية .. انها تفادى بناء الخطط

ورسم القرارات على أسس غير ثابتة ، يغلب عليها الخيال وايحاءات الأعصاب ، ومن ثم فهى لا تصمد فى وجه أية نتائج غير مواتية ، تترتب على الظروف الطارئة .. ومن ناحية أخرى، نجد انها ـ ايضا ـ عدم الاصرار على خطط أو قرارات ،يسلم العقل بأنها غير مكتملة الصواب ، أو بأنها خطأ

ضع قاطرتك على الخط الحديدى !

• **ولكى** تعقد عزمك بحيث لا يكون مزعزعا ، لا بد من عناصر ثلاثة : **التقدير ، والتصميم ، والتنفيذ**

فقبل أن يقدم المرء ـ ذو الشخصية ـ على عمل ، لا بد له من تقدير الموقف ، ودراسة مختلف القرارات التى يجوز له اتخاذها ، ومعرفة ميزات وعيوب كل منها ، وتقدير قيم الحوافز والبواعث التى قد تخطر له ، واختيار أفضل الوسائل التى تساعده على بلوغ غايته .. فاذا فعل كل هذا ـ **وهذه هى مرحلة التقدير** ـ كان له أن يأخذ القرار الذي يمليه عليه عقله ، وهو مطمئن . **وهذه هى مرحلة التصميم** .. وتعقبها مباشرة **مرحلة التنفيذ** ، اذ يشرع المرء فى مهمته . وكلما كان نشيطا ، مفكرا ، بارعا فى انتهاج الوسائل والأساليب ، كان وصوله الى غايته أسرع وأضمن !

ولكى نقرب الى الفهم ما للارادة من عمل نفسى ، نضرب مثلا بالقاطرة الحديدية ، **اذ لابد لها ـ كى تبلغ الغاية المعينة لها ـ من أن توجه الى خط حديدى معين ، فمن المستحيل عليها قطعا ـ ومهما تبلغ سرعتها ـ ان تبلغ تلك الغاية ما لم تجر على الخط الحديدى الموصل اليها . فاذا ما استقرت على هذا الخط ، وجب على السائق أن يحتفظ بمعدل معين لضغط البخار ، والا خفت سرعة القاطرة تدريجا ، حتى تنتهى الى الوقوف .. والتحمس للحافز يقابل قوة البخار فى حالة الارادة !**

اما كيف تتعرف الى الخط الحديدى الصحيح ، وتسيطر على قوة البخار فى قاطرة عزيمتك ، فهذا هو موضوعنا !

فى كل نفس قوى دفينة

• **وبوسع** كل امرىء أن يكون ذا عزيمة ، وأن يشحذ ارادته ، لأن كل انسان – حتى الضعيف والخائر والمذبذب – أوتى القوى النفسية والمعنوية التى تمكنه من ذلك ، ولكنه لا يعرف كيف يستغلها .. وقبل أن تشرع فى بناء ارادتك ، جرب هذه التدريبات الثلاثة ، لأنها بمثابة الاعداد لعملية البناء

التدريب الأول : خصص بضع دقائق للتفكير والتأمل ، لمدة ثلاثة أيام أو اربعة . ويحسن أن يكون ذلك فى مكان تأمن فيه أى ازعاج يقطع عليك حبل التفكير . كما يحسن أن تكون تلك الدقائق فى بداية النهار

وابدأ باستعراض حالتك الذهنية : الى اى مدى تؤثر ارادتك على تصرفك ؟ .. وهل تسمح لنفسك بأن تسير وفقا للروتين وحكم العادة ؟ .. وهل تملك أن تقاوم انفعالاتك ، وحالات مزاجك ، ومغريات الوسط الخارجى ؟ .. وهل تعوزك المثابرة والدأب فى تنفيذ ما اعتزمت عمله ؟ .. وعندما ترسم خطة لعملك ، فهل تتشبث بها فى اخلاص ؟ .. واذا انتزعت من عملك أو تفكيرك فجأة ، فهل تستأنفه بعد ذلك بنفس النشاط ؟

ولسوف تلاحظ وجود بعض نقاط ضعف أو نقص فى عزيمتك ، اثناء هذه الدراسة ، فسجلها يوما بعد يوم ، لتستعين بها فى العلاج

التدريب الثانى : حاول ان تتحقق مما يجديه عليك – فى حياتك – نمو ارادتك .. انك اذ ذاك لن تعود مؤرجحا ، نهبا للتردد والهواجس .. وانما ستغدو دائبا على تحقيق غاياتك واحدة بعد اخرى ، وستشعر بقوة عزيمتك كلما احرزت نصرا جديدا .. **وبالتالى ، ستنتقل من نجاح الى آخر فى كل ما**

ترسمه لنفسك من مشروعات !

صور لنفسك هذه الصورة يوما بعد يوم ، حتى ترسخ في ذهنك ، وتملك عليك حواسك ، وتصبح متلهفا على تنمية ارادتك !

التدريب الثالث : استغل الايحاء الذاتى .. كرر لنفسك ـ ثلاثين أو اربعين مرة فى اليوم ـ هذه العبارات : **((من السهل ان تكون لى طاقة حديدية . اننى اعزز ارادتى تدريجا ، ولن تلبث ان تغدو راسخة .. لن تمنعنى قوة عن اداء ما اعقد عليه عزمى))**

والايحاء الذاتى ـ عندما يكون معقولا سليما ـ خير سلاح لتقوية العزيمة والروح المعنوية

لا تغفل عن عجلة القيادة !

• يصف الفلاسفة « الارادة » بأنها موهبة عقلية تنحو نحو الخير . فهى تناضل لتصل الى الغايات التى تهفو اليها ، لانها تراها نافعة . فما ان تستثيرها غاية ، حتى تتحرك نحوها . ويشتد الباعث الذى يحركها بازدياد اغراء تلك الغاية ، ولكن « الارادة عمياء » ، فهى لاتدرى من تلقاء ذاتها الغاية الحقيقية التى تجتذبها ، مما قد يؤدى الى دفعها نحو غاية زائفة ، أو نحو اتجاه خاطىء . وكم من أناس هبوا يسعون الى هدف صالح ، وغاية تحقق السعادة ، فاذا سعيهم يلقى بهم الى الشقاء !.. ومن ثم فلا بد لنا من ان نتولى توجيهها ، وهذا هو أول شروط النجاح !

وليس من شك فى ان التوجيه يعتمد على العقل .. ودور العقل هنا كدور قائد الطائرة ، فهو لايغفل عن عجلة القيادة لحظة ، ولا يغير اتجاهه كثيرا بغير داع ، مادام الخط الذى يحلق بطوله آمنا . وكذلك يراقب العقل ـ مراقبة دقيقة ـ مجرى الارادة ، دون ان يعدل هذا المجرى ما لم تدع الضرورة الى

ذلك !.. ذلك لان الانسان الذى يعقد العـزم على عمل طيب ، لايسلك طريقـا معينا الا بعد تفكير وامعـان . وما ان يختار الطريق وينطلق فيه ، حتى يجد ان معظم ما يتحتم عليـه من اعمال ، انما يفرض عليه بحكم الواجب وبحكم الظروف .

استعراض فى كل صباح

• **وفى** معظم الأحوال ، لاتعدو مهمـة العقل اكثر من التأكد من ان الارادة تسير فى المجرى الذى اختير لها ، ولا تحيد عنه. على ان ثمة ظروفا وحالات تتطلب من العقل ان يعيد التفكير ، وان يرسم اتجاها جديدا ، يدفع اليـه الارادة . فكيف تدرب عقلك على ان يجيـد الحكم والتصرف عند اختيـار الطريق ، وعند تعديله ؟

تنـاول ورقة وقسمهـا الى عمودين ، سجل فى اولهما كل الاسباب التى تدفعـك الى اتخاذ قرار معـين . . وسجل فى ثانيهما كل البواعث التى تقوم فى وجه هذا القرار ، ووازن بين العمودين ، ثم اختر اقواهما حججا . . **واستخدم هذه الطريقة قبل اتخاذ كل قرار، فناقش ميزات هذا القرار وعيوبه فى امانة تامة ، وفى مراعاة لكل شىء ، وحساب لكل طارىء ، وانتباه لكل واعز من ميولك الخاصة .. فاذا ما استقر رأيك نهائيـا على القرار ، فاحرص على ان لاتتحول عنه ، ما لم تتبين خطـأ فى تدبيرك ، او طارئا لم يكن متوقعا !**

ولا بد لك من ان تناضل فى كل يوم، لكى تصل الى هدفك . . فاذا ما استيقظت فى الصبـاح ، فاستعرض كافة المهـام التى ينبغى اداؤها فى اليوم كله، وحدد لكل منها فترة من وقتك . . فاذا ما حانت فترة مهمة منها ، وجب عليك ان تتفرغ لها،وان تنحى عن ذهنك المهام الأخرى . . ولهذا الاستعراض الصباحى فائدتان : فهو يذكرك بواجبـاتك ، كما انه يعدك لها . وهنا يحسن ان تستخدم الايحاء الذاتى، فتكرر لنفسك عدة مرات:

« اننى قادر على اداء عملى ، وانه ليلذ لى . ولقد دبرت خطتى، فلا بد لى من التشبث بها لأنها سبيلى الى النجاح » !

ولو ان حدثا طارئا، أو زيارةعابرة اعترضت هذا «الجدول»، فلا تصغ للاغراء الذى يزين لك ان ترجىء احدى المهام ، فى مقابل الوقت المضيع، لأن هذا لون من التقهقر . . وانما احرص على ان تستغل الدقائق الباقية فى معالجة المهمة التى اضاع الحادث او الزيارة عليك وقتها !

رياضة ارادية !

• **وخليق** بالمرء ان يخلد الى السكون لحظات قبل البدء فى أى عمل . وليحاول خلال هذه اللحظات ان يهيىء عقله للعمل، وان يقصى عنه أية أفكار خارجية . . ولقد عرف عن طبيب سويسرى نابه الذكر ، إنه اعتاد ان يصف ـ فى حالات ضياع قوة العزيمة ، او الخور العصبى ـ علاجا يصوغه فى هاتين الكلمتين : « رياضة ارادية » . **ويتضمن هذا العلاج ان يتمشى المريض كيفما شاء ، ثم يركز كل اهتمامه على حركات ساقيه، التى لايمكن ان تصدر الا عن الارادة . وفائدة هذا العلاج عظيمة ، لأنه يلزم المريض بأن يسير بخطى جد بطيئة ، وبأن يقول لنفسه مع كل خطوة : « سأقدم قدمى اليمنى . . والآن سأقدم اليسرى » . فكل حركة تحتاج الى ارادة ، وعلى المريض ان يمكن ارادته من السيطرة على حركات القدمين**

وهناك ثلاثة تدريبات تساعدك على ان تسير قدما فى تنمية ارادتك ، اذ تبلغ هذه المرحلة :

التدريب الاول : يتمثل فى الجدول ذى العمودين ، الذى ذكرناه من قبل ، والذى يمكنك من ان توازن بين محاسن وعيوب كل قرار توشك ان تتخذه . وتستطيع ان تبدأ التجربة فى المسائل البسيطة، ثم تتدرج رويدا الى ان تتعود اجراء هذه الموازنة فى ذهنك

التدريب الثاني : ارسم لمهامك اليومية جدولا ، واحرص دائما على ان تنفذه بدقة ، وبأكمله

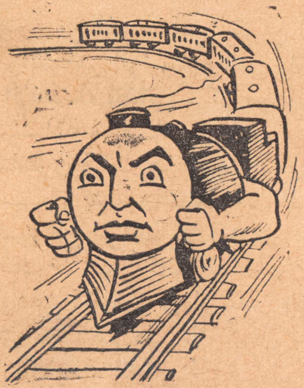
التدريب الثالث : احص كل يوم الاعمال التى نجحت فى تحقيق ارادتك فيها ، فان هذا يشجعك على المضى !

كلنا « اوفيد » .. شاعر الحب والغزل !

• **واذا** كان العقل هو الذى يقود «الارادة» ويعين لها الهدف، الا أن أعظم البواعث قيمة ، كثيرا ما تترك «الارادة » فى أوج تحمسها ، فلا تمضى الى درجة اغرائها على العمل .. وقديما — بل منذ عشرين قرنا ، اذا شئت الدقة — اعترف شاعر من أعظم الشعراء اللاتينيين ، هو « اوفيد » ، بأنه كان يصبو الى اجمل الغوانى ، ولكنه كان يفتقد الجرأة على النضال فى سبيل الوصول الى غاياته منهن !

وكلنا « اوفيد » فى بعض الاوقات . فكم من مرة اخفق كل منا فى واجبه ؟ .. وهذا الاخفاق لايكون منبعثا عن نقص فى الذكاء ، فى كثير من الاحوال ، اذ ان العقل قد يرشدنا بوضوح الى ما ينبغى عمله ، فيروح وعينا يحثنا على الاقدام على هذا العمل .. وتدور معركة فى اعماقنا : **فان الواجب يدعونا، ولكن طبيعتنا المتكاسلة تعارض ضد أى شىء يكبدنا جهدا ، وكثيرا ما تفوز فى معارضتها . ومن ثم تخفق عزيمتنا اذا لم تكن لدينا الوسائل النفسية التى تحفزها على الاقدام والعمل !**

ولقد مثلنا الارادة بقاطرة حديدية ، وقلنا ان وضعها على القضبان التى تمتد الى مقصدها ، لايكفى لوصولها الى هذا المقصد ، بل لابد من طاقة بخارية معينة لتحريكها ، ولا بد من ابقاء ضغط البخار عند درجة معينة لكى تظل سائرة .. **والشعور هو الطاقة التى تحرك ارادتنا وتدفعها الى السير ! فان الارادة قوة عاطفية ، تنتج اقصى ما فى وسعها انتاجه ، بدفع التحمس . وكلما وفقت فى تحريكها بأشد الرغبات الحاحا ودأبا،**



ازداد ما تستطيع ان تنــالـه **منها !**

والعواطف المتأججة مصدر من مصادر الطاقة والنشاط ، التى تفوق قيمتها كل تقدير ، والتى يتعذر بدونها تحقيق أى عمل جليـل ، وان كان لابد من السيطرة عليها وتوجيههـا . . واكبر مثال على ذلك هم الجنود ، الذين يخضعون لنظام شديد ، ولكنهم - عندما يجد الجد - يندفعون الى غاياتهم فى غير خوف ، وفى غير اشفاق من الصعاب والمشاق . . انهم يندفعون تحت ضغط حماس جارف ، وبوازع من ثقة واعجاب بقادتهم . . اى بحكم عواطف متأججة فى صدورهم !

الشهرة والحب من الدوافع المحركة للارادة

• **وقد** يقال ان العواطف المتأججة ، ليست فى متناول كل انسان ، ولكن العكس هو الأصح ، اذ ان فى وسعك ان تنمى هذه المشاعر بالتأمل وبالايحاء الذاتى

ولقد درج الناس على ان يضحكوا من تأملات المتدينين والفلاسفة ، مع ان هذا الاستغراق فى التفكير والتدبير ، ذو أثر عظيم . **اذ ان الأفكار والآراء توقظ الرغبـة ، وتشحذ المشاعر الانسانية ، ثم تحرك التحمس . . وقديما قيل ان القوى الكامنة فى بعض الآراء ، قد تكون أعتى من اطنان الديناميت ! . .** ومن ثم فخليق بالمرء ان يعود نفسه على تركيز تفكيره على الافكار التي تؤدى الي ايقاظ المشاعر المتحمسة ، فان هذه

المقدرة من أهم عناصر تكوين الشخصية

والمشاعر الرئيسية التى تدفع الارادة الى العمل هى :

الايحاء الذاتى : كم من رجال من المشتغلين بالتجارة أو الصناعة ، يقاسون الأمرين فى الحياة ، ولكنهم مع ذلك يحتفظون فى نهارهم بوجه بشوش، ويتناسون همومهم ومتاعبهم فى سبيل كسب العملاء !.. فاذا خلوا الى انفسهم فى الليل، لم يركنوا الى الراحة الا بعد ان ينسقوا حساباتهم ، ويستعرضوا موقفهم . فهل كانوا يصمدون على هذا اللون من الحياة لو ان جهودهم أخفقت فى ان تدر عليهم أموالا ؟ . أليس الأمل هو الذى يحفزهم على الاحتمال والمضى ؟.. وما الأمل الا لون من ألوان الايحاء الذاتى !

الشهرة : والشهرة ــ او **الكبرياء** بل و **الغرور** أحيانا ــ من القوى الدافعة للارادة . ومما يروى عن قائد فرنسى ــ كان ذا شهرة فى عصره ــ انه اعتاد ان يقول: « اننى لا احجم عن القفز بجوادى من قباب كاتدرائية نوتردام ، لكى اجتذب انتباه الجمهور » !.. ولدينا كثير من الأمثلة التى نشاهدها يوميا،فى حياتنا العامة . . فكم من شخص يتجشم العناء ، أو ينفق فى سخاء ، لكى يرى اسمه منشورا فى الصحف !.. وكم من اغنياء يجودون بأموالهم لجمعيات البر والاحسان ، فى سبيل ان تنشر اسماؤهم !

ومما يروى ــ فى هذا الصدد ــ ان ناشرا امريكيا ، وجد عناء فى تصريف كتاب كان ذا قيمة حقيقية . ثم نصحه خبير فى الاعلان ، بأن يذيع بأن لمشترى كل نسخة الحق فى ان يطبع اسمه بحروف مذهبة على غلاف النسخة التى اشتراها ، فما لبثت ان ارتفعت نسبة المبيعات من الكتاب بسرعة فائقة ! ..
وهذا المثال وحده ، كفيل بأن يبين مدى تأثر الارادة بالزهو وحب المظاهر !

الحب : والحب ــ بجميع أنواعه ــ أقوى من الموت ، على

ماورد فى الكتاب المقدس . فهو وان كان مبعث تهور ، فى بعض الأحيان ، الا انه مبعث أنبل العواطف والحوافز ، فى كثير من الاحيان .. فالمحب لا يضن بأية تضحية فى سبيل هدف عواطفه

الشعور الانسانى : والرغبة فى تحسين حال الطبقات الفقيرة، وفى تدعيم المجتمع وعلاج مشكلاته من اسمى المشاعر التى تثير الحماس لدى ذوى النفوس السامية ، فترقى بارادتهم الى فوق مستوى البشر !

استغل عواطفك فى تحفيز ارادتك

• **وخليق** بالشخص الذى ينشد النجاح فى الحياة ، ان يستثمر ما لديه من هذه المشاعر، وان يختار من بينها مايعرف ـ على ضوء تجاربه ـ ان لها تأثيرا كبيرا عليه ، فينميها فى عناية ، ويصقلها ، ويوجهها نحو الغايات السامية . وبهذه الوسيلة يستطيع ان يمد نفسه بطاقة تحمسية كافية لأن تجعله لايشعر بعبء المجهود الذى يتطلبه تحقيق غايته ، وتنفيذ ارادته

ولتقريب هذه الحقيقة الى الذهن ، نضرب مثلا بكاتب تخصص فى الدراسات الادبية والتاريخية، يعتزم ان يضع كتابا عن تاريخ الأدب القصصى وأصوله . فهو يجمع اكبر عدد من المصادر والحقائق ، ويعد لموضوعه أكمل اعداد ، ثم يشرع فى العمل ، فلا يلبث ان يجد نفسه يكتب فى بطء وتكاسل ، لانه يؤثر لذة القراءة ، على الجهد الذى يتطلبه التأليف والكتابة ..

فأية مشاعر تؤثر على هذا الشخص لتحفيز ارادته ؟

بوسعه ان يقول لنفسه : « اننى ولله الحمد كاتب معروف ، وسوف يجد كتابى رواجا ، فيزداد دخلى » .. **وهو بهذا يستغل الايحاء الذاتى كحافز !**

* * *

وبوسعه ان يقول لنفسه : « اننى اتوقع من وراء هذا الكتاب

نجاحا يضاعف من شهرتى، اذ ان ظهوره سيدعو الكتاب والنقاد الى تناوله ، وسيتردد اسمى مقرونا بالتقدير » .. **وهو بهذا يستغل الشعور بالزهو والخيلاء والتفاخر !**

ويستطيع كذلك ان يقول : « ان حقوق التأليف ستدر على من المــال ما يكفى لأن أوسع على اولادى ، وأن اكرم زوجتى وارضيها ، وان اضاعف من اسباب الرفاهيـة للاسرة ! » .. **وهو بهذا يستغل الحب كحافز للارادة !**

ثم ان له ان يقول : « لسوف ينطوى كتابى على آراء انسانية كفيلة بأن تنبـه الاذهان الى مشكلات اجتماعية يساعد حلهـا على ترقية المجتمع » .. **وهو بهذا يستغل الحافز الانسانى فى دفع ارادته !**

الخيال يولد القوة الدافعة للارادة

• **ومن** الوسائل التى تساعدك فى هذا المضمار ، ان تستغل خيالك ! .. فتتصور نفسك فى المركز الذى تصبو الى بلوغه ، وتروح تستعرض ماسوف تنعم به فى هذا المركز من فوائد ومن كسب ادبى ومعنوى ومادى . ومثل هذا التصور لايلبث ان يوقد جذوة شوقك الى بلوغ المركز المنشود ، فاذا الشوق المتقد يولد طاقة دافعة لارادتك وعزيمتك !

ولو انك حرصت اثناء سيرك الى عملك ــ فى الصباح ــ وأثناء اخلادك الى الراحة ــ فى المساء ــ على ان تستذكر الاهــداف والغايات التى ارتضيتها لارادتك ، ثم تستعين بالتصور والخيال على ان تذكر فى نفسك الرغبة فى بلوغها ! .. **واذا شـعرت خلال العمل بأى تراخ فى عزيمتك ، فاستعرض ما رسمته فى خيالك من صور المستقبل الذى تكفله لك هذه الغايات ، فان مجرد الرؤى لن تلبث ان تمد عزيمتك بالوقود !**

ذلك لأن من طبيعة المشاعر انها متقلبة متحولة . فالمشاعر التى تحفز ارادتك ــ فى فترة معينة ــ على بلوغ هـدف معين،

قد تتغير نتيجة لبعض الظروف ، اما الى زيادة ـ اذ تغدو ذات ضغط قوى ، قد يدفع صاحبها الى النزق او التهور ـ واما الى نقص ، فاذا بهمته تثبط ، وعزيمته تخور ، ويغدو ميالا الى التقاعس والانحراف عن غايته

لذلك يجدر بك ان تتوقع احوالا تساورك فيها مشاعر تكون بمثابة « فرامل » توقف تقدمك نحو الغاية التى تنشدها. ومثل هذه المشاعر نسميها « محولات » ، لأنها تحولنا عن غايتنا . وهى من اخطر المشاعر ، لأنها غالبا ما تكون ذات اتصالات خفية فى اعماق نفوسنا ، ولأنها تجد فى الميول الخبيثة والشريرة حلفاء طبيعيين لها .. **فحب اللهو والغرور والكسل ، كلها من العوامل التى تحول جهودنا عن الغاية المرتجاة ، وتضطرنا الى فقدان السيطرة على نفوسنا ، ولا تلبث ان تجتث كل أصل الارادة لدينا**

لذلك كان من أوجب الواجبات علينا ، ان نصارع هذه المشاعر !

على ان هذه المشاعر يجب ألا تكون باعث قلق لك ، فانها لا تحتاج الى اكثر من حدة ذكاء ، ومن ثم فان خير اسلحة لقهرها هى : التفكير ، والتخيل ، والايحاء الذاتى !

ويحسن عندما تراودك هذه المشاعر ان تعنى بفحصها وتحليلها ومحاولة الوصول الى اصولها وبواعثها واتجاهاتها .. ثم تصور لنفسك ما قد تقودك اليه ، اذا انت انسقت لها ! .. **انها توهن نسيجك المعنوى والادبى ، وتسوقك الى الخمول ، وتغريك بأخس الغرائز الانسانية . ومن ثم يجدر بك ان تبين لنفسك مدى ضرر هذه « المشاعر المحولة » .**

ويكفى لبيان ذلك ان نسوق مثال الطالب الذى يخلو الى نفسه ـ فى حجرته ـ ليستذكر دروسه قبيل الامتحان ، فلا تلبث حرارة الجو ان توحى اليه بالخمول والنعاس والتغافل عن الاستذكار ، رغم ان الاستذكار واجب ووسيلة لمصلحته

الخاصة ! .. ان النتيجة التى ينتهى اليها هذا الطالب ، فى غير حاجة الى بيان ، ولكن بوسعه ان يتفاداها ، لو انه صور لنفسه فرحة النجاح ، والزهو بالظفر ، ومتعة قضاء العطلة الصيفية فى لهو ومرح .. ثم صور لنفسه ذلة الرسوب ، وخزى الفشل ، والحرمان من مباهج العطلة .. لو صور لنفسه هذا وذاك ، لوجد القوة الكافية على ان يقهر الميل الى الراحة والخمول ، **وبهذا يكون قد اتخذ اولى واشق الخطوات الاقبال على العمل** .. ويكون قد تذرع فى سبيل ذلك بالايحاء الذاتى والتصور !

كيف تروض المشاعر المحولة

• **وعلى** ضوء هذا المثال ، نستطيع ان نتبين مدى أهمية مكافحة المشاعر المحولة ، التى تزحزح ارادة المرء عن الغاية التى ينشدها .. ومما يروى – فى هذا الصدد – ان رساما اغريقيا رسم يوما حصانا يتمرغ على الارض ، وقد رفع سيقانه الاربع .. وجاءت اللوحة تحفة فنية رائعة ، من الناحية الفنية ، ولكن الذين رأوها من غير رجال الفن ، حاروا فى فهم معناها . فتركهم الرسام يعلقون عليها فترة ، وهو يبتسم ، ثم قلب الصورة فى هدوء – بحيث جعل عاليها سافلها – وقال : « والآن .. ها هو ذا الحصان يركض ! »

وهذا درس رائع فى علم النفس . ذلك لأن مشاعرنا وعواطفنا أشبه بالريح ، قد تبدد « التبن » الذى جمعه المزارع بعد عناء وجهد ، وقد تنفخ اشرعة المراكب فتدفعها الى مرفأ الامان ! .. **أى ان المشاعر والعواطف قوى يمكن ان تخدم غايتين – هما الخير والشر – ومن ثم فعلينا ان نستغلها فى حرص وادراك ! .. وبالتالى ، كل شعور محول ، قابل لأن ينقلب الى قوة دافعة نحو الغاية ، اذا استطعنا ان نغير اتجاهه !**

ان حب اللهو والمتعة قد يكون من المشاعر المحولة ، ولكنا لو استطعنا ان نجعل عملنا مصدر سرور واستمتاع ، لأصبح

هذا الشعور من المشاعر المحفزة .. أى من الدوافع المسيرة للارادة .. وعلى هذا القياس ، يمكن ان نعالج كل المشاعر التى قد تعترض اتجاه ارادتنا فتحيد بها عن غايتنا !

مران يومى للارادة

• **ونعود** مرة اخرى الى تشبيه الارادة بالقاطرة الكهربائية ، فليس يكفى ـ عادة ـ ان توجه القاطرة الى الخط الذى يوصلها الى مقصدها ، وان يرفع ضغط البخار فى داخلها ، لكى تصل الى هذا المقصد .. بل لابد لها من ان تدفع الى الحركة ! . **وكذلك الحال بالنسبة للارادة ، فلا بد للمرء من ان يوجهها ، ومن ان يسلط عليها قوة التحمس ، ثم يدفعها الى العمل . وهذه النقطة الأخيرة ، هى أهم النقاط ، اذ يتوقف عليها تنفيذ الأمور التى انعقد عليها العزم !**

وهذا يتطلب جهدا .. والجهد يتطلب قوة معنوية.. والقوة المعنوية كالقوة العضلية ، تنمى بالمران والتدريب . ففى وسعك ان تنمى قواك المعنوية ـ وبالتالى ، ان تعزز ارادتك وتوطدها ـ بالمران المنظم .. وبالتدرج . والفقرات التالية ترشدك الى خير اساليب المران :

١ ـ عين لنفسك ـ يوميا ـ بعض اعمال ارادية : على ان تكون هذه الاعمال مما يتطلب جهدا حقيقيا من ناحيتك ، حتى يكون لها اثر فى تقوية شخصيتك . بيد انك لايجب ان تتجاوز نطاق طاقتك الراهنة من الجهد ، اذا شئت ان يكون المران مثمرا .. وانما ابدأ بأعمال تتطلب جهودا فى نطاق امكانياتك ، ثم تدرج ـ فى الايام التالية ـ الى اعمال تتطلب زيادة الجهود باطراد .. وواظب على هذا التمرين بامانة وصدق عزيمة .

عين لنفسك مهمتين أو ثلاثا فى كل يوم ، واعمل على تنفيذها فى اليوم ذاته ، دون تهاون ! .. ثم زد من عدد ، ومن صعوبة هذه الأعمال الارادية ، يوما بعد يوم ، لتروض ارادتك على

النمو رويدا .. تماما كما يفعل الرياضى الذى يتدرب على حمل الاثقال ، اذ يبدأ برفع ثقل معقول ، ثم يزيد من هذا الثقل يوما بعد يوم ، حتى يصل الى رقم قياسى

٢ ـ ليكن تدريب الارادة نوعا من الرياضة ومصدرا للسعادة: ذلك لأن الرياضة تنطوى على المنافسة ، وعلى الروح السهلة المتسامحة ، التى تتقبل الفشل ، لا لتتخذ منه غداء لليأس ، وانما لتحيله الى تجربة وخبرة للوصول الى النجاح .. وكلما أحرزت نجاحا ـ فى ترويض ارادتك ـ وجب أن تطمع فى مزيد !

ويؤكد لنا علماء النفس ان السرور والسعادة انما ينبعان من النشاط والحركة ، على شريطة ان يكونا فى حدود المعقول ، بحيث لايؤديان الى ارهاق .. ومن ثم فخليق بنشاط الارادة ان يبعث فى نفوسنا سرورا ، اذ يوحى الينا بالشعور بالقوة ، وبالرقى المعنوى !

يجب ان تبدأ الآن !

◆ **والآن ..** اعتقد انك قد عرفت كيف تستغل هذه الاداة العجيبة التى اودعتها الطبيعة نفسك ، وان لم تفطن الى وجودها .. ومن ثم فلا عذر لك اذا انت اخفقت فى الافادة من اداة سحرية كهذه. ولتبدأ بشىء مما تعلمته فى سياق حديثنا .. **ابدأ بأن تقاوم التكاسل والتخاذل اللذين يحاولان ان يثنياك عن الشروع منذ اللحظة فى تنمية ارادتك !**

ابدأ الآن ، وكن واثقا من النجاح !

وبقى أن نقدم بعض ارشادات سريعة ، ترشدك فى سعيك الى النجاح :

اجعل لنفسك شخصية قوية جذابة : ليكن هذا هو هدفك الأول فى حملتك الى النجاح !.. فاختر لنفسك الشخصية التى تروقلك ، وتتمشى مع طموحك وآمالك.. الم تشعر يوما بأنك

تغبط عظيما من العظماء ، وتتمنى ان تكون مثله ؟.. ألم تحسد يوما نجما من النجوم الناجحة ، فى اى ميدان من ميادين الحياة، وترج ان تصل الى ما وصل اليه من نجاح ؟

كيف تبنى لنفسك الشخصية التى ترجوها !

• **ان** بوسعك ان تكون مثل اى من هؤلاء، بل انك تستطيع ان تبزهم وتتفوق عليهم . وهم لايبهرون بصرك ، ويستأثرون باعجابك ، الا لأنهم يمثلون امام عينيك صورا مما تصبو الى ان تصير اليه . لذلك يجدر بك اولا ان تدرس صفات كل منهم ، وميزاتهم ، والمواهب التى تعجب بها فيه . **ثم اختر من مجموع صفاتهم وميزاتهم ومواهبهم جميعـــا ، اسمى ما يروق لك ، واجعل منها خطوطا رئيسية فى صورة الشخصية التى تصبو الى ان تكونها !**

فاذا اخترت لنفسك شخصية الفرد الحازم ، الذى يقصد الى هدفه مباشرة ، دون ان يعبأ بأقوال الناس ، ودون ان تثنيه الانتقادات غير السليمة ودون ان تصده العواطف المرهفة او الصعاب، فلا بد لك من أن تتخذ المسلك الذى يوصلك الى ذلك .. بأن تعرض عن اظهار انفعالاتك ، وبأن تسيطر على مشاعرك، وبأن تقتصد فى الافضاء بدخيلة نفسك الى الغير ، وبأن تحرص على الايجاز فى القول ، مع الافصاح عن الهدف الذى تبتغيه من وراء هذا القول ، فى غير مبالغة ، وفى غير ان تبدو جافا نابيا !

هب انك تريد ان تصبح سياسيـــا ناجحـا ! . . ان اول ما ينبغى عليك ــ فى هذا الصدد ــ هو ان تشكل مسلكك بحيث يلائم هذا الدور . فعليك ان تثبت انك اوتيت صفاء الفكر ، وصحة الحكم على الأمور ، وسرعة البت فيما يعرض لك ، ولباقة وبشاشة تمكنانك من ان تصل الى غاياتك فى معاملاتك مع الناس .. وعليـك ان تروض نفسك على انك فى خـدمة الجمهور ، فلست ممتنا عليه ، ولست ــ من ناحية اخرى ــ

مستجديا لعطفه او جمائله دون مبرر

ولا شك ان تكوين الشخصية يتطلب وقتا طويلا ، فلا يثبطن طول الوقت من عزيمتك ، بل حاول ان تقطع فى كل يوم خطوة نحو غايتك !

اعرف عيوبك وحاربها !

• **والآن** ، لنتكلم بمزيد من الصراحة ، التى قد يكون فيها بعض الحرج او المضض .. ولكن رائدنا الأول هو مصلحتك ، فلا تدع الحرج او المضض يصدانك عن هذا الجزء من الحديث !

ان المرء لا يملك ان يكتسب اية عادات أو خلال جديدة ، اذا هو لم يتخلص مما قد يكون على النقيض منها من عاداته أو خلاله القديمة .. لذلك فان كل جهد يبذل لتنمية الارادة - كى تغدو قوية فى الخير والنفع - لن يثمر ما لم يتخلص من العادات الخاطئة ، أو السيئة التى قد تكون لديه !

لهذا فخليق بك ان تفحص نفسك فحصا دقيقا ، لتكتشف ما فيها من نقاط الضعف والعادات السيئة ، ثم فكر فى الاضرار التى ترتبت عليها ، والتى قد تترتب عليها فى المستقبل ، اذا انت لم تبادر الى علاجها .. وتدبر اى العيوب تحد من تقدمك نحو النجاح ، واستعرضها .. **ومن أسوأ العيوب اطلاقا : حدة الطباع ، والثقة بالغير فى غير موضعها ، وافشاء ما تؤتمن عليه من اسرار ، والسفه ، والغرور ، والأنانية ، والكسل ، والخلط بين الهزل والجد فى غير الوقت المناسب ، وعدم العناية بالملبس والمظهر - فى غير اسراف طبعا - وعدم العناية باختيار المأكل والمشرب**

وقد يبدو العيب الأخير مثيرا للتساؤل والدهشة ، ولكن من الحقائق التى لا مماراة فيها ، ان عدم العناية باختيار المأكل هى الطريق الى اختلال الصحة .. وهذا بدوره كفيل بأن يؤدى الى السقم والمرض والضعف ، وكلها من معوقات النجاح .

كذلك الشراب من شأنه ان يقود المدمن الى كل الدنايات والزلات ، وان يفسد صحة جسمه وعقله

لا بد من غاية كبرى فى الحياة !

• **من** هنا كان من الواجب ان تقضى اولا على عيوبك ، وان تمضى فى ذلك قدما .. وليكن كفاحك لعيوبك من التجارب الأولى لشحذ ارادتك !

والى جانب الغايات التى تحددها لنفسك فى مختلف نواحى حياتك ، يجب ان يكون لك غاية عامة فى الحياة . فاذا كنت على اعتاب النضج ، وجب ان يكون المستقبل الذى ترجوه لنفسك ، أو بالأحرى الحرفة أو المهنة التى تنشدها ، هى غايتك الكبرى ، وهى شاغلك الأول . **فليس يكفى ان تقول : « سأصبح طبيبا ! » ـ مثلا ـ لكى تصير طبيبا ، وانما يجب ان تستعرض يوميا مدى تقدمك نحو هذه الغاية ، ونوع العقبات التى قد تعترضك ، وطرق التغلب عليها .. ثم تشحذ ارادتك لكى تحقق هذا التغلب ازاء العقبات التى تكون فى طوق الانسان تذليلها !**

على انك ـ قبل هذا كله ـ يجب ان تسائل نفسك : « هل هذه الأمنية معقولة ؟ .. وهل لدى الاستعداد لكى أصبح طبيبا ؟ .. أو هل من الممكن ان اكتسب المؤهلات التى تساعدنى على ان أصير كذلك ؟ » .. وكلما كانت غايتك مناسبة لاستعدادك ومقدرتك وطاقتك على العمل ومؤهلاتك ، كان هذا أدعى الى تيسير النجاح . اما اذا تبينت ان الغاية فوق ماتستطيع ، وفوق ماقد تملك ان تصل اليه فى استعدادك لها ، فلا حرج هناك فى ان تعدل عنها الى غاية غيرها تكون اكثر مناسبة لك

والمهم فى الأمر ، هو ان اختيار غاية عامة ، سيدفعك الى السعى وراء غايات فرعية تتصل بها ! .. **وفى هذا مران لارادتك وتعزيز لقوتها . والى جانب هذا ، عليك بالبحث عن**

اشياء ـ خارج نطاق عملك ـ تستطيع ان توليها اهتمامك فى اوقات فراغك . فان اوقات الفراغ ـ لدى الانسان العادى ـ تكاد تصل الى ثلث مجموع اوقاته ، فاذا لم يحسن استغلالها فيما ينفعه ، استطاعت ان تستدرجه هى الى عادات سيئة ـ اهونها الكسل ـ مما يفسد عليه كفاحه نحو النجاح !

واخيرا ... ؟ !

• **بقيت** بضعة ارشادات سريعة ، نختتم بها موضوعنا ، ولعل فى مقدمتها جميعا : **حفز ارادتك على العمل دائما ! ..** ابتكر لها من الغايات ماتسلطها على تحقيقه ، حتى يصبح نشاط الارادة أمرا عاديا مألوفا لديك ، فان هذا ادعى الى تسهيل مهمتك اذا ما سعيت الى غايات كبيرة ، عسيرة !

واجعل زمام ارادتك فى قبضتك دائما ، حتى لا تجنح الى التهور ، او تركن الى الخمول ، فكلا الحالين يعرقل سعيك الى النجاح !

واذكر دائما ان تنمية ارادتك ، يجديك منافع لا سبيل الى تقدير قيمتها .. وفى مقدمة هذه المنافع : **النجاح والسعادة !**

الانسان ورث الخيانة الزوجية عن أصوله الحيوانية

• ترى ما السر فى الخيانة الزوجية ؟.. ان الزوج قد يحب زوجته، وقد يكون سعيدا معها، ولكن حبه وسعادته لا يمنعانه من أن يخونها مع أنثى .. والزوجة قد ترتاح الى زوجها، وقد لا تجد عيبا يحط من قيمته فى نظرها، ومع ذلك فانها قد تخونه مع رجل سواه .. فما السبب ؟

هذا هو الموضوع الذى يتناوله العالم الأمريكى « الفريد كينزى » وزملاؤه، فى هذه الحلقة من أول بحث علمى شامل، يتناول « السلوك الجنسى لدى البشر » .. ولسوف تجد فى هذه الحلقة من المعلومات مايضع أصابعك على مصدر العلة، وما يبين لك - بالدراسات المقارنة التى تدور حول مجتمعات الحيوانات الشبيهة بالانسان - أصول الخيانة الزوجية .. وبقى على العلماء المعنيين أن يفيدوا من هذه الدراسة، فى علاج أخطر علة تهدد نظام الزواج فى جميع المجتمعات البشرية !

الحب .. بين القيود والاباحة !

• **لا مراء** فى ان ثمة اتجاها متزايدا - فى ايامنا هذه - الى الاعتراف بقيمة العلاقات الجنسية فى الزواج، باعتبار انها قد تكون عاملا أخلاقيا هاما، اذا استطاعت ان تساهم فى الترفيه العاطفى للزوجين .. بيد ان هذا لم يحل دون ان تفرض الأديان بعض قيود على الجماع الزوجى، كتحريمه فى الأيام الأربعين التى تسبق عيد الفصح، وفى الايام الاربعين التى تلى عيد الميلاد، لدى المسيحيين .. وكتحريمه خلال فترة الحيض الشهرى، لدى المسلمين واليهود بوجه خاص. بل ان اليهودية والاسلام تفرض قيودا شديدة فى هذا الصدد، فهى تحرم على الزوجين مباشرة الشعائر الدينية - عقب الجماع - ما لم يغتسلا ويتطهرا

ومن ناحية اخرى ، نرى ان كثيرا من الطوائف الدينية أطنبت فى وصف ما للعلاقات الجنسية من جمال وطبيعة قدسية .. ومن ثم نرى ان كتب الحب كانت مقدسة لدى الهنود قديما ولدى الاثينيين وبعض العشائر الرومانية ، فى العصور القديمة !

الجنس بين الزوجين .. فى الدين والقانون

• عنيت الديانتان اليهودية والمسيحيةببيان التزام الزوجة ــ والتزام الزوج بدرجة اقل ــ بممارسة الجماع مع الزوج الشرعى ، وجعلتا من الأسباب المبررة لفصم عرى الزواج ، العجز البدنى لأحد الزوجين عن المساهمة مع زوجه فى هذا اللون من النشاط ، أو رفض ممارسته . وقد كانت الفرصة الوحيدة التى تتيح للزوجة الأوربية التحلل من زواجها ــ فى القرون الوسطى وعصر النهضة ــ هى ان تثبت ان زوجها عجز عن ممارسة العملية الجنسية معها منذ الزفاف !

ولقد كان من الواجب المحتوم على الزوجة ــ وفقا للعرف القديم ــ ان تستجيب لزوجها اذا اراد ممارسة النشاط الجنسى معها . **ولكن الزوجة لم تلبث ــ على مر القرون ــ ان اكتسبت حق الانصاف الدينى والقانونى ، اذا ابى زوجها ان يضاجعها . ولقد ظل مثل هذا الرفض من احد الزوجين ــ فى القانونين الانجليزى والأمريكى ــ يؤول على انه هجر أو قسوة ، ومن ثم فهو مبرر للطلاق . ولا يزال رفض احد الزوجين يعتبر فى الكنيسة الكاثوليكية خطيئة !**

وينعكس على الاتجاه التقليدى للقوانين الانجليزية والأمريكية ، الوضع القديم الذى كان يلزم الزوجة بان تخضع للزوج فى هذا الصدد ، ويبيح للزوج ان ينال مأربه ولو بالقوة والعنف . ولا يزال قانون العقوبات الامريكى يعتبر عدوان الزوج على الزوجة فى سبيل هذه الغاية ، من الاعمال التى لاتعتبر اغتصابا ،

مهما يكن عددالمرات التى يتكرر فيها الجماع، ومهما تكن **قسوة** العنف الذى يستعمله ! .. ولقد كان عدد مرات الجماع بين الزوجين موضوع اجتهاد بين القضاة الامريكيين فى قضايا الطلاق ، وكاد الاجماع ان ينعقد على ان المضاجعة اليومية قسوة تصلح لتبرير الطلاق ! .. وهذه ناحيةمن نواحى النقص فى القانون ، اذ ان هذا المعدل يكاد يكون شائعا بين نسبة لابأس بها من سكان الولايات الامريكية

القانون يحدد العلاقة بين الزوجين !

• ومن الأمور التى لا يفطن اليها الناس ، فى كثير من الاحيان ، ان أساليب العلاقة الجنسية بين الزوجين، والاوضاع التى يمارسانها بها ، تخضع ـ فى بعض الأحوال ـ للقيود القانونية التى تخضع لها نفس الأساليب والأوضاع بين أى أثنين غير متزوجين . ولا تزال بعض التشريعات تعتبر الشذوذ عن الوضع المألوف ، لونا من الذنوب التى يقضى فيها بنفس العقوبات التى يقضى بها فى حالات الاختطاف أو الاغتصاب .. ولدينا حالات خاصة بأشخاص سجنوا لأنهم حاولوا الأتصال بزوجاتهم ، بالأسلوب المتبع فى حالة الاتصال بين شخصين من جنس واحد ! .. وفى كثير من الولايات ، يسمح للزوجة ـ اذا اشتكت ـ بالطلاق ، على اساس « الكرامة الشخصية » ، او القسوة التى تسبب آلاما نفسية » !

وليس من الجائز ان يقال ان « ذروة اللذة » ، هى العامل الحاسم فى تحقيق الارضاء للزوجة ، ذلك لأن كثيرا من الزوجات يجدن الارضاء الكافى فى ان يتبين ان ازواجهن قد استمتعوا بهذا الاتصال الجنسى ، ولو لم يستمتعن هن ببلوغ اللذة القصوى!

ومع ذلك فان البيانات التى لدينا ، تعزز ما اعتاد كثير من الأطباء ـ المعنيين بالعلاقات الزوجية ـ ان يقولوه ، عن ان دأب الانثى على الاخفاق فى بلوغ « ذروة اللذة » فى العلاقات

الجنسية بين الزوجين ، او كثرة مرات عجزها عن التجاوب الجنسى ، قد يضر بالزواج ابلغ الضرر ! .. ذلك لأن الاخفاق والعجز لا يلبثان ان يولدا فى نفسها شعورا بالنقص ، مما يهبط باحتمالات شعورها بالرضى ، ومقدرتها على الارضاء بالنسبة لزوجها .

ولقد اشتهر اخفاق الزوجة فى التهيج او بلوغ ذروة اللذة ، باسم « البرود الجنسى » . وهو اصطلاح غير دقيق ، اذ يوحى بعدم رغبة الزوجة او بعجزها فعلا عن اداء الوظيفة الجنسية ، وهذا غير صحيح فى معظم الظروف

البرود الجنسى ينشأ عن الموانع النفسية

• **ولسنا** نجد فى البيانات التى جمعناها ــ فى دراستنا هذه ــ دليلا على ان الانثى تظل غير قادرة على التجاوب ، اذا قدر لها ان تتخلص من الموانع التى تكون وليدة التربية والعرف والمعتقدات . بل ان من البيانات ما يوضح ان نساء ، تزوجت كل منهن رجلا واحدا ظلت تعاشره أمدا طويلا ــ بلغ فى بعض الحالات ثمانية وعشرين عاما ــ قبل ان تصل الى ذروة اللذة مرة واحدة . كما ان لدينا بيانات عن نساء تزوجت الواحدة منهن وطلقت مرتين أو ثلاثا أو اربعا ، قبل ان تستقر فى زواج استطاعت فيه ان تصل الى ذروة اللذة فى علاقاتها الجنسية بزوجها .

وفى هذا الدليل الكافى على ان ما يوصف بأنه « البرود الجنسى » ، لم يكن نقصا أساسيا لديهن .. مما يعزز القول بأن كثيرا من الزوجات العاجزات عن التجاوب انما يحتجن الى علاج للتغلب على الموانع النفسية ، وعلى مخلفات التربية والعرف والمعتقدات ، فيما يتعلق بالجنس !

وفى كل زواج ، لابد من مسئوليات قانونية واجتماعية ، ولابد من مشكلات اقتصادية تتطلب حلا . على أن هناك ـــ

قبل كل هذا — تعديلا وتوافقا وتكيفا نفسيا بين الزوجين !.. **والتوافق الجنسى ناحية من نواحى هذا التوافق النفسى ، ولكنه ليس أهم النواحى فى الزواج دائما .. فى نظر المسئولين والمعنيين بالموضوع.** فليس ثمة برنامج متوازن مخصص لاعداد الشباب الأمريكى للعلاقات الجنسية فى الزواج . ولكن من الأمور التى لا سبيل الى ادراكها ، ان كثيرا ممن يعنون بالنجاح الايجابى والعملى فى الزواج ، يفضلون قيمة الجماع فى الحياة الزوجية، أو يتجاهلون علاقته بألوان النشاط الجنسى قبل الزواج !

الذكور اكثر ميلا للخيانة الزوجية

• **وننتقل** الآن ، الى لون آخر من ألوان النشاط الجنسى لدى الاناث . . ذلك هو الجماع بين الانثى المتزوجة وغير زوجها !

ومن الأمور الشائعة، ان كثيرا من الذكور لايقنعون بالعلاقات الجنسية مع زوجاتهم ، بل يميلون الى ان ينشئوا علاقات — ولو بين وقت وآخر — مع اناث لايربطهم بهن زواج . **ومع ان من المعروف بوجه عام ، ان بعض الاناث يشبهن فى ذلك الرجال، الا ان الرأى العام أقل يقينا بذلك ، منه بنشاط الذكور فى هذا المجال .**

ومعظم الذكور يستطيعون أن يدركوا السر فى أن كثيرا من بنى جنسهم يميلون الى الاتصال بغير زوجاتهم . ومع ان كثيرا منهم يحجمون عن ممارسة مثل هذا النشاط ، لأنهم لايرونه مقبولا من الناحيتين الخلقية والاجتماعية ، الا اننا نجد ان الذكور عامة ، حتى الذين يرعوون منهم عن الاتصال بغير زوجاتهم ، يرون عادة ان التنويع فى الاتصال الجنسى ، وفى الشريكات اللاتى يمارسن معهم هذا الاتصال ، من الأمور التى تنزع اليها نفوس الذكور .. ومن ناحية أخرى ، نجد ان كثيرا من الاناث يجدن مشقة فى ان يفهمن السر فى ان أى رجل سعيد

فى زواجه، ينزع الى ان يمارس الجماع معأية انثى غير زوجته. ومن ثم فان وجود اناث يعجبن من ذلك ،دليل فى حد ذاته على ان ثمة فوارق جوهرية بين الجنسين !

النظم الاجتماعية اخفقت فى علاج الخيانة الزوجية

• **ونكرر** هنا ما ذكرناه فى بحثنا عن «السلوك الجنسى لدى الذكور » ، من ان ازدحام الأدب العالمى ــ الواقعى والخيالى ــ خلال كل العصور ، وفى كل الثقافات ، بالصلات الجنسية بين الأزواج وغير زوجاتهم ، وبين الزوجات وغير أزواجهن ، دليل على ان الرغبات التى من هذا النوع شائعة بين البشر، وعلى ان النظم الاجتماعية ــ فى جميع مجتمعات البشر ــ قد أخفقت حتى اليوم فى علاج المشكلات الجوهرية التى تنطوى عليها هذه الظاهرة

ولعل ما سجلناه من بيانات الامريكيات ــ فى العينات التى درسناها ــ وفحصنا لنتائج تجاربهن، قد يساهم فى فهم طبيعة وضخامة المشكلة. كما ان دراسة مثل هذه الظاهرة بين الحيوانات الثديية ، ودراسة ما سرى عبر القرون الى الانسان من القدم، توضح شيئا من اصول الصراع بين الشهوات الشخصية للفرد، والنظم الاجتماعية التى تحكم تصرفات هذا الفرد !

ولما كان لا وجود للعلاقات الجنسية بين ازواج وغير زوجاتهم ــ أو زوجات وغير أزواجهن ــ الا حيث يكون للزواج وجود ، لذلك فمن المؤكد ان ليس لمثل هذا اللون من النشاط اثر فى المجتمعات القديمة ، التى لم يكن فيها وجود للنظام الاجتماعى الذى عرفناه باسم الزواج .. وان كانت ثمة ألوان مشابهة من النشاط الجنسى ، أينما وجدت فصائل حيوانية اعتادت أن تنشىء روابط جنسية تدوم فصلا واحدا ــ على الأقل ــ من فصول التوالد .

أنانية الذكور وانصياع الاناث

• **ومثل** هذه الروابط مألوفة بالفعل بين كثير من الفصائل الثديية .. بين سباع البحر ، وبين الفيلة ، وبين انواع من الكلاب ، وبين الجياد .. وغير هذه الانواع التى عرف عنها انها تعيش فى جماعات تتألف من كثير من الاناث وقليل من الذكور ، وتخضع كل جماعة منها لذكر واحد . **فان هذا الذكر المسيطر ، يزعم لنفسه الحق فى الاستئثار بالعلاقات الجنسية مع جميع اناث القطيع ، ويحرص على ان يمنع أى ذكر غيره من ان يقربهن ، ولو أشبع حاجته الجنسية اشباعا تاما . فهو يرى ان الاناث ملك خاص له ، ويعتمد على قوته وشراسته فى الذود عن هذه الاناث !**

وعلى هذا الغرار ، نجد ان الذكور — فى كثير من الانواع الحيوانية — يفرضون لأنفسهم مثل هذا الحق على الاناث التى تعيش فى بقعة معينة من الارض !

مكرهن شديد .. حتى لدى الحيوان !

• **والاناث** كالذكور ، فى هذه المجتمعات الحيوانية ، على استعداد لأن يتقبلن الجماع من ذكور غير الذكور التى تحتكر لأنفسها حق مباشرتهن . . ولا يصدهن عن الاقدام ، سوى تدخل هذه الذكور صاحبة الاحتكار . ومن الطريف اننا نجد لدى بعض انواع القرود ، ظواهر كتلك التى نجدها لدى البشر فى هذا المجال . فان الاناث اذا وجدن ذكورهن قد اكتشفوهن وهن يمارسن الجماع — أو يوشكن — مع ذكور آخرين ، ينقلبن على هؤلاء الاخيرين ، ويهاجمنهم . **ولقد وجدنا فى قصص ((الاغتصاب)) التى ادلت الينا بها عيناتنا — فى هذا البحث — تصرفا شبيها بهذا .. على ان الحوافز — فى حالة الحيوانات — ترجع الى رغبة الاناث فى تحويل غضب ذكورهن ، فهن يساعدنهم على طرد الذكور الدخلاء ، حتى اذا تم ذلك ، قدمن أنفسهن**

لهم للمضاجعة ، اظهارا لابقائهن على الوفاء !!

وهناك تقارير ثابتة عن ان بعض الاناث الحيوانية تأبى على غيرها من اناث نوعها ، ان تمارس الاتصال الجنسى بذكورها ، ولكن هـذه الظاهرة ليست قاعدة عامة . والذكور لدى هـذه الحيوانات الثديية ـ كالذكور لدى البشر ـ هم الجنس الاكثر انفعالا ، والاكثر عنفا ، اذا ما اكتشفوا ان قريناتهم على علاقات جنسية بغيرهم . ومع ان التقاليد الثقافية حكم على تصرف الذكر الانسانى فى مثل هذه الظروف ، الا انغيرته وثيقة الشبه بغيرة ذكور بعض الانواع الأدنى منـه مقاما ، بين الحيوانات الثديية ، مما يوحى بأن غيرة الانسان ليست سوى ميراث آل اليه من أصوله الحيوانية !

الملل هو منبع الخيانة الزوجية

• ومن المشاهد بين معظم الانواع الثديـيـة ، ان الاستجابة الجنسية تميل الى ان تكون قوية عندما يلتقى الحيوان بقرين جديد ، او عندما يمارس العلاقة الجنسية فىظروف لم يسبق له ان مارسها فيها . كما ان كثيرا من الأنواع يتطرق اليها الملل من العلاقة الجنسية ، اذا طالت ممارستها مع شريك واحد . ومن ثم فان العثور على شريك جديد ، لايلبث ان يجدد الميول الجنسية. وقد لوحظ بين القرود، ان اى ذكر وانثى يحبسان معا فى قفص واحد ، لزمن طويل ، لايلبثان ان يفقـدا نشاطهما الجنسى رويدا ، فلا يصبحان سريعى التهيج، بل يحتاجان الى غزل ومعابثة طويلين ، قبل ان يقدما على الاتصال الجنسى !.. اما اذا وضعا معزملاء جدد من الجنسين، فانالنشاط الجنسى سرعان مايعود الى حدته من جديد .

ومن ثم نرى ان الملل النفسى هـو ـ ولا بد ـ المنبع الاول لصعوبة قصر العلاقات الجنسية لدى المتزوجين ـ حتى لدى البشر ـ على زوجاتهم او ازواجهن !

التاريخ الجنسى لذكور الحيوانات الثديية

• **ومن** ناحية اخرى ، نجد لدى الحيوانات الثديـيـة التى تمتاز بصلات جنسية قريبـة من الزواج ، ان الجمـاع خارج نطاق الزوجية يؤلف جزءا من نظام حياتها . فالتاريخ الجنسى للذكر من هـذه الأنواع ـ كسبع البحر والفيـل وبعض انواع القرود ـ يتألف من ثلاث مراحل :

فالمرحلة الأولى هى مرحلة المراهقة والفتوة : وفيهـا يكون الذكر أعزب ، لأنه لايكون بعـد من السلطان والقـوة ، بحيث يستطيع ان يستأثر بأنثى يصد عنها غيره من الذكور . ومن ثم فانه **يتصـيد اية انثى لاتكون مرتبطة بسـواه ، ممن تلقى بهن المصادفة فى طريقه ، أو انه يتربص لاناث الجمـاعة التى ينتمى اليها ـ بمـا فى ذلك اسرته المبـاشرة ـ فيجامع من يستطيع الوصول اليها ، مهما تكن صلتها به .. اى ولو كانت ذات رابطة مباشرة به ، كأن تكون أمه أو اخته !** .. وهو يتعرض فى هذه المحـاولات الى الصراع مع غـيره من الذكور ذوى السلطـان والنفوذ ، بين آن وآخر ، على انه لايلبث ان يزداد نضجا وقوة ـ من الناحية البدنية ـ كما يزداد اعتدادا ونفوذا ـ من الناحية النفسية ـ بحيث انه قد يوفق الى انتزاع أحدى قريناتـ ، أو «وليفات» ذكر آخر ، أو ان يظفر لنفسـه بأنثى لم يمسسها ذكر غيره ، فتكون أليفته !. وبهذا ينتقل الى :

المرحلة الثانية ، وهى مرحلة النشاط الجنسى : وفى وسعه فى هذه المرحلة أن يستأثر لنفسه بعـدد من الاناث ، وفقا لمـا أوتيه من قوة ونفوذ . **ولابد له من ان يتعرض ـ خلال هـذه المرحلة ـ لمصـارعة الذكور الاعزاب النـاشئين ، وبين هؤلاء ابناؤه أنفسهم اذا حاولوا ان يصلوا الى قريناته !** .. وقد يظل سنوات عديدة ، وهو محتفظ لنفسه بمركزه ونفوذه ، ولكنه لايلبث ان ينتقل الى :

المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة الشيخوخة : فانه اذ ذاك يفقد قوته رويدا ، بحكم الاكتهال ، ولا يلبث ان ينهزم امام الأقوياء ، وان يفقد اناثه ــ واحدة بعد أخرى ــ حتى يفقدهن جميعا ، ويصبح اعزب وحيدا فى النهاية .. واذ ذاك ، يروح يحوم حول اناث القطيع ، محاولا ان يعقد الاتصالات الجنسية مع من يستطيع اليها منالا منهن ، كما كان يفعل فى باكورة فتوته !.. وفى كثير من الأحوال ، قد يضطر الى ان ينأى عن القطيع ، وان يعيش فى معزال ، ما تبقى له من عمر !

وثمة مراحل مشابهة لهذه فى سياق الخيانة الزوجية لدى البشر !.. وانا لنرى ان اهتمام ذكور البشر بالاحتفاظ باناثهم ، ومعارضتهم لأى اتصال جنسى بين زوجاتهم وبين ذكور آخرين ، وعدم عنف معارضة نسائهم لأى اتصال جنسى بينهم وبين نساء أخريات غيرهن .. كل هذه الظواهر انما آلت الى البشر مع ما ورثوه عن أصولهم الحيوانية القديمة !

الخيانة الزوجية فى الثقافات المتباينة

• **والرغبة** فى الاتصال الجنسى بين المتزوجين ــ رجالا كانوا أو نساء ــ وافراد لايرتبطون معهم بأية رابطة زوجية ، أمر مشاهد فى تاريخ الانسان ، وفى مختلف الثقافات البشرية . ومن ناحية أخرى ، نجد ان جميع الثقافات تعترف بأن من المستحب ان تكون «الاسرة» وحدة استقرار فى النظام الاجتماعى ، وان كانت هذه الثقافات تتباين من حيث موقفها ازاء النشاط غير الجنسى الذى لايخضع لرابطة الزوجية ، وهل يحسن بها ان تحرمه أو ان تقبله وتحاول تنظيمه بحيث يكون الضرر الذى قد يترتب عنه نحو كيان الاسرة ــ أقل ما يمكن !

ولسنا نجد فى أى مجتمع بشرى ــ فى اى قطر من اقطار المعمورة ــ ما يوحى بقبول جدى للتسليم بالحرية الجنسية الكاملة ، كبديل للزواج الذى يعترف به المجتمع اعترافا رسميا .

على ان هناك مجتمعات تبيح قسطا من الحرية للاناث والذكور ـ على السواء ـ فى العلاقات الخارجة عن نطاق الزوجية. ويشاهد هذا بوجه خاص فى المجتمعات التى لاتربط بين الجنس والاهداف الاجتماعية والحب والقيم العاطفية الأخرى . فلدى قبائل « الليبكا » مثلا ، نجد ان النشاط الجنسى منفصل تماما عن العاطفة ، فهو مجرد تجربة ممتعة وضرورية كالأكل والشراب فحسب .. وكما انه لا حرج هناك فى ان يتلقى المرء طعامه وشرابه من اى انسان آخر ، فكذلك لاحرج هناك من ان يتلقى الذكر متعته الجنسية من اية انثى فى مجتمعه، مادام يجد اليها سبيلا .. وان كان كل من الذكر والانثى ، يرتاح الى أن يجد الشريك الذى يكفل له هذه المتعة بانتظام .. كذلك شوهد بين قبائل « الأرونتا » ، ان الجماع يعتبر لهوا مباحا بين الجميع ، بحكم انه شىء لا غنى عنه !

صمام الأمن الذى يباح للذكور دون الاناث !

• **ويرى** علماء الأجناس ان معظم المجتمعات تعترف بضرورة تقبل قسط من العلاقات الجنسية ـ بين الزوج وغير زوجته ـ واعتبار هذا القسط بمثابة صمام الأمان للذكر ، اذ يريحه من الوان الضغط التى يسلطها عليه المجتمع باصراره على ان تنحصر الصلات الجنسية بين الذكور والاناث فى الزواج بوصفه نظاما مستقرا . على ان هذه المجتمعات ذاتها ، لاتبيح للانثى مثل هذا القسط الذى تبيحه للذكر .. **ومن ناحية أخرى ، تبينت معظم المجتمعات أن كبح ألوان النشاط الجنسي ـ الخارج عن نطاق الزوجية ـ أمر ضرورى ، لا غنى عنه ، اذا اريد للزيجات والبيوت وللأسرات ان تقوم لها قائمة ، واذا اريد للنظام الاجتماعى ان يثمر ..** ولقد قيل فى هذا الصدد ، ان « المنافسة غير المقيدة فى سبيل الطعام والشراب والجنس الآخر ، لاتلبث ان تهوى بأى مجتمع الى الحضيض » . . وكل ما هنالك من

خلاف بين المجتمعات ـ أو الثقافات ـ فى هـذا الصدد ، انما ينحصر فى مدى ونوع القيـود التى يصح ان تفرض على هذه المنافسة !

ومعظم المجتمعات تبيح ـ أو تتغاضى عن ـ اتصال الزوج بغير زوجته ، مادام يسلك مسلك الحكمة والتعقل فى ذلك ، فلا يسرف الاسراف الذى يؤدى الى هـدم بيته ، او الى اهمال اسرته ، او الى اثارة اهـل زوجته ، او الى خلق فضيحـة علنية ، أو الى اثارة المتاعب مع ازواج أو أقارب النساء اللائى يتصل بهن . **بل ان المجتمعـات التى تحرم علانية مثل هـذه العلاقات ، نجد ان هناك ميلا الى التسامح ازاء النوبات العابرة او العارضة ، على شريطة ان لا تتأتى عنها متاعب اجتماعية . ولا نكاد نجد مجتمعا انسانيا تكبح فيه علاقة الزوج مع غـير زوجته كبحا باتا ، تاما ، نافذا !**

ومن ناحية أخرى ، نرى ان مثل هذه العلاقات من جـانب الزوجة ، تقابل بتسامح او تغاض أقل بكثير مما تقابل به اذا كانت من جانب الزوج . فلا نكاد نجد اكثر من ١٠ فى المائة من المجتمعات المتباينة الثقافة ما يبيح هذا النشاط للمرأة .. كما نجد ان ٤٠ فى المائة من المجتمعات ، تبيحه فى مناسبات خاصة ، او مع افراد معينين . وفى بعض هذه المجتمعات ، يباح هذا النشاط للعروس الجديدة ، كجزء من مراسم الزفاف . ومن الشـائع فى بعض الثقـافات الاوروبية ان يتولى شـخص غير الزوج ازالة بكارة العروس ، او ممارسة اول جماع معها ، وهو ما يطلقون عليه : « حق السيد صاحب السلطان » ! .. وفى بعض الجماعات ، تقضى التقاليد بأن تضاجع الزوجة ضيوف زوجها ، كلون من ألوان الاكرام .. ولكنها لا تفعل ذلك من تلقاء نفسها ، وانما يقدمها الزوج بنفسه الى الضيف !

وفى حـوالى نصف المجتمعات البشرية المعروفة ، نجـد ان العلاقات الجنسية من غير الزوج ، محـرمة على الانثى تحريما

تاما وفى كثير من هذه المجتمعات تتعرض الزوجة ـ اذا ما مارست مثل هذا النشاط ـ لأقسى العقوبات واعنفها واخشنها

وفى عدد غير قليل من الثقافات ، يعتبر امتيازا للزوج ـ والتزاما فى كثير من الأحيان ـ ان يقتل زوجته اذا ماخانته. ويؤخذ اخفاقه فى قتل الزوجة وزميلها فى الخيانة ـ فى كثير من الثقافات ـ على انه نقص فى الرجولة. فهو يفقد مكانته واعتباره، مالم يسع الى الانتقام ممن يتهددون حقوقه الزوجية.. وحتى فى الثقافات التى لايقوم فيها قانون او عرف يسمح بمثل هذا الثأر ، نجد ان الزوج يحظى بتعضيد الرأى العام له ، اذا هو تولى القصاص بنفسه ، وكثيرا ما يفلت من العقاب الذى يستوجبه عمله . ولقد كان هذا سائدا فى اوروبا وامريكا فى الماضى ، ولكن حق الزوج فى الانتقام من الزوجة الخائنة أو عشيقها قد تلاشى الى حد كبير ، اللهم الا فى ارجاء قليلة من الولايات المتحدة

ومع ذلك ، فمن الواضح تماما ، ان اقدام الزوجة على خيانة زوجها لايزال يحدث ، حتى فى تلك المجتمعات التى تفرض على الزوجة الخائنة اقسى العقوبات.. بل انه كثيرا ما يحدث بانتظام. لاسيما وان الأزواج الذين ينكرون على زوجاتهم اقدامهن على خيانتهم مع سواهم ، لاينكرون هذا العمل على انفسهم ، ولا يتورعون عن ارتكابه مع زوجات الغير !

وفى الحلقة التالية من هذا البحث الخطير ، نمضى مع « كينزى » وزملائه فى دراسة منشأ وإسرار الخيانة الزوجية ، لنستخلص من الحقائق انجع وسائل العلاج .. فالى الشهر القادم !


MEMOIRES DE CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة

هكذا بدأت الخطة .. !

◆ كانت (ميلان) تتأهب بأسرها لمهـرجان تنكرى .. وكانت الفاتنتان اللتان خلبتا لب « كازانوفا » تتوقان الى حضورها ، ولكن أهلهما رفضوا أن يسمحوا لهما بالاشتراك فى هذا المهرجان الكبير .. وأشفق « كازانوفا » على الفاتنتين ، فوعدهما بأن يدبر خطة تمكنهما من تحقيق رغبتهما .

وفى هذه الحلقـة من مذكرات أمير العشق والمغامرة ، يروى لنا « كازانوفا » الخطة التى دبرها ، وما كان من أمره مع الفتاتين .. فتعال نرافقه فى هذه المغامرة !

◆ **كنت** عند وعدى للفاتنتين بأن ادبر لهما خطة تمكنهما من تحقيق رغبتهما . . وكان اول ما فعلته ، ان استأجرت ــ فى شارع منعزل ــ مسكنـا ذا اربع حجرات ، ثم اطلعت الضابط على خطتى فقال :

ــ لست أرى مجالا للاعتراض ، ولكنى مضطر الى ان أصحب معى شابا من النبلاء من أعز أصدقائى ، ومن أشـد المعجبين بابنة عمى

ــ على الرحب والسـعة ، فاستعدوا جميعـا عند غروب شمس يوم الأحد ، وسنلتقى جميعا ، فنتناول العشـاء معا ، ثم نرتدى ثيـاب التنكر ، ونذهب الى المهـرجان .. ما طول حبيبتك ؟ .. وما شكل صديق ابنة عمك ؟

فأجاب : « ان حبيبتى أقصر من اختى بخمسة سنتيمترات ، وتزيد عنها سمنة بعض الشىء .. أما صديقى ، فهو فى قوامك تماما » .. وعلى هذا ، فقد اخترت بزة من المخمل الأزرق ، طرزت حوافها بالحرير الأبيض ، وبزة من المخمل الأصفر الغامق ، وسترتين وصـداريتين من الحـرير الموشى .. كمـا اخترت

للمرأتين ثوبين أحدهما من الحرير الاحمر النارى ، والآخر من الحرير البنفسجى الباهت .. وأقمصة للرجال وللنساء ، ومناديل ، وبضع ياردات من المخمل والحرير . ودفعت مائتى دينار ، على شريطة أن لايبوح صاحب المتجر بأننى أبتعت هذه الاشياء من عنده ، فاذا تسرب السر ، صار عليه ان يرد الى نقودى ، وان يسترد بضاعته !

ثياب مهلهلة تستأثر بالاعجاب !

• **وحملت** مااشتريت الى حائك كنت واثقا من كتمانه للسر، وبسطت الأشياء فى احدى الحجرات بالمسكن الذى استأجرته. **ورحت بخنجرى أحدث قطوعا وثقوبا فى السترتين ، والرجل ينظر مبهوتا . ثم دفعت اليه بياردات القماش ، وقلت له : « والآن ، عليك ان ترتق وان (ترقع) القطوع بألوان مغايرة ، ولن تبرح هذه الحجرة حتى تفرغ من مهمتك ! »**

فسألنى الرجل : « ولكن ، هلا أخبرتنى بالله عن السر فيما فعلته بهذه الثياب ، وهل ستردونها بهذا الشكل ؟ »

وقلت وأنا ارقب دهشته وحيرته : « تماما .. وكما هى ! »

واسرعت فابتعت خمسة أزواج من الجوارب الحريرية الشهباء اللون ، وقبعتين من الفرو ، وقناعين مضحكى الشكل مما يستخدمه الرجال فى « الكرنفال » ، وثلاثة أقنعة مناسبة للسيدات ، وثلاث صحاف من الخزف المنقوش . وعدت الى المسكن ، فاذا « زنوبيا » — زوجة الحائك — قد جاءت تساعد زوجها . وخيال المرأة عادة أنشط واسرع من خيال الرجل ، لذلك فان «زنوبيا» لم تكد تلمح الفكرة التى كنت أرمى اليها ، حتى انكبت على العمل فى براعة لا تتأتى الا لامرأة .. **فراحت تمزق الأثواب وتقطعها ، ولكن .. بشكل يجعلها تستحوذ على الاعجاب رغم تهلهلها !**

وجاءت الثياب مجموعة عجيبة فى حد ذاتها .. كان التمزيق

على أشده عند العنق والكتفين والذراعين ، بحيث ان ثياب النساء منها كانت كفيلة بأن تبدى الاقمصة الداخلية فى وضوح، وبأن تكشف — فى الأجزاء السفلى منها — عن السيقان البديعة!

« كازانوفا » يتنكر فى شخصية غجرى

• تم هذا العمل فى يوم السبت ، بينما كان المهرجان فى يوم الأحد . لذلك لم ألبث ان نقدت الحائك أجرا سخيا ، وصرفته مع استبقاء زوجته لتعنى بحاجات الحسان الثلاث اللائى لم اطلعهن على شىء من اسرار الخطة التى رسمتها ، ولا على الثياب المهلهلة التى اعددتها لهن !

وقلت للضابط الشاب ، الذى كان شقيق احدى الفاتنتين ، وابن عم الأخرى ، والذى دعا صديقة له وصديقا لابنة عمه فى ضيافتى :

— ان عليك الان ان تحصل على عربة ذات اربعة جياد ، على ان تتسع لاربعتكم .. اعنى لك ولصديقتك وللحسناوين . وعليكم ان تستقلوا هذه العربة ، فتخرج بكم من أحد أبواب المدينة ، ثم تعود بكم من باب آخر . فاذا ما استقر بكم المقام فى المسكن الذى استأجرته ، فسيكون فى وسعكم ان تذهبوا للرقص سيرا على الاقدام ، وان تعودوا فى محفات ، وبذلك نضلل كل من يحاول ان يقفو آثاركم !

وكنت قد عولت على ان اتنكر فى شخصية نورى من الغجر السمر ، فليس ثمة ما هو أضمن لاخفاء شخصية المرء ، من ان يغير لون بشرته !

المتسولون الخمسة فى المهرجان !

• وكان الحائك قد أعد لى بزة بديعة ، فوضعت فى جيبى السروال كيسى نقود جديدين ، بكل منهما خمسمائة دينار . وما ان حانت الساعة السابعة من مساء الاحد ، حتى كانت

المائدة معدة للعشاء . وبعد خمس دقائق ، حضر القوم

وكان صديق اخت الضابط مركيزا شابا ، جميلا ، ساحرا ، واسع الثراء . وقد بدا انه كان كلفا بها ، كما كان يميل الى اخيها ويحترمه .. اما عشيقة الضابط ، فكانت فاتنة ، وكانت تهيم بحبيبها في وجد صادق !

وبعد العشاء ، قلت لهم : « بما انني لن أكون معكم ، فقد آن لي ان أشرح لكم ادواركم .. لسوف تتقمصون شخصيات خمسة من المتسولين .. رجلين ، وثلاث نساء . وسترتدون ثيابا مهلهلة ! »

واغتبطت – في دخيلتي – حين لمحت الامتعاض على وجوههم ، ولكنني كتمت مشاعري ، واستطردت قائلا : « ولسوف يحمل كل منكم صحفة من الخزف ، وعليكم ان تطوفوا بقاعات الرقص ، متشابكي الأذرع ، تسألون الحضور احسانا . وليكن كل همكم ان تجيدوا ادوار التسول ! »

ونهضت الى باب المخدع ففتحته وانا اقول : « والآن .. تعالوا فارتدوا أسمالكم ! »

وكان اول ماوقع عليه بصرهم ، هو منظر «زنوبيا» الجميلة ، وقد وقفت وسط ركام من الثياب المهلهلة ، التي كان من الواضح انها من اغلى الاقمشة !.. وتحولت اذ ذاك الى النساء قائلا : «ها هي ذي ثيابكن ياسيداتي .. هذه هي الاقمصة ، والجوارب ، والمناديل .. وستجدن على مائدة الزينة من المواد ما يفي بحاجتكن . وهذه هي اقنعتكن ، والصحاف التي ستجمعن فيها الصدقات .. ولسوف تشهد اربطة السيقان بفقركن ، كما ان الثقوب التي تتخلل الجوارب تبين انكن لاتملكن ثمن الخيط الحريري الذي ترتقن به هذه الثقوب .. ولسوف تربطن احذيتكن بقطع من الخيط ، امعانا في اظهار الفقر ، كما انكن ستجدن الأحذية ممزقة الأطراف ، لتبدو عتيقة بالية ! »

وبينما كنت اقول هذا ، لمحت الامتعاض ينحسر عن الوجوه

رويدا ، ليحل محله الاعجاب !

موكب المتسولين فى المرقص !

• **وتحولت** بعد ذلك الى الرجلين فقلت لهما : « وهذه اسمالكهما ، فما رأيكما فيها !.. ولكن ، لنغادر الغرفة أولا ، حتى تخلو للسيدات فيستبدلن ثيابهن فى ارتياح ! »

وبدا المركيز متحمسا ، فهتف : « لكم ستبدو أشكالنا عجيبة !.. انه لتدبير رائع !.. وانه لمثال للبذخ والاسراف، ان تمزق كل هذه الثياب الغالية ، لنتنكر فى ازياء متسولين ! »

وان هو الا نصف الساعة ، حتى كنا على أهبة الاستعداد ، وقد بدا الضيوف الخمسة فى أزرى صور الفقر والمسغبة .. وكانت ــ فى شخصيتى النورية ــ لا أقل عنهم زراية !

وكانت السيدات قد تركن شعورهن مشعثة ، مهدلة . وقد كان شعر المركيزة « ك » ــ وهى احدى الفاتنتين ــ اطولها ، حتى لقد بلغ ركبتيها ! .. وخلال الاسمال المهلهلة ، بدت اذرعتهن البضة ، واكتافهن ، ونحورهن ، وسيقانهن !

ورحت أرشدهم الى اساليب التظاهر بالتقوى والذلة ، والتخلص من كل ارتباك واضطراب ، وان يكشفن عن ان ثيابهن المهلهلة كانت ــ فى حد ذاتها ثروة ، اذ انها صنعت من اغلى الاقمشة ــ دون ان يناقض هذا ما كن يمثلنه من فاقة وتسول !

وما لبثنا ان ارتدينا اقنعتنا ، وشرعنا فى سيرنا نحو المرقص .. ولم يلتفت أحد الى فى الطريق ، فقد كان ثمة كثيرون متنكرين فى زى الفجر . ولكن منظر رفاقى استأثر بالانتباه، فاذا القوم جميعا يتأملون فى عجب هذا الموكب العجيب .. وكان المركيز يسير بين حبيبته وابنة عمها ، وقد راحتا تسيران فى بطء ، وهو يحاول ان يتمشى مع خطاهما .. **واستطاعت المركيزة « ك » ان تحظى ــ بثوبها الذى كان فى حمرة اللهب ،**

وشعرها الرائع ـ بأكبر قسط من اعجاب الناس ، الذين اخذوا يقتربون حتى اصبحوا يحاصرون الموكب ، بمجرد ولوجنا المرقص !

وعزفت الموسيقى لحنا تمهيديا ، كافتتاحية للمهرجان . وتقدم ثلاثة اشخاص ظاهرو الثراء ـ رغم أقنعتهم ـ فسألوا متسولاتى الثلاث ان يراقصنهم ، ولكن الحسان اعتذرن بأن احذيتهن ممزقة ، مكسورة الكعوب !

فى غرفة المقامرة

• **وظللت** اتبعهن زمنا حتى اطمأننت اليهن ، فتسللت الى غرفة المقامرة ، حيث تربصت حتى خلا مقعد الى المائدة ، فسارعت الى احتلاله .. وكان يجلس الى « البنك » شخص يدعى « كانانو »، والى جواره سيدة ، سمعتها تقول له : « لقد قابلت الشيفالييه دى سيينجال فى الخارج مع اربعة من المتسولين ! » . وكان سيينجال هو المركيز عشيق أخت الضابط !

وادركت ان القوم بدأوا يتحدثون عن المتسولين الخمسة ، وان لم يوفق احد الى كشف حقيقة شخصياتهم ، فاغتبطت فى سريرتى .

ولعبت ، فخسرت ستةادوار متوالية ، ولكن الحظلم يلبث ان ارتد الى، فربحت ما خسرت ، وفوقه بكثير ، حتى اذا رأيت « البنك » قد بدأ يختل ، توقفت عن اللعب .. وفيما كنت احصى ارباحى ، صاح شخص ما : « ها قد وصل المتسولون ! »

ورمق « كانانو » المركيز مليا ، ثم طلب منه بعض السعوط . وخيل الى انه كان موشكا على ان يكشف شخصية الشاب ، لولا ان هذا قدم اليه السعوط وهو ماض فى تمثيل دوره باتقان رائع !

القوم يتكهنون بشخصيات المتسولين

• **ومد** المتسولون صحافهم يسـألون احسانا ، فنثرت فى صحفة المركيزة « ك . » حفنة من الدنانير ، وأجزلت العطـاء لزملائها . واذ ذاك قال « كانانو » وهو يتأملهـا باعجاب : « لو انها لعبت بهذا الشعر البديع ، لقومته بألف دينار ! » .. ولكن الحسناء تجاهلت الغزل ، فتحـول « كانانو » نحوى قائلا : « يبدو ان الغجر يعطفون على المتسولين ! »

وانحنى المتسولون اذ ذاك للقوم فى تواضع ، ثم غادروا الغرفة . فقال المركيز « تريولتسى » ، وكان بين الحضور : « ان المتسول الذى يرتدى بزة صفراء باهتة ، هو كازانوفا بعينه ! » .. وكان يقصد المركيز ، الذى كان فى مثل قامتى .

فقال كانانو : « اننى واثق من هذا ، ولكن من اولئك الذين فى صحبته ؟ » . فأجاب ترولیتسی : « لسوف نعمل على كشف شخصياتهم . ولكن الذى لا شك فيه ، ان تنكرهم قد كبدهم مبلغا باهظا ! »

ولعبت مرة اخرى ، فربحت الفين وخمسمائة دينار ، اعطانى كانانو فى مقابلها سندا قابل للدفع عند الطلب ، فدسسـته فى جيبى — فى حرص — ثم سرت الى مقصورة فى الصف الثالث من صفوف النظارة فى قاعة المسرح ، حيث كنت على اتفاق مع زملائى ، كى نلتقى .

عشيقته القديمة تفسد عليه ليلته !

• **وما ان** التأم شملنا ، حتى هتفت الفتيات : « ان جيوبنا ملأى بالنقود والحلوى » . فقالت لى حبيبة الضابط : « اننا مدينون لك بما لا نملك ان نوفيك جزاءه .. لقد تسببت فى اسعادنا كل الاسعاد »

فقلت : « ان الأمور رهن بخواتمها يا سيدتى ، وارجو ان

تكون نهاية سهرتنا خيرا من بدايتها بكثير ! » . **وضغطت يد المركيزة « ك . » وانا اقول هذا ، فشعرت بأصابعها ترتجف فى قبضتى ! .. واذ ذاك قلت : «تعالوا نهبط الى قاعات الرقص ، فاننى مشوق الى ان ارقص ، ولسوف ترون كيف يضحككم الغجرى ! »**

واعدنا أقنعتنا الى وجوهنا ، ثم هبطت بعد ان سألتهم ان يتبعونى بعد حين . وفى قاعة الرقص ، وجدت حبيبتى القديمة « تيريزا » ، فدعوتها ــ وانا محرج ــ الى رقصة ريفية .. وقالت وهى تضع ذراعها حول ذراعي : « انك غجرى ماهر ، استطعت ان تفلس « بنك » مائدة اللعب ! » .. وما كنت احسب لوجود « تيريزا » حسابا ، ولكنها افسدت على ليلتى ، اذ خشيت ان تكتشف صلتى بالمتسولين !

.. وعد شرف !

. **ورقصت** كالمجنون ، دون ان اخل بقواعد الرقص ، وان رحت أقوم بحركات وحيل استغللت فيها كل براعتى ورشاقتى وما لبثت ــ بعد ان فرغنا من الرقصة ــ ان رافقت « تيريزا » الى المقصورة التى كان عشيقها المصرفى « جريبى » ينتظرها فيها ــ فأسلمتها اليه . وكان الليل قد اكتهل ، فاستقللت محفة الى المسكن

وهناك ، لم يلبث موكب المتسولين أن لحق بى . وسرعان ما استبدلوا ثيابهم ، ثم استقلوا محفات الى حيث كانت عربتهم فى انتظارهم لدى احد ابواب المدينة .. وبقى المركيز معى ، فما لبث ان قال لى ــ فى أدب واستحياء ــ انه يريد ان يتقاسم معى ما تكبدت من نفقات ، ولكنى اجبته : « اخشى ان يكون فى سؤالك هذا ما يمس كرامتى ويحط من قدرى ، فى نظر نفسى ! »

وتراجع معتذرا فقلت : « ليس للنقود أية قيمة لدى ، واعدك

بشرفى ان اسمح لك بأن تنفرد بالانفاق فى اول مهرجان قادم يجمعنا »

« ثلاث » رجال ، و « ثلاثة » نساء !

• **ودام** المهرجان الى ما قبل الصوم الكبير بأسبوع . وقبل موعد آخر الحفلات التنكرية الراقصة ، جاءنى الضابط قائلا : « ان صديقى المركيز يدعوك الى تناول العشاء معه ومع فريق المتسولين . ولما كان قد اعد لنا مفاجأة سارة ، فانه يسألك أن تعيره مسكنك لبضع ساعات قبل العشاء ، ويرجو أن تسمح لخادمتك اللطيفة بأن تساعده ! »

وقبلت عن طيب خاطر .. وفى الليلة الموعودة ، اجتمعنا فى مسكنى ذاك ، فلم يلبث المركيز ان اقترح علينا ان نرتدى الثياب التى اعدها لنا ، قبل ان نجلس الى مائدة العشاء . ثم اشار الى حزمة هائلة ، وقال : « ها هى ذى ملابسكن يا سيداتى ، ولسوف تساعدكن مدام زنوبيا على ارتدائها فى الحجرة الأخرى ! »

ثم تناول حزمة أخرى ، حتى اذا انفردنا – نحن الرجال الثلاثة – فتحها ، فانفجرنا ضاحكين ، اذ وجدنا بها ثيابا نسائية انيقة ، وثمينة ، وباذخة الوشى والزخرفة .. وكان علينا ان نرتديها ! .. ولم يكن قد اغفل شيئا حتى المراوح وحقائب اليد ، وادوات الزينة !

وتكشفت خطة المركيز الذكى .. فلقد تنكرت السيدات فى ازياء رجال ، وتنكرنا – نحن الرجال – فى ازياء نسوية ! .. وكان علينا ان نبدى كل رفق وليونة ، فى حين انهن كن مضطرات الى الظهور بأخلاق الرجال

لقاء من خلف الأقنعة

• **وبعد** ان جلسنا الى المائدة زهاء ساعتين ، نهضنا متأهبين

للذهاب الى دار « الأوبرا » ، ولكن الاكتئاب غلب على وجهى ابنتى العم الفاتنتين ، اذ لم يرق لهما ان تذهبا للرقص فى ثياب الرجال

ومن ثم اقترحت ان نقضى السهرة فى مسكنى بين لعب وسمر

وفى اليوم التالى ، لم تكن ثمة حفلة راقصة ، فذهبت الى دار « الأوبرا » ، ولازمت حجرة المقامرة ، حيث خسرت كل ماكنت احمل من نقود . **وفيما كنت اهم بالانصراف ، اذا بامرأة فى زى رجل تسلمنى احدى أوراق اللعب ، وتسألنى ان أراهن عليها ، فراهنت بمائة دينار .. وخسرت ! .. وخسرت تسعمائة دينار فوقها ، فكتبت سندا يستحق الدفع فى اليوم التالى !**

وفيما كنت أتأهب لمغادرة الحجرة ، اقبلت رسول النحس يصحبها شخص آخر متنكر . وأمسك هذا بيدى ، وهمس يسألنى ان اذهب فى الصباح التالى الى فندق « الملوك الثلاثة » حيث التقى بصديق قديم ! .

ترى من كان هذا الصديق القديم ؟ .. وهل هذا اللقاء بداية مغامرة جديدة ؟ .. واية مغامرة هى ؟ .. هذا ما سوف يرويه لنا أمير العشق والمغامرة ، فى الحلقة القادمة من هذه التحفة الخالدة

ترقب فى منتصف نوفمبر العدد الجديد من « مطبوعات كتابى » محتويا على الجزء الرابع من التحفة الخالدة :






مطبوعات كتابى
اعترافات
چان چاك روسو
مطبوعات كتابى
الجزء الثانى
اعترافات
چان چاك روسو
مطبوعات كتابى
اعترافات
چان چاك روسو
ڤولتير.. لويس السادس عشر.. ديدرو..
اشهر نساء البلاط الفرنسى فى القرن الثامن عشر
اقرأ قصصهم جميعًا مع "روسو"
فى الجزء القادم من كتابه الخالد:
اعترافات
چان چاك روسو
يصدر فى منتصف نوفمبر
٢٣٠ صفحة محلاة بالصور التاريخية النادرة
الثمن ١٢ قرشا
الجزء الرابع
يصدرها حلمى مراد
مطبوعات كتابى
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية